كبرى المشكلات الدولية

اتساع الهوة بين البلاد النامية
والبلاد السائرة في طريق النمو

للدكتور حسن صعب *

كبرى المشكلات الدولية، التي يواجهها الانسان المعاصر، هي مشكلة الهوة الحياتية، التي تتسع بين البلاد النامية والبلاد السائرة في طريق النمو، او بين البلاد التي ندعوها متقدمة والبلاد التي نسميها متخلفة. ونصفها بالهوة الحياتية لا بالهوة الاقتصادية عن قصد. لأن النمو يعني حركة حياتية تشمل الفعالية الاقتصادية وغيرها. والفوارق الاقتصادية هي دلائل فوارق حياتية وحضارية أخرى. والغاء الفوارق الاقتصادية او تضييقها ان هو الا وسيلة لايجاد تكافؤ حضاري انساني، والتحرر من العوائق المادية للابداع الروحي.

(*) استاذ العلوم السياسية بالجامعة اللبنانية.

وتتصل هذه المشكلة بجميع المشكلات الدولية الاخرى من قريب أو بعيد . فتتصل بقضية السلم والحرب ، لأن السلم لايمكن أن يستقر في عالم اقليته منعمة وأكثريته معـــدمة . وتتصل بقضية التحرر والاستعمار ، لأن الاستقلال السياسي بدون كفاية اقتصادية نسبية يهدد بظهور اشكال جديدة من الاستعمار . وتتصل بقضية الصراع الايديولوجي والحرب الباردة بين الغرب والشرق ، لأن البلاد المحرومة هي الآن الساحة الفعلية لهذا الصراع . وتتصل بالتعاون الدولي على مستوياته الجمعية والاقليمية والثنائية . فاذا عجز هـذا التعاون عن تضييق الهوة بين المنعمين والمعذبين في الأرض ، فأية فائدة ترجى منه ؟ وتتصل بنا في العالم العربي ، لأننا جزء من العالم المحروم . وتقدمنا الحقيقي رهين بتحررنا وتحرر العالم المحروم كله من التخلف . بل ان المشكلة تتناول نسق الانسان الجديد ، الذي يمكن أن ينبثق من الثورة الكونية الجديدة ، التي يشهدها النصف الثاني من القرن العشرين : أيكون الانسان الأناني الشرير الذي وصفه متكيافيلي ، والذي لاتهمه الا قدرته وقوته ، او يكون الانسان الايثيري الخير الذي وصفه روسو ، والذي افسدته الحضارة ، ولكنه قابل لأن يصلح بتغير الحضارة ؟

ويحسن بنا أن لايصرفنا ضجيجُ المشكلات الدولية العارضة عن عمق هذه المشكلة وشمولها . فذهن الانسان معرض لأن يلتهي ، تحت وطأة الأنبـــاء الطاغية ، بالعرض عن الجوهر . فالحربُ في الفيتنام ، والحرب في شبه القارة الهندية ، والحرب الأهلية في اندونيسيا ، واحتمال حدوث انفجار في روديسيا ، واحتمالُ نشوب حرب في أي وقت في فلسطين ، كل هذه مشكلات حرية باهتمامنا البالغ . وكلُّها اليوم في هذا العالم الضامر أقربُ الينا من حبل الوريد . وفلسطين

هي أقربها بالطبع الينا، لأنها هي في حياتنا وكياننا حبل الوريد. ولكن هذه المشكلات، على خطرها الداهم، انما تعبر عن خطر أشد وأعمق، وهو خطر انفقاد السوية والعدالة بين أكثرية الانسانية الجائعة وأقليتها المتخمة.

وقد نوه بهذا الخطر في الأسابيع الأخيرة صوتان قويان: ارتفع أحدهما من أقصى اليمين وفي أقصى الغرب، وهو صوت قداسة البابا، وارتفع الثاني من أقصى اليسار وفي أقصى الشرق، وهو صوت نائب رئيس وزراء الصين الشعبية ووزير دفاعها. ارتفع صوت البابا بولس السادس برفق في خطابه أمام الأمم المتحدة يقول: «انه لايكفي أن نطعم الجياع، فلا بد أن نؤمن لكل انسان حياة تتفق مع كرامته. ونحن نعرف العزيمة التي تظهرها والفعالية التي تبذلها الأمم المتحدة والمؤسسات المتفرعة منها لتساعد الحكومات التي تحتاج لاستعجال تقدمها الاقتصادي والاجتماعي. ونعرف حماسكم لقهر الأمية، ولنشر الثقافة في العالم، ولتعهد صحة الانسان تعهداً حديثاً صالحاً، ولوضع الموارد الرائعة للعلم والتكنولوجيا والتنظيم تحت تصرف الانسان. ونريد نحن أيضاً أن نعزز جهود مؤسساتنا البابوية في سبيل محاربة الفقر، وتأمين الحاجات الأساسية، لأن هذه هي الطريقة، ولا طريقة غيرها، لبناء السلام.»

وحيث يرى قداسة البابا حماساً واندفاعاً في سبيل المساعدة، يلاحظ الوزير الصيني المارشال لين بايو تلكأ وتقاعساً، ويرى ان العالم منقسم الى مدن تتألف من أميركا الشمالية وأوروبا الغربية تحيق بها مناطق ريفية تتألف من أميركا اللاتينية وآسيا وافريقيا. ويستنتج من ذلك «... ان الحركة الثورية تظهر لنا صورة المدن تحاصرها الجماهير الريفية. ولذلك فان

قضية الثورة الكونية بكاملها تتوقفُ أخيرا على نضال شعوب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، التي تؤلف الأكثرية الساحقة لسكان العالم ».
ان هذين الصوتين يتحدثان بلهجتين مختلفتين عن مشكلة واحدة . ويتجاوب معهما العالم الأميركي جورج بورجستروم George Borgstrom في الكتاب الذي أصدره أخيراً عن « الكوكب الجائع » ، والذي يقول فيه : « **ان الانتصار في الصراع للسيادة على العالم قد لايكون لمن يطلق أعظم الصواريخ الفضائية بل للفريق الذي يفعل شيئاً ما لتخفيف شقاء شعوب الارض .** »

فما هي ابعاد هذا الشقاء الساري بين شعوب الأرض ، وما هي حقيقة الهوة المستفحلة بين مدن العالم من ناحية ومناطقه الريفية من ناحية أخرى ؟ ان مما يساعدنا على الاجابة على هذا السؤال ان نقسم الانسانية بوضعها الراهن الى ثلاثة عوالم ، العالم الغربي الذي يعتبر الديموقراطية الليبرالية السبيل الفضل للنمو ، وهو العالم الأغنى الذي تحقق فيه اعلى معدل لدخل الفرد يبلغ في الولايات المتحدة حوالي الـ ٢٥٠٠ دولار ، ويليه العالمُ الماركسي الذي يعتبر الديموقراطية العلمية الاشتراكية السبيل الفضل للنمو . واعلى معدل لدخل الفرد فيه — في الاتحاد السوفياتي يبلغ : ١٠٠٠ دولار ، والعالمُ الثالث الذي مازال يتراوح بين الليبرالية والماركسية كأفضل سبيل للنمو ، والذي ينخفض فيه متوسط دخل الفرد لأدنى معدل ، فيبلغ في اليمن مثلا حوالي خمسين دولاراً . وبذلك تكون الهـــوةُ بين العالم النامي والعالم السائر في طريق النمو ، او بين الانسان التقدم والانسان التخلف ، اذا قيست بالمعيار الحسابي لمتوسط الدخل ، هي الشقة بين الـ ٢٥٠٠ دولار التي تتوفر للأميركي والـ ٥٠ دولاراً التي يكاد يحصل عليها اليمني . واذا

تذكرنا ان الولايات المتحدة يرتفع الدخل فيها سنوياً بسرعة ، واذا استمر بنفس سرعته الحالية ، فان متوسط دخل الفرد سيكون فيها ٥٠٠٠ دولار عام ٢٠٠٠ ؛ فاذا تضاعف الدخل في اليمن في المدة نفسها وبلغ ١٠٠ دولار ، تظل الشقة بين المتوسطين اوسع مما هي عليه الآن .

واذا توسعنا بعض الشيء من الولايات المتحدة واليمن الى سائر بلاد العالمين الثالث والديموقراطي الغربي ، وجدنا ان مساحة العالم الثالث هي نصف مساحة الكرة الارضية ، اي انها ضعف مساحة العالم الديموقراطي الغربي . ويؤلف سكان العالم الثالث ٥٠ ٪ من سكان العالم، أي مرتين ونصف من سكان العالم الديموقراطي الغربي . ولكن نسبة دخل الفرد في افريقيا وآسيا بالنسبة لدخله في البلاد الديموقراطية الغربية هي ١/١٢ ، ونسبتها في اميركا اللاتينية هي ١/٥ . ويستهلك الفرد في افريقيا نسبة ١/٣٠ ، وفي آسيا ١/١٨ ، وفي اميركا اللاتينية ١/٨ من الطاقة والحديد اللذين يستهلكها الفرد في البلاد الديموقراطية الغربية .

ان لهذه المعدلات والنسب حدودها ونقائصها . فالأرقام وحدها لاتكفي للمقارنة بين الأحوال المعقدة والمتنوعة لعالمين مختلفين . ولكن لها دلالة « حياتية » وحضارية تفوق في اهميتها دلالاتها الاقتصادية ، انها تدل على ان نصف الانسانية على الاقل مايزال في المستوى الأدنى من الحضارة ، بينما يبلغ نصفها الآخر مستواها الاعلى . ولانعني بالحضارة هنا مفهومها الروحي او المادي . ولكننا نعني بها ذلك الجهد اللانهائي الذي يبذله العقل الانساني للسيطرة على الطبيعة ، والذي بدأ في ربوعنا مع اقامة السدود لضبط الري في وادي الرافدين او وادي النيل ، والذي بلغ اليوم طور اطلاق مراكب فضائية للنزول في كواكب جديدة . ان هذه المغامرة الحضارية العقلانية التي استغرقت حوالي عشرة آلاف عام هي تراث انساني مشترك . وكيفما اختلف تقييمنا لها ، ومهما اختلفت آراؤنا حول معانيها وغاياتها الأخيرة الا ان معنى التقدم الحقيقي ، هو ان نصبح جميعا قادرين على المشاركة فيها مشاركة خلاقة ، وان تصبح وسائلها العقلانية التنظيمية في متناولنا جميعاً . الا ان الواقع هو ان اكثرية الانسانية تؤلف قاعدة هذه المشاركة ، بينما تحتل الأقلية ذروتها . والهوة الحضارية القائمة والمستفحلة بين القاعدة والذروة هي المعنى الأعمق للهوة بين العالمين المتخلف والمتقدم . ومعجزة لحاق القاعدة بالذروة هي المعجزة الانسانية المنشودة .

ونقول انها المعجزة المنشودة لاننا اذا نظرنا للمعضلة نظرة خالية من عناصر الايمان والأمل والارادة ، وجدنا امامنا من الصعوبات اكثر مما نجد من الامكانات . واعترضتنا صعوبة معنوية كبرى ماتزال تلازم الانسانية منذ صنف ارسطو البشر لفئة من طبيعتها ان تحكم وفئة من طبيعتها ان تحكم . وقد اتخذ هذا التصنيف بعد ذلك صورا شتى ، فقسم البشر الى يونان وبرابرة ، واحرار وعبيد ، وغربيين وشرقيين ، ومؤمنين وكفار ، وبيض وملونين ، واسياد ومستعمرين ورأسماليين وعمال ومستهلكين . وظل محور التقسيم وجود فئة تخلق الحضارة ، فتستحق بذلك السيطرة ، ووجود فئة اخرى لاتستطيع الا ان تخدم الحضارة ، ولذلك فانها لاتستحق الا ان تستعبد .

وشارك عنا في هذا التصنيف الثنائي للانسانية مفكرنا العبقري ابن خلدون ، فقسم العالم على اساس المناخ لقسمين رئيسين :

القسم المفرط في البرودة او الحرارة في الشمال او الجنوب .

والقسم المعتدل المناخ في الوسط .

فوصف احوال الشماليين من الاوروبيين والجنوبيين من الافريقيين بأنها « ... بعيدة عن احوال الأناسي قريبة من احوال البهائم .. » لان الدين « ... مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم ... » « واخلاقهم ... قريبة من خلق الحيوانات العجم ... »

واما سكان الاقاليم المتوسطة والمعتدلة من العرب والروم والفرس واليونان واهل الهند والسند ، فهم «... اهلُ الاعتدال في خَلْقهم وخُلُقهم وسيَرهم ، وكافة الأحوال الطبيعية للاعتمار لديهم من المعاش والمساكن والصنائع والعلوم والرياسات والمُلك ، فكانت فيهم النبوات والملك والدول والشرائع والعلوم والبلدان والأمصار والمباني والفراسة والصنائع الفائقة وسائر الأحوال المعتدلة . »

ان صورة العالم الحضارية هي اليوم عكس الصورة التي رسمها ابن خلدون. فالشمال هو طليعة التقدم الحضاري، وبتدهور المستوى بقدر ماتنحدر من الشمال الى الوسط والجنوب. والمتخلفون في نظر ابن خلدون هم اليوم المتقدمون. والمتقدمون في نظره اكثرهم اليوم متخلفون. ويعني هذا ان التقدم او التخلف هما حالة عابرة تنشأ عن ظرف تاريخي معين، وليس طبيعة اوسجية دائمة يحتمها عامل معين كالمناخ او الجنس او اللون او الدين. وابن خلدون نفسه يشير الى هذا فيما بعد في قوله ان الأحوال « **تتبدل في الاعقاب ولا يجب استمرارها** ». وهذه النظرة الحركية للانسان والتقدم والتخلف هي في اعتقادنا المنطلق الايماني الواجب للسياسة الهادفة لازالة الهوة بين المتقدمين والمتخلفين، سواء اكان ذلك داخل البلد الواحد اوبين عالم وآخر.

وهذه النظرة الجديدة للتخلف والتقدم كحالة لا كطبيعة، المقترنة بنظرة حركية جديدة للانسان، تعني ان المعجزة الحضارية المنشودة هي معجزة تطوير الانسان حيثما كان وأيا كان من حال التخلف الى حال التقدم. وخصائص الحضارة العصرية البارزة الآن تساعد على تحقيق هذه المعجزة. واهم هذه الخصائص عالمية الحضارة وقابليتها الاختراقية بفضل التقدم المطرد في المواصلات، التي تمكنها من النفاذ عبر الجدران المنيعة، التي كانت تقوم في الماضي بين حضارة واخرى وبين مجتمع وآخر. فقد جاوزنا الآن طور الحضارات المتوازية، ودخلنا طور الحضارة الانسانية الواحدة. والوسائل الحضارية التي يعرف مجموعها بالتكنولوجيا هي الآن اكثر من اي وقت آخر من النوع الذي يفرض نفسه فرضا تجريبيا على جميع المجتمعات. فالصاروخ والطائرة والسيارة تفرض نفسها في حقل المواصلات محل القوافل والمركبات والعجلات. والرسائل المنقولة لاسلكيا تفرض نفسها محل رسائل السعاة. والصور المنقولة في السينما والتلفزيون تفرض نفسها محل الرسائل المخطوطة. والآلة الحارثة تفرض نفسها في الأرض التي تحرثها في ساعات بدل مئات الأيدي التي تفلحها في اسابيع او اشهر. والمصنع الآلي الذي يديره عشرة مهندسين يفرض نفسه محل المصنع اليدوي الذي يستهلك جهود الآلاف من العمال. والدماغ الالكتروني الضخم « ارسطو » الذي يتلقى جميع مخابرات المدينة الهاتفية يفرض نفسه

محل الثلث من عاملات التليفون . بل ان التليفزيون المرئي والدماغ الآلي المعلم بدأ يفرض نفسه محل العشرات من المدرسين والمعلمين. المجهر الالكتروني الذي يكشف في لحظات حقائق جديدة حول الذرة او الخلية يفرض نفسه محل المجهر الذي يحقق مثل هذا الكشف في اسابيع او اشهر. وخزانة البطاقات المعدنية التي تتسع لعشرة آلاف بطاقة مصورة تفرض نفسها محل الخزانة التي لاتتسع لأكثر من مئة ملف . والدماغ الحاسب الذي يقوم بحساب رواتب موظفي الادارة في يوم واحد يفرض نفسه محل عشرات المحاسبين الذين يقضون السنة كلها في اجراء مثل هذا الحساب . وهذه الآلية الحضارية التي تتدعم بها هي احدى الأسباب الرئيسية التي تميز اليوم قابلية الحضارة للانتشار من الغرب الى الشرق ومن الشمال الى الجنوب . ويكفي أن نتذكر ماحدث في اليابان وروسيا وما يحدث الآن في الصين، لتظهر لنا بصورة تجريبية محسوسة اهم خاصة للحضارة الجديدة ، نعني بذلك قابليتها الانتشارية الخارقة .

ويعني هذا ان أمام الانسان المتخلف فرصة تاريخية فريدة لأن يستسيغ في حقب قصيرة التقدم الحضاري ، الذي استغرق تحقيقه في الماضي قروناً كاملة . ويعني ايضاً ان العوائق القائمة الآن في طريق التقدم هي عوائق عابرة ومصطنعة أكثر مما هي عوائق دائمة وطبيعية . وهي عوائق قائمة في البنية الراهنة للدولة وفي بنية العلاقات الدولية أكثر مما هي قائمة في الامكانات الانسانية . فالبنيتان بالذات بالنسبة للعصر الذري الذي دخلناه ، لأن مستندهما الأساسي هو السيادة ووجهتها الأساسية هي الحرب ، والعصر الذري يقضي بتجاوز السيادة الى التكامل ، وبتخطي الحرب الى السلم كمبدأ لوجود الدول والعلاقات الدولية .

وهو لايقضي بذلك من الناحية النظرية او المثالية بل من الناحية العملية الصرفة . فالحرب بالأسلحة الذرية هي أداة غير عملية في العلاقات الدولية ، لأن الغالب والمغلوب فيها خاسران أي زائلان من الوجود . وهـذا هو السبب الرئيسي للانفراج النسبي الذي يسود بين واشنطن وموسكو بفضل مايوصف بتوازن الرعب النووي . ولكن هذا الانفراج يعني ان التكيف الدولي مع متطلبات العهد الذري مايزال في أوله . ويستلزم التكيف التام مع العهد الذري الغاء الحرب كوسيلة لتسوية الخلافات الدولية .

وأحدث صوت دولي ارتفع بالمطالبة بهذا الالغاء هو صوت رئيس جمهورية ايطاليا جيبي سراجات في خطاب ألقاه في « اشوتز » Auschwitz أثناء زيارته الأخيرة لبولونيا قال فيه : « أصبحت الحربُ مستحيلة في عالمنا الحاضر ، الا

اذا كانت الانسانية تنشد انتحاراً عاماً . والسبيل الى السلم والانفراج الدولي هو مراقبة التسلح ، وتعزيز الأمم المتحدة ، وتزويدها بالوسيلة اللازمة لتطبيق قانونها ... » وتبدو أهمية معالجة الخلافات الدولية بالوسائل السلمية بدل الوسائل الحربية بالنسبة للقضاء على الهوة بين العالمين المتقدم والمتخلف ، اذا ما تذكرنا أن صناعة الحرب تكلف الانسان سنوياً متي مليار دولار ، ويقدر الخبراء الانمائيون ان المساعدة الدولية اللازمة سنوياً لتمويل انماء العالم المتخلف لا تتجاوز عشرة مليارات دولار . فاذا اتخذت الدول كخطوة أولى نحو الغاء الحرب ونزع السلاح تخفيض خمسة بالمئة من ميزانية التسلح ، استطاعت أن تؤمن الرأسمال اللازم لتقدم المتخلفين . ونحن نعتقد أن الحرب ليست في طبيعة الانسان ، ولكنها في تراثه وعاداته ومؤسساته وتربيته . فكما يربى الانسان للحرب ، يمكن أن يربى للسلم . ولا بد أن تتحول التربية في العهد الذري من الحرب الى السلم ، اذا أراد الانسان أن يبقى ، واذا أراد أن ينمو نمواً صالحاً .

واذا اعتبرنا أن السياسة بمعناها الواسع هي القدرة المتجددة على التكيف السلوكي العام مع الظروف المستجدة والأحوال المتغيرة ، تبين لنا أن السبب الرئيسي للهوة المستفحلة بين العالمين المتقدم والمتخلف هو سبب سياسي وليس سبباً اقتصادياً ، وهذا السبب هو الافتقار الى منظمات سياسية مستقرة في العالم المتخلف تعطي الأولوية الحقيقية في سياستها الداخلية والخارجية للانماء ، وتقاعس منظمات العالم المتقدم عن اعطاء الانماء الأولوية التي يستحقها في سياساتها الدولية، ويخلف عادة هذا العجز السياسي عن التكيف مع العهد الذري الجديد ، مبررات تذكر كأسباب للتخلف تتهافت امام النقد العلمي الصحيح . ويمكن اجمال هذه الأسباب بتسمة وهي استسلامية المتخلفين ، وضآلة الموارد الطبيعية ، والاستغلال الاستعماري ، والاستغلال الطبقي ، والافتقار الى رؤوس الأموال ، واكتظاظ السكان ، والأمية ، وندرة المدربين، والبطء في اقتباس المعارف التكنولوجية فاذا حللنا كل سبب من هذه الأسباب التسعة منفرداً وجدناهـا انها لا تكفي لتفسير التخلف .

فاستسلامية المتخلفين تزول شيئاً فشيئاً وتحل محلها يقظة الجماهير ومطالبتها بمزايا الحضارة ونعمها . والاعتقاد بأن الفقر هو من أمر الله ، وبأنه قدر أناس دون آخرين ، يزول ويحل محله الاعتقاد بأن الفقر والغنى هما من صنع الانسان . وضآلة الموارد الطبيعية لايمكن أن تفسر رفاهية سويسرا وبؤس البرازيل ، وثروات البرازيل الطبيعية اضعاف ثروات سويسرا . والاستغلال الاستعماري الذي عانت منه شعوب امريكا اللاتينية وآسيا وافريقيا ، لاينفي ان اميركا اللاتينية التي تحررت من الحكم الأجنبي منذ مئة عام لم تتحرر بعد من التخلف . وهناك اقطار آسيوية وافريقية كالحبشة واليمن لم تخضع للاستعمار ، وهي من اشد اقطار العالم تخلفاً . ويعني هذا ان الاستقلال السياسي ، وهو حق لكل شعب من الشعوب لايكفي كضمانة لوحده للتحرر من التخلف . والاستغلال الطبقي الذي يتفاوت من بلد لآخر لاتكفي ازالته لبلوغ النعيم الموعود ، لان التركيز عليه دون سواه قد يؤدي الى تحويل المجتمع لطبقة واحدة من الفقراء بدون ان يؤدي الى التقدم . ويوجد في الهند والباكستان ملايين المزارعين الصغار الذين يملكون أراضيهم ويستغلونها بأنفسهم وهم مع ذلك في فقر مدقع . ورؤوس الأموال ضرورة لاغنى عنها للانماء والتقدم الاقتصادي ، ويتعذر توفيرها اذا كان الفقر مستشرياً لاستحالة ادخار اي جزء من المال الذي لابد من انفاقه على الضرورات المعاشية . ولكن بعض البلاد المتخلفة كفنزويلا متخمة بالرساميل ، وما تزال مع ذلك فريسة التخلف . ويشكل اكتظاظ السكان عقبة دون التقدم ، لان نسبة زيادة السكان تستهلك نسبة زيادة الدخل ، فيظل البلد المتخلف حيث هو . ولكن الصين الشعبية تعتبر ان كثرة سكانها هي رأسمالها الاقتصادي والسياسي الاكبر . واذا قارنا بين مساحة الجزيرة العربية وعدد سكانها ، تبين لنا ان ضآلة السكان ليس شرطاً كافياً للتقدم . والأسباب الثلاثة الأخيرة ، وهي الأمية وندرة المدربين والبطء في اقتباس المعارف والأساليب التكنولوجية ، هي اسباب مترابطة وحقيقية . ولكن اعتماد سياسة تربوية وتدريبية سليمة كفيل بالتغلب عليها .

ان هذه الأسباب قد توجد مجتمعة او متفرقة في الدول المتخلفة . وقد توجد كلها او يوجد بعضها في دولة دون الأخرى . ولكننا ، مادمنا نعتبرها اسباباً عارضة لا اسباباً جوهرية ، فالعلة الحقيقية ليست في وجودها الكلي او الجزئي ولكنها في وجود او انعدام السياسة الرامية الى التحرر منها على الصعيدين الوطني

والدولي . والعلة الحقيقية لاستمرار الهوة واستفحالها بين العالمين المتخلف والمتقدم هي في تبني سياسة التحرر من التخلف او التنكر لها . ولا تجدي في ذلك المناداة بالأيديولوجية الرأسمالية أو بالأيديولوجية الماركسية . فالأيديولوجية معرضة ، كما بين كارل ماركس نفسه ، لأن تصبح وسيلة لتبرير الوضع القائم ، أو وسيلة للدفاع عن سياسة مادون الأخرى . والموقف الأصح هو موقف اعتبار الطريق الرأسمالي أو الماركسي طريقين لا الطريقين الوحيدين اللذين يؤديان الى التقدم الاقتصادي أو التقدم الانساني . والرأسمالية والماركسية تعبران عن تجربتين تاريخيتين لمجموعتين من الشعوب تتجاوزهما التجربة الانسانية فيما هي عليه الآن من حركية شاملة . واذا كان من مبدأ ملزم لسياسة التحرر من التخلف ، وسياسة الخلاص من الهوة التخلفية التي تفصل أكثرية الانسانية عن أقليتها ، فهو المبدأ الذي نادى به كبار المفكرين الانسانيين ، اقتصاديين وغير اقتصاديين ، وهو أن الاقتصاد والتقدم هما في خدمة الانسان ، وليس الانسان في خدمة الاقتصاد . ويبدو التحرر من التخلف في ظل هذا المبدأ لخير الانسان من حيث هو انسان ، ولخير الانسانية كلها بأجنحتها الرأسمالية والماركسية وغير المنحازة . وقد أكد هذا المبدأ أحد كبار الاقتصاديين الفرنسيين «فرانسوا برو » François Perroux في كتابه حول اقتصاد القرن العشرين « L'Economie du XXè Siècle » . فذكر أن الاقتصادي الذي يستقرىء أطوار النمو الانساني استقراء علمياً صحيحاً يستخرج من استقرائه مبدأ ايديولوجيا واحداً ينطبق على الشرق كما ينطبق على الغرب . وهذا المبدأ هو « ان العمل الجمعي الوحيد الذي يمكن أن يُحدَّد اقتصادياً ، هو مبدأ استبعاد كل سياسة ترمي الى تهديم الأشخاص أو تبديد

الأشياء التي يمكن أن تنفع جميع البشر . والتعبير الأيديولوجي عن هـذا المبدأ هو أنه توجد ايديولوجية اقتصادية واحدة ، وهي ايديولوجية الاستخدام الكامل في السياق العالمي كُلِّه لجميع الموارد المادية والانسانية وأن تكون غاية هذا الاستخدام تأمين الأحوال المادية التي تعتبرها العلوم ضرورية لتفتح الانسان تفتحا كاملا . » أي أنها الأيديولوجية التي تستهدف في نفس الوقت الانسان كله ، والانسانية كلها .

وليس هذا المبدأ على ضوء تطورات العهد الذري فكرة رسولية تجريدية ، أو واجباً خلقياً مثالياً . لقد كانت له مثاليته في تعاليم الفلاسفة الأخلاقيين من زينون الى كانت ، وفي دعوات الرسل من بوذا الى المسيح فمحمد ، ولكن التواصل الدولي الراهن يصيره مبدأ لازما لكل سياسة واقعية دولية كانت أو وطنية . ولزومه اقتصادي واجتماعي كما هو سياسي . فهو لازم لاستقرار العالم وسلمه وتقدمه كما هو لازم لاستقرار وسلم وتقدم كل دولة من الدول . وهو لازم لرفاهية العالم وازدهاره كما هو لازم لرفاهية وازدهار كل أمة من الأمم . وقد ترجم پول هوفمن مدير الصندوق الخاص للأمم المتحدة هذه الواقعية الانسانية الجديدة الى أرقام في كتابه : « عالم متحرر من الحاجة » World Without Want فقال : « ان المئة بلد متخلف تفتح أفقاً اقتصادياً جديدا وعظيماً . فاذا ارتفع متوسط دخل الفرد في هذه البلاد في الستينات عاما بعد الآخر بمعدل (٢،٥ ٪) ، فان وارداتها من العالم المتقدم صناعياً ، التي بلغت مابين ١٩٥٠ و ١٩٦٠ (١٦٤ مليار دولار) ستبلغ في العشر سنوات الآتية مـابين ١٩٦٠ و ١٩٧٠ (٣٥٠ مليار دولار) . وتعني هذه الزيادة اذا ماحافظت الولايات المتحدة

على المعدل الحالي لتجارتها الخارجية ، ان صادراتها ستزداد قيمتها منذ ١٩٧٠ (٨,٥ مليارات) في العام الواحد . ويوجد الآن في الولايات المتحدة (٤,٥ مليون) عمل تقوم على التجارة الخارجية . ويتوقف (١,٧٥ مليون) منها على الصادرات الى البلاد المتخلفة . ويمكن أن يبلغ هذا الرقم عام ١٩٧٠ (٢,٧٥) مليون عمل بوقت كامل . »

ويمكن أن نضرب الامثلة الكثيرة المحسوسة الدالة على أن التحرر من الهوة التخلفية هو لخير الانسانية كلها أي لخير العالم المتخلف كما هو لخير العالم المتقدم . ونكتفي بمثل آخر نقتبسه من التقرير الذي نشرته مفوضية التخطيط في فرنسا عن حاجات فرنسا عام ١٩٨٥ تحت عنوان « افكار حول ١٩٨٥ » « Reflexions pour 1985 » . ويذكر التقرير ان فرنسا واوروبا ستستنفدان من الآن حتى عام ١٩٨٥ الكثير من مواردها المعدنية ، ولذلك ستضطران لاستيراد المزيد منها من الخارج ، وتؤلف نسبة استيرادها الآن خمسي ميزان المدفوعات الفرنسي ، وستؤلف عام ١٩٨٥ اربعة اخماسه . وسيكون عليها ان تعتمد اعتماداً كلياً على استيراد البترول والنحاس والرصاص والزنك والمنغنيزوم والفوسفات من الخارج أي من العالم المتخلف أكثر من سواه . ويضيف التقرير « ان التعويل بهذا المقدار على الموارد الدولية لابد أن يؤثر على السياسة الخارجية الفرنسية والسياسة الاوروبية » .

واذا كانت السياسات الدولية والوطنية لم تتأثر بعد بهذه الحقائق تأثراً كافياً، فذلك لأنها مازالت تسير تحت وطأة الماضي أكثر مما تسير من وحي الحاضر والمستقبل. وما تزال السياسات القصيرة الأمد تطغى على السياسات الطويلة الاجل.

وما تزال تتحكم فيها الاساطير والانفعالات أكثر مما تصنعها الحقائق والوقائع .
واخطر هـــذه الأساطير في نظرنا هي اسطورة الالتباس بين التخلف والفقر .
فالفقر موجود حيث يوجد التخلف وحيث يوجد التقدم . في الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، وهما طليعة التقدم، اقاليم وفئات فقيرة. وفي فنزويلا والبرازيل فئات وأفراد يفوقون في ثرواتهم الضخمة اغنياء الولايات المتحدة واوروبا. واذا أخذ العالم المتخلف ككل ،فانه غني بموارده الطبيعية ، وغني بموارده الانسانية اذا ماتوفرت لها التربية والدربة .ويؤكد بول هوفمان هذه الحقيقة الأولية في كتابه الآنف الذكر، ويقول : « **ان التقدم ممكن التحقيق . لأن أكثر البلاد المتخلفة تتوفر لها الموارد الانسانية والطبيعية التي تستطيع اذا مااستخدمت استخداماً افضل ان تخلق حياة افضل** » . ثم ينوه بعنصر جديد يؤثر تأثيراً ثورياً في نظرتنا الى الفقر والتخلف ، وهو التقدم العلمي والتكنولوجي ، فيقول : « **ان لنا حلفاء جدداً رائعين في نضالنا في سبيل التقدم. فالعلم والتكنولوجيا اعطيا البشر ادوات جـــديدة مدهشة لتحسين حياتهم كما اعطياهم طرقاً جديدة لبلوغ الكواكب. وتهيء لنا معرفتنا وامانينا الأهلية لنخلق بحرية عالماً متحرراً من الحاجة** » .

بل ان البحث العلمي كثيراً مابين ان البلاد المتخلفة هي أغنى مما تتصور . وذلك لأن أكثر هذه البلاد تبلغ الاستقلال ، وليس لديها كشف علمي صحيح لمواردها الطبيعية . وتبلغ الاستقلال ، وليس لديها فكرة واضحة عن أهمية الموارد الانسانية في التقـدم الاقتصادي . ويكفي كدليل محسوس على هذا النقص ، ان بعثات الصندوق الخـاص للأمم المتحدة تقوم الآن بعمليات دراسة موارد اربع

وعشرين دولة من الدول المتخلفة . ولنا مثل على مانقول في الشقيقة ليبيا ، التي قاومت الدول الاستعمارية الاعتراف باستقلالها على اعتبار انها افقر بلد في العالم ، وان فقرها لايسمح لها بالنشوء كدولة مستقلة . وكان متوسط دخل الفرد فيها لدى اعلان استقلالها ٣٥ دولاراً . ولكنها استطاعت بفضل مساعدة الأمم المتحدة ان تنظم ادارتها ومدارسها واقتصادها . وان تكشف ثروة ضخمة من البترول والغاز الطبيعي، يمكن أن تحررها من التخلف ، اذا ما استثمرت استثماراً صالحاً.

ونستطيع ان نتخذ من مثل ليبيا عبرة لما يمكن ان يحدث في بلاد متخلفة اخرى . ونستطيع ان نستدل منها على ان النظرة الاقتصادية الضيقة لاتكفي وحدها ، وان علم الاقتصاد وحده لايغني عن تعاون العلوم الانسانية كلها في تناولنا لمعضلات الهوة التخلفية . اننا نحتاج لنظرة كونية جديدة للانسان لاتستطيع ان تؤمنها لنا النظرة الاقتصادية وحدها ، مهما كانت اهميتها كبيرة للاحاطة بجزئيات الواقع الاقتصادي . وعلماء الانماء هم في مقدمة من ينبه لهذه الحقيقة . فيقول الأب ايري في تعليقه على كتاب « روعة الانماء » Le Scandale du Developpement الذي وضعه « جاك اوستروي » Jacques Austruy « ان الانماء يتناول مجموعة العلوم الانسانية والاجتماعية . واقتصاد الانماء معرض بالضرورة للعقم او للابتذاء الا اذا اصبح مركبا منظما يستخدم بالاضافة لعلم الاقتصاد ، الجغرافيا ، والجيولوجيا ، والاتنولوجيا ، والديموغرافية ، وعلم الاجتماع ، والايكولوجيا ، ويستفيد ايضا من المعارف التطبيقية التي تزوده بها فنون الزراعة والري والتنظيم المدني والادارة والارشاد وغيرها . »

إن السياسة اللازمة للتحرر من التخلف هي السياسة المستقبلية لا السياسة

الماضوية . وهي السياسة التي تعرف بالفرنسية Politique Prospective وهي سياسة تستهدي جميع علوم الانسان لاعلما واحدا منها دون الأخرى . وتفتح لنا هذه السياسة المستندة الى نظرة كونية ومستقبلية للانسان ابعادا وآفاقا جديدة في فهمنا للامكانات الانسانية وتقديرنا لها . فنرى فيها الانسان من حيث هو في حركة صيرورته الدائبة عبر الحاضر والماضي والمستقبل . ويبدو التخلف حينئذ طوراً من الاطوار العابرة لهذه الصيرورة . وقد حاولت نخبة من العلماء تطبيق هـــذا المنهج في كتاب اصدروه اخيرا عن « الانسان ومستقبله » Man And His Future ويضع جوليان هكسلي في مقدمة هذا الكتاب مصير الانسان في سياقه الكوني التطوري ، فيميز بين مرحلتين رئيستين للتطور الانساني المرحلة البيولوجية والمرحلة النفسية الاجتماعية . وتمتاز المرحلة الثانية بتنظيم انساني متنوع ومتجدد ادى اليه تطور الفكر التصوري ، ونشوء اللغة الرمزية ، وتراكم التجربة والمعرفة ونقلها بواسطة التقاليد . وعملية التطور في هذه المرحلة هي في الغالب عملية ثقافية تتجلى في تنوع المجتمعات وتنوع ادواتها العقلية كالفلسفات والشرائع والنظم الاجتماعية . ويستعرض هكسلي اهم خصائص هذه العملية الثقافية وعلاقتها بالواقع الانساني ، ثم يقول : « اذا نظرنا الى السياق الكامل للتاريخ الانساني كما تكشف عنه الآن جهود المؤرخين وعلماء الآثار وعلماء الانثروبولوجيا ، تبين لنا ان كل مايستحق ان نسميه تقدما تحقق بفضل معرفة جديدة او تنظيمات جديدة للمعرفة على شكل افكار . وهكذا نشأت الزراعة والوحدانية والرياضيات والملاحة البحرية والمنهجية العلمية والثورة الصناعية وغزوة الأوبئة واطالة الحياة بفضل نمو المعرفة وبفضل تنظيمها تنظيما افضل . »

ويعني هذا ان تحقيق التقدم في العالم المتخلف رهين قبل كل شيء بانتقال المعارف الجديدة والافكار الجديدة التي يقوم عليها التقدم من العالم المتقدم الى العالم المتخلف . ولا نخص بذلك المعارف والأفكار التطبيقية التي يدعوها علماء الاقتصاد « معرفة كيف Know How » فهذه المعارف واجبة الانتقال بطبيعة الحال . ولكن الاهم منها هو نطاقها النظري العام الذي يحتل فيـــه العقل مكان المكتشف اللانهائي للقوانين والظواهر الطبيعية والاجتماعية ، والمنظم السيد لهذه القوانين والظواهر . ونستعملُ عبارة « الاكتشاف اللانهائي » عن قصد ، لان العقل لا يعرف حداً لجهده المتواصل في سبيل اكتشاف الحقيقة .

ويخترقُ العقل بجهده هذا حجباً تبدو لأول وهلة وكأنها مســـدود ، ويكتشف امكانات جديدة ظهرت في الأمس القريب وكأنها استحالات . وتبدو لنا العلاقةُ الثورية بين هذا الانطلاق العقلي ومعضلة الهوية التخلفية ، اذا ماتذكرنا أن الصعوبة الكبرى ، التي تتحدى المتخلفين اليوم هي صعوبة التصنع . فالتقدمُ الفعلي في حضارتنا الحديثة هو التصنع . ويبدو التصنع ممتنعا على اكثر البـــلاد المتخلفة ، لانها قد تكون من اغنى بلاد العالم في معـــادن كثيرة كالبترول والغاز الطبيعي والزنك والفوسفات والنحاس والكروم وغيرها ، ولكنها فقيرةٌ في المعدن الأساسي اللازم للصناعة الثقيلة وهو الحديد او الفولاذ . ويبرز هنـــا مفعول الأفكار الجديدة او التنظيمات الجديدة للمعرفة التي اشار اليها هكسلي في مساعدة العالم المتخلف على الخروج من هذا المأزق . ويقترح علينا سبيل الخروج العالم الجغرافي الاسباني اينياسيو اولاج « Ignacio Olague » في دراسة موضوعها « الجغرافية السياسية والاطار الجغرافي » نشرتها مجلة ديوجين « Diogene » التي

تصدرها الاونيسكو في عددها السابع والعشرين . ويؤكد اولاج في هذه الدراسة ان الافكار الجديدة التي تعلمّها الانسانُ من وسطه او اوساط اخرى مكنته من التحرر من عبوديات بيئته الطبيعية. ويصح هذا في نظره في عصرنا الحاضر ، عصر التواصل الفكري ، اكثر مما يصح في أي عصر آخر . **« لاننا نجدُ الآن انفسنا امام حالة جديدة . وقد اصبح من المسلم به ان الميزان يميل في بعض العلاقات الجغرافية السياسية في اتجاه الفكرة لا في اتجاه العناصر الجغرافية الطبيعية ».** ويعني هذا انه قد آذنت نهاية الحتمية الجغرافية الطبيعية التي قررت حتى الآن مصير بعض البلاد المحرومة . واقتربت أيضاً نهاية تمركز الصناعة الثقيلة حيث تتواجد كميات كبيرة من الفحم الحجري والفولاذ . فالغاز الطبيعي يحل محل الفحم الحجري كمصدر للطاقة . والطاقة التي يولدها اكثر ثورية وبنائية من الطاقة الذرية ، لأنه ينتقل مسافات طويلة وبسهولة من بلد لآخر بل من قارة لأخرى . وستضع هذه الطاقةُ حداً للتلازم القائم الآن بين الفحم الحجري والحديد ، فتساعد على انتاج الصلب من تجمعات ذرية تركيبية جديدة تطبق الآن في الصناعات المتخصصة . وستقضي أيضاً على تمركز الصناعة الثقيلة في مناطق معينة . لأن سهولة توزيع الغاز ستؤدي ايضاً الى توزيع هذه الصناعات . ويؤكد اولاج ، ان هذا التوزيع آت عاجلاً أو آجلاً ، لان التلازم بين الفحم الحجري والحديد أصبح على وشك الزوال ، ثم يقول **« وحينئذ لاتكون الصناعة الثقيلة وقفاً على القلة بل تصبحُ في متناول الجميع »** .

ونستطيع ان نقدر افكار هذا العـــالم حق قدرها ، اذا ماتذكرنا اتفاق البترول والغاز ، الذي عقد أخيراً بين فرنسا والجزائر ، والذي اعتبر فتحاً

جديداً في حقل الاتفاقات الاقتصادية بين بلد متقدم وآخر متخلف ، لأن فرنسا تعهدت فيه بمساعدة الجزائر على ان تستفيد من مواردها من البترول والغاز في سبيل انماء الصناعة الجزائرية . ويعني هذا ان ثورة صناعية جديدة تكمن في أرضنا العربية ، بفضل مازخر به من موارد البترول والغاز ، بدون ان نتوصل بعد لاخراجها لحيز الوجود . وهذه الثورة هي سبيلنا الخلاق للتحرر من التخلف أي لحياة عربية افضل . ويعني ايضاً ان على الدول المتخلفة ان تعطي الأولوية في جهدها الانمائي لتعزيز قابلية شعبها لتلقي الأفكار الجديدة ، وخلق الأفكار الجديدة ، وتطبيقها تطبيقاً جديداً . والخاصة النفسية الرئيسية للتخلف هي التقليد ، والخاصة النفسية الرئيسية للتقدم هي الابتكار . واذا كان على البلاد المتخلفة ان تقتبس بالضرورة الأفكار التي سبقتها اليها البلادُ المتقدمة تكنولوجية كانت او ايديولوجية ، الا ان عليها ايضاً ان تقتبسها اقتباساً ابتكارياً . فاذا اقتبستها اقتباساً تقليدياً اعمى اوغلت في التخلف بدل ان تمضي في طريق التقدم .

وتعزيزُ هذه القابلية للابتكار رهين بانتشار التربية الصالحة لدى جميع أفراد الشعب . لأن أخطر وجه للهوة المستفحلة بين العالمين المتقدم والمتخلف هو في نظرنا الوجه التربوي والوجه الفكري . ولذلك نعتبر ان متطلبات تعميم التربية يجب ان تقدم على ايّة متطلبات انمائية اخرى . ويرجع هذا الرأي اليوم لدى علماء الانماء والاقتصاد . فينظرون للتربية على انها فعاليةٌ انتاجية لافعالية استهلاكية . واهميتها الانمائية هي ان البلد المتخلف قد يتلقى الرساميل والآلات من البلد المتقدم ، ولا يتوفر عنده فنيون مدربون لاستخدامها ، ولا يكونُ المواطنون في المستوى التربوي الذي يسمح بالاستفادة منها ، فتصبح الرساميلُ والآلاتُ عالة

من حالات التخلف بدل ان تكون وسيلة من وسائل التقدم . ويذكر « فردريك هاربسون Fredarick Harbison » الأستاذ في جامعـــة برنستون في كتابه عن «ستراتيجية انماء المورد الانساني لتحديث الاقتصادات» The Strategy of Human Resource Development in Modernignig Economics» ان اهلية أي بلد لاستعمال رأسماله الطبيعي استعمالا فعالا تتوقف على توفر الرأسمال الانساني، والعكس بالعكس . ولذلك يجب على السياسيين والمخططين ان يدركوا ان كل خطة انمائية لاتعطي الأولوية العليا لتكوين الرأسمال الانساني هي خطة غير واقعية ، وهي معرضة للفشل الاكيد . لان التجربة دلت دلالة مستمرة على ان اليد العاملة ذات المستوى الرفيع لاتظهر آلياً أو سحرياً كما تظهر السدود والطرقات والمصانع والمستشفيات ومحطات الراديو والمطارات » .

ان التحرر من الهوة التخلفية بوجهها التربوي ووجوهها الاخرى هو في اعتقادنا مسؤولية الانسانية كلها ، ولكنه في الدرجة الاولى مسؤولية العالم المتخلف نفسه . ولا يستطيع العالم المتخلف ان يتبرم من تقصير العالمين الغربي والماركسي في مساعدته اذا لم يعرف هو كيف يساعد نفسه .وبوسع العالم المتخلف ان يستمد من العالم المتقدم الأفكار والرساميل والآلات والفنيين ، ولكنه لايستطيع ان يأخذ منه الحكمة السياسية اللازمة ، ولا ان ينقل عنه السلوك السياسي او الخلقي اللازم لتصيير هذه المساعدات مقومات لنسق حياتي افضل . فهذه الحكمة هي مسؤولية قادة البلد المتخلف قبل كل شيء . وهذا السلوك هو مسؤولية مواطني البلد المتخلف قبل اي كان . وتوضع اصول هــذه الحكمة ،

وتبنى قواعد هذا السلوك ، في نوع التربية التي تعطى للمواطنين في مختلف مراحل التعليم .

ويجب ان تكون الغاية الرئيسية لهذه التربية تكوين المواطن الخالق لا المواطن المقلد . ونستعمل كلمة الخالق بدل المنتج ، لانها ذات مفهوم انساني شامل ، يتناول الانتاجية الاقتصادية وغيرها . فاذا اتخذت التربية لها هذه الغاية اصبحت الوسيلة الفضلى لدفع المجتمع من التخلف الى التقدم ، اي لاحداث ذلك التغيير الجذري في البنية الاجتماعية الاقتصادية ، الذي يجعلها قادرة على ان تؤدي وظائفها الانتاجية تأدية حديثة اي منتظمة ومستديمة استدامة ذاتية .

وليس تحقيق النمو ببلوغ رقم ما من متوسط الدخل يبدأ من ٥٠٠ دولار فما فوق ، فما الرقم الا دلالة . ولكن الأهم من ذلك هو حدوث هذا التغيير الجذري والنوعي في البنيات الاجتماعية — الاقتصادية لجميع البلاد المتخلفة . ويقدر بول هوفمان ان هذا التغيير سيتم حدوثه في العالم كله عام ٢٠٠٠ . وقد اعلنت الأمم المتحدة العشر سنوات المتقدمة ما بين ١٩٦٠ و ١٩٧٠ « حقبة الانماء » ، واتخذت هدف الحقبة تأمين معدل ٥٪ من النمو في جميع البلاد المتخلفة . ويأمل هوفمان ان تنجح هذه الحقبة ، وان تتبعها حقبات اخرى تمكن الانسانية من الانتصار على التخلف في نهاية القرن .

ويعتبر الاقتصاديون هوفمان من المثاليين المتفـــائلين . ويرون أن عملية الانتصار على التخلف والغاء الهوة بين العالمين المتقدم والمتخلف هي أشق وأطول مما يتصور . وتفاؤلية هوفمان مستمدة بعض الشيء من تجربته كمدير لمشروع مارشال لمساعدة اوروبا ، الذي تحققت في ظله معجزة انتعاش اوروبا الاقتصادي . وقد دلته هذه التجربة على أن الروح الأوروبية عجلت هذا الانتعاش أكثر ممـا عجلته المساعدة المالية . وقد وضع برنامج اعادة اوروبا لمستوى الانتـاج الصناعي والزراعي الذي كانت عليه عام ١٩٣٨ ، قدرت نفقات البرنامج بـ ٢٥ مليـار دولار . ولم يصرف بعد ذلك على البرنامج أكثر من ١٣ مليار دولار . وينسب هوفمان هذه المبالغة في تقدير النفقات « ... الى تجاهل عامل الروح الانسانية

في التقديرات الأولى. وهو العامل الذي ظهر في انصراف شعوب اوروبا للعمل بارادة وتصميم وأمل. فلم يمض عامان على الابتداء بالبرنامج حتى ارتفع الانتاج الزراعي الأوروبي ٢٠٪ ، وارتفع الانتاج الصناعي ٤٠٪ عما كانا عليه عام ١٩٣٨. »

ولا بد من التمييز بين متطلبات الانتعاش الأوروبي ومستلزمات التحرر من التخلف. ولكن العامل النفسي يفعل فعله في العمليتين. ويبدو لنا ان العامل النفسي الرئيسي ، الذي ساعد على سرعة انتعاش اوروبا ، هو شعورها بأنها أم الحضارة الحديثة ، التي كانت تحاول أن تستعيد مركزها الاتاجي فيها ، واعتقاد قادتها بأن على أوروبا أن تشارك مشاركة خلاقة في تقدم هذه الحضارة. ومثل هذا التحرر من العقد العقلية والنفسية ، التي تعوق الاقبال الخلاق على الحضارة الحديثة هو في نظرنا شرط من شروط الانتصار على التخلف. لأن هذا الانتصار رهين في حده الأخير بالانبثاقات الثورية الفكرية والعلمية ، التي نوه بها هكسلي وأولوج أكثر مما هو رهين بالسياسات الدولية. ولا مفر لهذه السياسات من التكيف عاجلا أو آجلا مع هذه الانبثاقات ، التي لم يعد بالامكان حصرها في بلد دون الآخر. وسيكون القول الفصل للجهود العلمية ، التي تبذل الآن لاستخدام الطاقة الذرية في سبيل الأغراض السلمية ، والتوسع في استعمال طاقات جديدة كالطاقة الشمسية واصطناع هاتين الطاقتين وغيرهما لتحويل الصحارى الى واحات ، واستخراج مياه عذبة وأغذية جديدة من المحيطات ، واجتراح عمليات جديدة لتحويل المنتجات الزراعية والصناعية. ولذلك فان السبيل الأول للتحرر من التخلف هو تفتح العقل لمعجزات التقدم العلمي ، والتمرس بطرق تطبيقها في تنظيم الحياة تنظيماً انمائياً جديداً. وليس مثل هذا العقل المتفتح عقل العقائدي الذي يرى

الفكرة ولا يرى علاقتها بالواقع والتطبيق ، ولا عقل الذرائعي الذي يرى الواقع والتطبيق ولا يرى أية فكرة قبلها أو بعدها ، ولكنه عقل المهندس الاجتماعي أو الانمائي ، رائد التقدم ، الذي تبقى العلاقة حية وخلاقة في نفسه بين الفكرة والواقع وبين الخطة والتطبيق . وهؤلاء المهندسون الاجتماعيون والانمائيون هم الرأسمال الانساني اللازم للتحرر من التخلف . فهم يمثلون الشخصية الجديدة للسياسي والاداري والمهاري والمحامي والطبيب والأستاذ الذي ينظر الى وظيفته الخاصة من خلال وظيفته العامة كمشارك خلاق في انماء مجتمعه ، وينظر الى انماء مجتمعه كجزء من عملية كونية شاملة لانماء الانسانية كلها . ويظل يتابع هذه العملية غير مقيد بحقب وآماد ، وغير متراجع أمام الصعوبات والانتكاسات ، لأن الكون كله في نظره مختبر للتجربة والخطأ ، والكون كله تتحداه الآن ، بفضل التقدم العلمي الخارق تجربة جديدة ، يمكن أن تذهب بالانسان ، او أن تصنع له حياة جديدة . والمهندس الاجتماعي او الانمائي هو مهندس هذه الحياة الجديدة ، أي انه مهندس وطن جديد وعالم جديد يسود فيها السلم والمعرفة والتقدم والحرية والعدالة والأخوة الانسانية الحقيقية .

ونحن على يقين بأن الصعوبات التي يعانيها الوطن العربي اليوم ، هي صعوبات المخاض الانمائي والمخاض الحضاري الجديد . وأملنا كبير بأنه سيتغلب على هذه الصعوبات ، وسيتحرر من التخلف ، وسيسهم في ازالة الهوة بين المتقدمين والمتخلفين ، وسيعود في الغد كما كان بالأمس ، قاعدة نموذجية من قواعد التقدم الحضاري . لقد قدمنا للانسان أهم أداة للتقدم الفكري : الرموز الأبجدية ، وقدمنا له اصدق دعوات للتقدم الخلقي : الرسالات الروحية ، وسنتابع هذا الجهد الخلاق ونظل قاعدة راسخة لانتقال الانسان من التخلف الى التقدم أي لانطلاقه من حال الضرورة الى حال الحرية .

الاقتصاد السياسي للاشتراكية

للاقتصادي البولوني

اوسكار لانجه

عن الانكليزية

ترجمة الدكتور هشام متولي

ان الاشتراكية نظام اقتصادي جديد . نظام في طريق التشكل . وبالتالي فان النظريات الاقتصادية المتعلقة بهذا النظام مازالت في مراحلها . انكم تدركون أن فهم سير العمليات الاقتصادية للنظام الرأسمالي تطلب وقتاً طويلاً ؛ ولست واثقاً كل الثقة اننا توصلنا الى فهمها تماماً حتى يومنا هذا ، وذلك لأن النظام الرأسمالي هو

(*) كان المرحوم الأستاذ أوسكار لانجه قد القى هذه المحاضرة The Political Economy of socialism في بلغراد عام ١٩٥٧ ، وفي لاهاي بدعوة من الأستاذ تنبرجن Tinbergen (الذي زار سورية عام ١٩٦٤ كخبير اقتصادي في شؤون التخطيط بدعوة من الحكومة عام ١٩٥٨ . وقد نشر المعهد الهولندي Institue of Social Studies هذه المحاضرة واخرى عن « دور التخطيط في الاقتصاد الاشتراكي » التي سننشر ترجمتها في كراس خاص . والأستاذ لانجه اقتصادي ومخطط شهير في العالم ، وكان يشغل منصب نائب رئيس الدولة لشؤون التخطيط في بولونيا . هذا ، ومن الجدير بالملاحظة ان ترجمة الأفكار لا تعني تبنيها . **المترجم**

في تبدل وتطور مستمر . وهكذافانه ليس من المستغرب ان تكون القضية المتعلقة بالنظرية الاقتصادية للنظام الاشتراكي هي قضية جديدة ، كما ان طريقة معالجتها بصورة علمية تظل مؤقتة وعرضة للتغيير .

ان مؤسسي الاشتراكية العلمية ، ماركس وانجلز ، كرسا جهودهما لتحليل الاقتصاد الرأسمالي . أما فيما يتعلق بالاقتصاد الاشتراكي ، فقد اقتصرت مساهمتهما على ايراد بعض الملاحظات العامة ، ورفضا من حيث المبدأ الدخول في التفاصيل ، وذلك خشية عدم القيام بعمل علمي ، والانجراف وراء الخيال . كذلك فان الحركة الاشتراكية الكبرى التي ظهرت في القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين كرست كامل جهودها لتحليل النظام الرأسمالي تحليلاً علمياً ، ورغم هذا فان كتابات بيبل Bebel و كوتسكي Kautsky قد ألقت بعض الأضواء على المجتمع الاشتراكي .

ولكن الحالة تغيرت بعد الحرب العالمية الاولى ، اذ ان مشكلة بناء الاشتراكية اصبحت مشكلة عملية تحت ضغط وتأثير الثورة الروسية . كذلك الأمر في أوربا الوسطى — في المانيا والنمسا — فالثورة التي اندلعت في هذه الامكنة طرحت مشكلة التحول من النظام الرأسمالي الى النظام الاشتراكي . ومنذ هذه الفترة توفرت لدينا بعض الكتابات التي عالجت القضايا الاقتصادية للاشتراكية . وفي الاتحاد السوفييتي كان لينين اول من طرح المسائل المتعلقة بالاقتصاد الاشتراكي على بساط المناقشة والبحث .

كذلك تعرض لبحث هذا الموضوع في كتاباتهم كل من بوخارين Bucharin وبريوبرا زنلسكي Preobra Zenski وستروميلين Strumilin وكتاب آخرون . ومع الحركة الاشتراكية — الديموقراطية التي ظهرت في ذلك الوقت ، انتشر ادب عالج المشاكل المتعلقة بالاقتصاد الاشتراكي على يد بوير Otto Bauer و كوتسكي Kautsky وآخرين .

كذلك فانه خلال هذه الفترة ظهر بعض الكتاب غير الماركسيين وعالجوا القضايا المتعلقة بالاقتصاد الاشتراكي وحاولوا اثبات استحالة وضع حسابات اقتصادية بصورة صحيحة في ظل النظام الاشتراكي . وهكذا طرح كل من ماكس ويبر Max Weber وميزس Mises وهايك Hayek بعض التساؤلات التي حاول الكتاب الاشتراكيون الاجابة عليها . وكتبت انا عن هذا الموضوع ، كما عالجه ايضا اقتصاديون الكثير امثال ليرنر Lerner وديكنسون Dickinson وموريس دوب Maurice Dobe .

وفي الوقت ذاته اصبح النظام الاشتراكي في الاتحاد السوفييتي نظاما عمليا موضوعا موضع التطبيق الأمر الذي تولدت عنه تجارب جديدة . ولم ينتج عن هذه التجارب في ذلك الوقت الا بعض التعليلات النظرية (والتي نجد بعضها في كتابات اوستروفيتيانوف Ostrovitianov) اما المحاولة الجدية الأولى لاستنباط بعض الافكار النظرية العامة من التجارب التي مر بها اقتصاد الاتحاد السوفييتي فكانت على يد ستالين في كراسه الشهير « القضايا الاقتصادية للاشتراكية في الاتحاد السوفييتي » ، كذلك كتاب الاقتصاد السياسي الذي نشرته اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي . وكانت هذه الكتابات محاولة لوضع أسس نظرية اقتصادية مستمدة من التجارب التي مر بها الاقتصاد الاشتراكي في الاتحاد السوفييتي . وفي الوقت ذاته ظهرت تجارب اقتصادية اشتراكية اخرى في بلدان متعددة . في يوغوسلافيا اولا ، ثم في الصين وبولونيا وبقية الديمقراطيات الشعبية . وهكذا يبدو أن السير بطريق التحليل النظري للتوصل الى استنباط افكار تركيبية Synthetical لمبادىء الاقتصاد السياسي الاشتراكي يتجه ببطء نحو النضج .

من المؤكد ان هذه النظرية التركيبية لايمكن أن تكون اكثر من اولية ومؤقتة . على أن ماسأذكره يمثل فقط وجهة نظري الشخصية . وقد تعرض الاقتصاديون البولونيون فيما بينهم لمناقشات كثيرة حول هذا الموضوع ، وخرجوا بوجهات نظر عديدة وكثيرة الاختلاف وهذا طبيعي جدا اذا ماأخذ بعين الاعتبار أن دراسة الموضوع المذكور مازالت في مراحلها الأولى . لذلك ذكرت اني سأورد وجهة نظري حول الموضوع ، وهي وجهة نظر شخصية . والسبب ذاته ايضا لن استغرب من نفسي اذا ماغيرت من وجهة نظري حول بعض المسائل المتعلقة بهذا الموضوع في المستقبل ، وذلك بسبب ماقد يظهر من دراسات جديدة ، واستناداً الى تطور بعض تطبيقات وتجارب الاقتصاد الاشتراكي .

ان الاساس الذي ترتكز عليه الدراسة العلمية للاقتصاد السياسي الاشتراكي هي

الافتراض انه توجد قوانين اشتراكية موضوعية في المجتمع الاشتراكي . سأبدأ حديثي بالاشارة الى ان المجتمع الاشتراكي يخضع اولا الى القوانين العامة للتطور الاجتماعي ، تلك القوانين الصاغة استنادا للنظرية المادية التاريخية ، ثم الى قوانين اقتصادية خاصة .

ففيا يتعلق بالقوانين العامة للتطور الاجتماعي ، يبدو انه قد عمد احياناً الى نفي كون المجتمع الاشتراكي يخضع لقوانين المادية التاريخية . ففي بولونيا مثلا ، كان العالم الاجتماعي الماركسي الكبير « كرزيويكي Krzywicki » يؤكد أن قوانين المادية التاريخية غير قابلة للتطبيق على المجتمع الاشتراكي . ولكن الى جانب هذا الرفض او الانكار الصريح والنهائي ، غالباً ماوجد رفض ضمني وغير مباشر لاعتبار المجتمع الاشتراكي يخضع لقوانين المادية التاريخية . وقد بدأ ذلك بانكار كون تطور المجتمع الاشتراكي يتم بفعل ومن خلال التناقضات . وغالبا ماساد التفكير ان جميع التناقضات الاجتماعية ، بل كافة التناقضات المتعلقة بالحياة الانسانية ، تزول آلياً او تلقائيا في المجتمع الاشتراكي .

ان هذه النظرة الأمور لاتتفق مطلقا مع النظرية الماركسية . انها تمثل نظرة دينية ، ان صح هذا التعبير ، وليست نظرة ماركسية علمية . ذلك ان النظام الاشتراكي ليس مجرد تحقيق وتجسيد لمثالية دينية او لمملكة الاله على الارض ، بل هو مرحلة جديدة في تطور المجتمع الانساني . هذا التطور الذي يمكن ويجب ان يدرس على اساس الطرق الماركسية في التحليل تلك هي أهمية ماوتسي تونغ Mao TseTung الذي اشار باصرار الى ان المجتمع الاشتراكي يتطور هو ايضا بفعل التناقضات .

وتبعا للنظرية المادية في التاريخ ، هناك نوعان من التناقضات الاساسية التي تشكل العامل المحرك للتطور الاجتماعي : فأولا هناك التناقض القائم بين نمو وتطور الطاقات الانتاجية والطابع التقليدي لعلاقات الانتاج ، وثانيا هناك التناقض القائم بين علاقات الانتاج ، او مايدعونه بالاساس الاقتصادي للمجتمع ، والركائز العليا لتنظيم الاقتصاد وادارته ، والتنظيم السياسي ، والسلوك النفساني والاخلاق ، والتقاليد المحافظة على العادات . الخ ، وتحتل هذه التناقضات الاساسية دورها في سير تطور المجتمع الاشتراكي . وعلى كل حال فان الفارق الاساسي بين المجتمع الاشتراكي والمجتمعات القائمة على اساس سيطرة او هيمنة طبقة على بقية الطبقات يكمن في كون التناقضات ، في هذه المجتمعات الاخيرة وفيما يتعلق خاصة بالتناقضات بين نمو وتطور الطاقات الانتاجية والطابع التقليدي لعلاقات الانتاج ، ترتبط بالمصالح الطبقية

وتخذ شكل صراع الطبقات ، الامر الذي لايمكن حدوثه في ظل المجتمع الاشتراكي. لذلك فاننا عندما نتحدث عن هذه التناقضات في ظل النظام الاشتراكي فاننا نتكلم عنها كما لو لم تكن مولدة للتناقضات .

ولكن هذا لايعني انه لاتحدث صراعات اجتماعية في المجتمع الاشتراكي . وذلك لأنه ، بالاضافة لوجود الطبقات الاجتماعية ، توجد فئات Strata اجتماعية . والفارق بين الطبقات الاجتماعية والفئات الاجتماعية يكمن في انه في حين يتمثل الاساس الاقتصادي للطبقات الاجتماعية في علاقات الانتاج نجد أن الاساس الاقتصادي للفئات الاجتماعية يتمثل بالشكل الخاص للبنيات العليا او الفوقية Superstructure للمجتمع . مثال ذلك : يشكل الرأسماليون طبقة في المجتمع الرأسمالي ، ولكن رجال المصارف ، والتجار ، ورجال القانون، ورجال الدين ، وموظفي الدولة ، يشكلون فئات اجتماعية . وان الاساس الذي تقوم عليه هذه الفئات نجده في تنظيمات البنيات العليا للمجتمع ، وليس في علاقات الانتاج . اما فيما يتعلق بمصادر دخولهم ، فيمكن القول انه في الحين الذي يأتي فيه الدخل بالنسبة للطبقات الاجتماعية من توزيعه الاولي ، أي من الاجور ومقادير فضل - القيمة ، فان الفئات الاجتماعية تحصل على دخولها من توزيعه الثانوي . فموظفو الدولة يحصلون على دخولهم مثلا من حصيلة الضريبة ، ورجال الدين من الهبات ، والتجار ورجال المصارف من جزء من مقادير فضل القيمة التي تشكل علاوات لنشاطاتهم غير الانتاجية (ولكنها نشاطات ضرورية في المجتمع الرأسمالي).

وفي كل مجتمع توجد طبقات اجتماعية كما توجد فئات اجتماعية . وهذا يعني انه اذا كان يمكن التناقضات ان تتشكل خلال مراحل تطور المجتمع الاشتراكي بين الحاجات الاساسية للاقتصاد وبين البنيات العليا والقديمة ، وذلك كطرق ادارة الاقتصاد القومي ، والبنيات المتعلقة بالسياسة وغيرها ، يمكن لها ايضا ان تؤدي الى توليد التناقض بين الحقوق المكتسبة لبعض الفئات ، الامر الذي يجعل من الصعوبة بمكان احداث تغييرات. ولكن هذه الفئات ليست بطبقات اجتماعية ، أي ليس هناك من صراع طبقي . وان التغلب على هذه العقبات لايتطلب احداث تغيير جوهري في علاقات الانتاج ، أي القيام بثورة اجتماعية ، رغم انه يمكن لذلك ان يؤدي الى تخلخل البنيات العليا خلال فترة تحول وتكيف هذه البنيات وفقا للمتطلبات الجديدة للاسس الاقتصادية للمجتمع .

ذلك هو اكثر مايمكن قوله فيما يتعلق بسير قوانين المادية التاريخية في المجتمع الاشتراكي.

هذا ، ولا اريد ان ادخل في الحديث اكثر من ذلك حول ماعكن ان يحصل فيا يتعلق بدور الفئات الاجتاعية في المرحلة الانتقالية نحو الشيوعية ، وذلك لاعتقادي ان كل ما نستطيع قوله في الوقت الحاضر لن يكون له اساس علمي حقيقي بسبب نقص المعلومات عن التجارب التطبيقية في هذا الميدان .

اما المشكلة الثانية فتتعلق بسير القوانين الاقتصادية في المجتمع الاشتراكي . وكان عدد من الاقتصاديين الماركسيين قد تبنى وجهة النظر القائلة : إن القوانين الاقتصادية لا تلعب اي دور في المجتمع الاشتراكي وان الاقتصاد السياسي كعلم سيزول بزوال الرأسمالية . ان ابرز من قال بهذا الرأي هو روزا لوكسمبرغ Rosa Luxemburg حيث اعلن في جملة شهيرة بأن ثورة الطبقة العاملة (البروليتاريا) هي العمل الاخير للاقتصاد السياسي على اعتباره علماً . من المحتمل ان يكون الاقتصاديون الماركسيون الآخرون الذين تبنوا وجهة النظر هذه ، وخاصة في السنوات الاولى للثورة الروسية ، واقعين تحت تأثير افكار روزا لوكسمبرغ . فقد تبنى بوخارين Bucharin ومدرسته ، بصورة اساسية ، وجهة النظر المذكورة ، اي ان الاقتصاد السياسي هو علم خاص بالنظام الرأسمالي وانه سيزول بزواله ولكن لم يكن كذلك رأي ماركس ، وانجلز ، ولينين . ومع ذلك فليس فيا تقدم ذكره اهم وجه النقاش ، اذ إن النقطة الاهم هي ان تجربة الاقتصاد الاشتراكي قد اظهرت ان القوانين الاقتصادية تطبق وتعمل في ظل هذا الاقتصاد .

وكان قد ظهر اتجاه خلال فترة معينة من تاريخ الاتحاد السوفييتي . رغم ان هذا الاتجاه لم يعبر عنه دوماً بصورة واضحة وصريحة ، مفاده انكار امكانية تطبيق القوانين الاقتصادية في ظل النظام الاشتراكي ، والاعتقاد بانه يمكن لموجهي السياسة الاقتصادية في دولة اشتراكية ان يتصرفوا كما يريدون . واطلق الاقتصاديون السوفييت فيا بعد على هذا الاتجاه اسم Voluntarism .

والفارق الأساسي المتعلق بسير القوانين الاقتصادية في مجتمع رأسمالي ومجتمع اشتراكي هو ان هذه القوانين لا تعمل في ظل المجتمع الاخير وكأن يد الانسان لا تتحكم فيها Elemental Way بل نجد العكس وهو ان المجتمع المنظم يخلق ، بصورة واعية ، وبطريقة مدروسة ، الظروف التي تحدد سير وتطبيق القوانين الاقتصادية . ونتيجة ذلك انه يمكن تكييف تطبيق القوانين الاقتصادية تبعاً للارادة البشرية ، تماماً كما يتمكن الانسان ، من خلال

الطرق التقنية و التكنولوجية » الحديثة ، من استخدام قوانين الطبيعة وجعلها تعمل وفقا لارادته . ذلك هو مفاد الفكرة الشهيرة التي كان قد تكلم عنها انجلز عندما تحدث عن المجتمع الذي يصبح قادرا على ان يراقب بوعي قوانين تطوره الذاتي ، والتي دعاها « بالقفزة من مملكة الضرورة الى مملكة الحرية » .

وفي مجال الحديث عن القوانين الاقتصادية العامة في مجتمع اشتراكي . اظن انه بامكاننا تمييز اربعة نماذج لها ، وذلك تبعاً للطريقة التي ترتبط بموجبها هذه القوانين بالاسلوب الاشتراكي للانتاج .

أولاً ، هناك قوانين اقتصادية تتسم بكونها عامة لانها تعمل في ظل كل نظام اجتماعي - اقتصادي انها القوانين المتعلقة بالانتاج وتجديده . وعلى وجه التحديد هي القوانين المتعلقة بالصفات العامة لتنظيم سير العمل وتقسيمه بالتعاون ، وبالدور غير المباشر للعمل المتبلور في وسائل الانتاج ، والعمل الذي يساهم مباشرة في سير عملية الانتاج . ومن ثم قوانين تجديد الانتاج المتعلقة باستبدال وسائل الانتاج الهالكة خلال سير عملية الانتاج ، وبتوزيع الانتاج بين الاستهلاك والتراكم ، وقوانين التوازن خلال مرحلة سير عملية تجديد الانتاج لمختلف فروع النشاط الاقتصادي . ان هذه القوانين قابلة للتطبيق في ظل اي نظام من انظمة الانتاج سواء اكان اشتراكيا ، او رأسماليا ، او اقطاعيا ، او اي نظام آخر . فمن البديهي القول اذن ان هذه القوانين الاقتصادية العامة تطبق ايضا في اقتصاد اشتراكي . وتقيم هذه القوانين اوضاعا من التوازن التقني Technical Balances بين المواد او الاشياء المادية . فتبين مثلا انه لا يمكن لاحد ان يعمل على مراكمة الثروة اذا كان الآخر يستهلك كامل الانتاج ، وانه لايمكن لأحد ان يؤمن عملية تجديد الانتاج اذا لم يعمد الآخر الى استبدال وسائل الانتاج الهالكة ، وانه اذا رغب البعض بانتاج كمية معينة من الفولاذ ، فالبعض الآخر يحتاج لكمية معينة من الفحم لتحقيق ذلك . ان هذه الانواع من التوازن بين المواد او الاشياء المادية لابد من توفرها في اي نظام اقتصادي كائناً ما كان النظام الاجتماعي القائم ، وذلك لارتباطها بسير عمل طاقات وقوى الانتاج .

اما النموذج الثاني فيتألف من القوانين الخاصة بالطريقة الاشتراكية في الانتاج ، اي جميع القوانين التي تحددها علاقات الانتاج في النظام الاشتراكي . ان علاقات الانتاج هي تلك التي تحدد الدوافع التي تتحكم بالنشاط الاقتصادي فملكية وسائل الانتاج تحدد الاهداف التي ستستخدم وتوجه بها وسائل الانتاج هذه لتحقيق هدف الربح ، كما هو الحال في ظل النظام الرأسمالي حيث تكون

ملكية هذه الوسائل فردية اوخاصة ، او على العكس ، حيث يكون الهدف من استخدام وسائل الانتاج في ظل النظام الاشتراكي هو تحقيق واشباع حاجات المجتمع . في الواقع اننا لا نأتي بشيء جديد ، فالفكرة بجوهرها موجودة لدى ماركس . ومفادها اننا عندما ندرس نظاما اجتماعيا يجب علينا ان نكشف القانون الاقتصادي الذي ينظم النظام بكامله والذي يتعلق بعلاقات الانتاج . في ظل النظام الرأسمالي نرى ان هذا القانون يعني ان الانتاج يتم لتحقيق المصالح الخاصة . اما في ظل النظام الاشتراكي فانه يعني ان الانتاج يحقق لاشباع الحاجات الاجتماعية . وهكذا فاننا نجد بادىء ذي بدء هذا « القانون الاساسي » لشكل طريقة من طرق الانتاج والذي يحدد الهدف الذي يتحقق بموجبه استخدام وسائل الانتاج .

وبالاضافة الى الهدف الذي يتحقق بموجبه استخدام وسائل الانتاج ، والذي بموجبه يكون سير الانتاج بكامله منظما ، فان علاقات الانتاج تحدد هي ايضا الطريقة التي يتم بموجبها التفاعل الاجتماعي (الفعل ورد الفعل) Social Interaction لنشاط وفعالية الكائن الانساني . ومثال ذلك ان هذا التفاعل للجهود البشرية اما ان يأخذ شكل المزاحمة (المنافسة) ، او شكل الانحصار (الاحتكار) ، او شكل الادارة التخطيطية . وهذه ايضا هي نتيجة لطريقة الانتاج ، واننا لنجد هنا ان العلاقات الاشتراكية في الانتاج تؤدي الى ظهور قوانين اقتصادية خاصة .

هناك نتيجتان للعلاقات الاشتراكية في الانتاج ، اي للملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج . الاولى هي ان الهدف من الانتاج والنشاط الاقتصادي هو اشباع حاجات المجتمع . اما الثانية فهي ان الطريقة الأساسية للتفاعل الاجتماعي في ميدان النشاط الاقتصادي هي التخطيط ، واعني بهذه الكلمة الارشاد او التوجيه الواعي لسير الحياة الاقتصادية من قبل مجتمع منظم . لن اتعرض هنا للحديث عن الطريقة الواجب اتباعها في ميدان التخطيط : مركزي ام غير مركزي وغير ذلك ، بل عن هذا الواقع من ان كون وسائل الانتاج في ملكية المجتمع يؤدي الى نتيجة هي ان مجمل عمليات الانتاج وسير الحياة الاقتصادية انما يتمان تبعاً لارشاد وتوجيه واع ، ولغاية معينة من قبل المجتمع الاشتراكي . وبهذا المعنى يكون التخطيط قائما في المجتمع الاشتراكي . وهنا يكمن السبب في كون القوانين الاقتصادية في مجتمع كهذا ليست بمعزلة عن ارادة الانسان ، بل ان سيرها انما يخضع ويوجه ، وبصورة واعية ، لاشباع الحاجات البشرية .

والى جانب القوانين الاقتصادية العامة التي يمكن تطبيقها في ظل اي نظام اجتماعي ، والقوانين

الخاصة بنموذج معين للانتاج ، توجد ايضاً القوانين التي تحتل مركزاً اوسطاً بحكم طبيعتها . انها ليست بالقوانين العامة ولكنها تخص او تتعلق بأكثر من نموذج واحد في الانتاج . انها تعمل في ظل عديد من نماذج او طرق الانتاج ، وتمثل بعض الصفات المشتركة لهذه النماذج او الطرق .

ومثل ذلك القوانين الاقتصادية الناتجة عن انتاج السلع ، كقانون القيمة . وبما ان انتاج السلع يقتضي عملياً التبادل بواسطة النقد ، تجب ايضاً الاشارة الى القوانين الأساسية عن التداول النقدي . يمكننا نظرياً أن نميز سير تبادل السلع عن التداول النقدي ، ولكن العمليتين ترتبطان ببعضهما ، من وجهة عملية ، بصورة دائمة . فتبادل البضائع في المجتمعات المتقدمة يجري بواسطة النقد . لذا اود أن اضيف هنا ايضاً القوانين الأساسية للتداول النقدي .

ان انتاج السلع ، وبالتالي قوانين القيمة والقوانين المتعلقة بالتداول النقـدي ، وجدت وعمل بموجبها في المجتمعات خلال مرحلة ماقبل الرأسمالية ، ولكن ضمن نطاق ضيق ومحدود. اما في ظل النظام الرأسمالي فان الانتاج بكامله يأخذ شكل انتاج سلع ويخضع لقانون القيمة والقوانين المتعلقة بالتداول النقدي . ويستمر مفعول قانون القيمة في ظل الاقتصاد الاشتراكي لأن الانتاج يستمر في أخذ شكل انتاج سلعي . وان سبب كون الانتاج في ظل الاقتصاد الاشتراكي هو انتاج سلع او بضائع وبالتالي خضوعه لقانون القيمة ، هو وجود عـدد كبير من المالكين لملكية جماعية المنتجات في المجتمع الاشتراكي . وان تعـدد مالكي المنتجات في المجتمع الاشتراكي ينتج من صفتين مميزتين لهذا المجتمع . ينتج اولاً عن وجود طرق متعددة من الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج ، الأمر الذي ينتج عنه انه لايوجد مالك واحد لوسائل الانتاج ، بل كثرة من هؤلاء المالكين . وينتج ثانياً عن طريقة توزيع المنتجات في المجتمع الاشتراكي ، طريقة تتحول بموجبها ملكية المنتجات المنتجة وفقاً للاسلوب الاشتراكي في الانتاج الى ملكية خاصة للمستهلكين .

أما عن سبب وجود طرق أو أشكال متعددة للملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج ، فهو تاريخي . فكما نعرف أن وسائل الانتاج في البلدان الاشتراكية الحاضرة يمكن ان تكون مملوكة اجتماعياً ، أي يمكن لها أن تكون في ملكية الأمة بمجموعها كما يمكن لهـا أن تكون مملوكة من قبل التعاونيات أو البلديات أو مختلف الشركات والمؤسسات ، كمؤسسة اتحاد العمال مثلاً . وهكذا نرى أن هناك أشكالاً مختلفة ومتعددة للملكية الجماعية في النظام الاشتراكي . ويعود سبب تعدد نماذج الملكية الجماعية هذه الى شروط تاريخية تم خلالها الانتقال أو التحول من المرحلة الرأسمالية الى المرحلة الاشتراكية . ومن وجهة النظر هـذه تختلف الأمور باختلاف البلدان . في القرن

التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ذهب أغلب الاشتراكيين الى أنه سيكون هناك نموذج واحد للملكية الاجتماعية التي يمكن تسميتها بالملكية القومية أو الوطنية التي ، بعد أمد طويل ، أي عندما تذوب الدول القومية الاشتراكية في عالم واحد من الاتحاد الاشتراكي ستتحول الى ملكية اشتراكية عالمية . تلك كانت الصورة السائدة لحركة الاشتراكية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . كذلك ذهب المفكرون الاشتراكيون في ذلك الوقت الى أن التحويل الاشتراكي يتم بكل بساطة عن طريق نزع الملكية من الطبقة الرأسمالية التي تكون قد اتجهت أكثر فأكثر نحو التمركز ، بحيث يمكن القول أن تحقيق الثورة الاجتماعية هو على الأغلب عمل سهل وبسيط .

وقد أظهرت تجربة التاريخ أن أزمة النظام الرأسمالي قد حصلت في وقت سابق ، أي قبل أن يتمكن هذا النظام من أن يكشف وينمي اتجاهه في هدم النماذج غير الرأسمالية في الانتاج وخاصة انتاج السلع على صعيد ضيق ومحدود . ويرتبط هذا الأمر بظاهرة الاستعمار . والنتيجة هي أن انهيار الرأسمالية يتم أولا في أقل البلاد نموا . وتبدأ التجربة الاشتراكية أولا في هذه البلدان التي يتعها الاستعمار من التطور وفقاً للنموذج الرأسمالي . وهكذا فانه بالاضافة الى نزع الملكية الخاصة من الطبقة الرأسمالية ، الأمر الذي يؤدي الى نموذج واحد من الملكية الاشتراكية أي الملكية الاجتماعية ، يجب تنظيم الملكية الاشتراكية على أساس انتاج السلع على صعيد ضيق ومحدود ، الأمر الذي يؤدي الى الكشف عن الأهمية الكبيرة للنموذج التعاوني للملكية الاشتراكية .

وتتمكن الطبقة العاملة في بعض البلدان من التوصل الى مراقبة الحكم المحلي قبل أن تتوصل للاستيلاء على السلطة أو الدولة . ومن شأن ذلك أن يؤدي الى تقدم وزيادة نماذج الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج على صعيد الادارات المحلية أو البلديات أو المحافظات .

ولكن ماتقدم قوله لايستنفذ كافة الامكانيات . والذي أود اثباته هو أن الظروف التاريخية الخاصة التي ينهار خلالها النظام الرأسمالي ويبدأ بناء المجتمع الاشتراكي ، تحدد تنوع نماذج الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج . وتؤدي هذه الظاهرة ، شأنها في ذلك شأن قضية التوزيع في ظل النظام الاشتراكي حيث تنتقل منتجات الانتاج الاشتراكي الى الملكية الخاصة الفردية للمستهلكين ، الى أن يتخذ الانتاج طابع الانتاج السلعي وبالتالي فانه يخضع لقانون القيمة .

ويمكنني ان أضيف ان الشرط الثاني لوحده يعتبر كافياً . وحتى اذا كان لم يوجد هناك الا نموذج واحد للملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج ، كالنموذج القومي مثلا ، فان مجرد الواقع

بأن عملية التوزيع تؤدي الى تحول ملكية السلع الى ملكية فردية للمستهلكين يكفي لان يصبغ الانتاج الاشتراكي بطابع الانتاج السلعي ويفسح المجال لقانون القيمة لأن يطبق او يلعب دوره. ولكن تعدد نماذج الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج يبقى موضوعاً آخر .

فالمنتجات ، عندما يتبدل مالكوها ، تصبح سلعاً وتخضع لقانون القيمة . ويجري ذلك ، كما رأينا ، في الاقتصاد الاشتراكي . والسؤال الذي يمكن طرحه هو كيف يتوجب علينا ان نصنف المنتجات « المتبادلة » (لنضع كلمة « متبادلة » بين هلالين) بين مختلف وحدات القطاع المؤمم الاشتراكي للاقتصاد . فاذا كان تبادلها قد تم بين وحدات تعاونية،فهنا يعني بالبداهة انتقالها من مالك لآخر . وهنا واضح . ولكن وسائل الانتاج التي تنتقل من احدى وحدات القطاع القومي الى وحدة اخرى من القطاع نفسه لاتتغير في مالكيها . واني سأطلق على هذه المنتجات اسم : شبه — سلع Quasi Commodities ويسري قانون القيمة هنا بصورة غير مباشرة بطريق عزو القيمة حسابياً Imputation فعندما تباع المنتوجات التامة الصنع الى المستهلكين أو الجميات التعاونية أو البلديات أو غيرها ، تعتبر سلعاً . وان عملية العزو هذه تصبغ الصفة السلعية على وسائل الانتاج المستخدمة لانتاج السلع التامة الصنع . وباستخدام طريقة محاسبية يلاحظ ان قيمة السلع التامة الصنع تعزى ، بالرجوع الى العمليات الأولى للانتاج ، الى وسائل الانتاج التي كانت قد استخدمت لانتاج هذه السلع التامة الصنع .

وهكذا فان قانون القيمة يعمل أيضاً في المجتمع الاشتراكي . وهذا ليس خاصاً او مقتصراً على طراز الانتاج الاشتراكي فقط ، بل انه يكون ساري المفعول ايضاً على طراز الانتاج في ظل النظام الرأسمالي ، وبنسبة اقل في المجتمعات التي مازالت تمر في مرحلة ماقبل الرأسمالية . فهذا القانون يعبر اذن عن طابع مشترك لعدة نماذج أو انظمة في الانتاج .

وهناك نموذج رابع للقوانين الاقتصادية العاملة في ظل الاقتصاد الاشتراكي . ان هذه القوانين غير مرتبطة او متصلة بالطراز الاشتراكي للانتاج ، بل هي ناتجة عن النماذج الخاصة الركائز الأساسية للادارة العليا في تسيير الاقتصاد الاشتراكي والتي ، بالتالي ، تتغير بتغيير تنظيم وادارة النماذج الهيكلية لهذه الركائز .

ونجد في النظام الرأسمالي أيضاً قوانين ليست خاصة بالنظام الرأسمالي ككل ، بل بنماذج معينة من التنظيم والادارة للقطاعات الرئيسية او الحيوية . وكمثال على ذلك هناك قوانين عامة عن التداول النقدي التي يمكن القول ، عرضاً ، انها ليست خاصة بالنظام الرأسمالي ، بل تكون سارية

المفعول على انتاج السلع . ولكن عندما نتحدث عن نظام الأساس الذهبي ، او عن الورق النقدي ، نقول ان هناك قوانين خاصة تكون سارية المفعول حصراً على نموذج معين من النظام النقدي . وفي مجال التداول النقدي هذا هناك قانون آخر هو قانون (غريشام) الذي يكون ساري المفعول فقط عندما يكون لنموذجي النقد المعدني القيمة القانونية ذاتها .

ان مختلف طرق ادارة الاقتصاد الاشتراكي التي تتغير تبعاً لتبدل وتطور الأوضاع التاريخية ، وتبعاً لاختلاف البلدان ، تؤدي الى ايجاد قوانينها الاقتصادية الخاصة بها . وانها تؤدي الى ايجاد هذه القوانين الاقتصادية الخاصة بها لأنها تخلق دوافع وفرص فعل وعمل خاصة بها .

ولابد من ملاحظة امرين هنا . الاول هو ، من جهة ، المدى النسبي للتوزيع الاداري للسلع وقانون القيمة من جهة ثانية . ان قانون القيمة يأخذ مجراه في المجتمع الاشتراكي . ومع ذلك فان بعض نماذج ادارة الاقتصاد الاشتراكي تمارس اشكالاً مختلفة من التوزيع الاداري للسلع . (الامر الذي يحدث احياناً في ظل النظام الرأسمالي) . من المؤكد ان الفعالية النسبية ، والتأثيرات المتقابلة لتوزيع السلع ادارياً ، ولقانون القيمة ، تؤدي جميعها الى ان تولد النتائج الاقتصادية الخاصة بها ، وذلك وفق قواعد منتظمة بحيث تسبغ عليها صفة القوانين الاقتصادية العامة في ظل هذه الشروط والظروف (كالنماذج المختلفة لظاهرة « السوق السوداء » مثلا) .

أما النقطة الثانية فتتعلق بنتائج مختلف نماذج واشكال اجور العمل . كيف ندفع للعمال ؟ بأي قدر ، وتحت أي شكل سيكون نصيب العمال في ربح المشروع ، وهكذا . وهذا من شأنه أيضاً ان يؤدي الى ظهور بعض النتائج الاقتصادية ذات صفات ثابتة ومنتظمة ، نتائج تتسم بطابع القوانين الاقتصادية . وسأضرب مثلا عن بولونيا . فواقع كون العلاوات التي دفعت للاداريين المشاريع وعمالها كانت مرتبطة بمعدل تجاوز الخطة لمعدلها الأصلي ، ادى بفعل انتظام القانون الاقتصادي الى نتيجتين : اولا ، كان المعدل الذي هدفت الخطة تحديده منخفضاً جداً ، وذلك لانه اذا كان المعدل المراد تحقيقه على هذا الشكل فانه من الممكن توفر الدافع لتجاوز هذا المعدل بسهولة . ثانيا ، ان تجاوز المعدل الموضوع للخطة كان تجاوزاً متواضعاً ، وذلك لكي لايصار الى تبني معدل مرتفع جداً في السنة التالية . ولهذا السبب فقد الغيت في بولونيا العلاقة التي تربط بين دفع العلاوات ومعدل تجاوز الخطة . وحدث الشيء ذاته في تشيكوسلوفاكيا . اننا نريد الغاء هذا النموذج من القانون الاقتصادي . وعوضاً عن ذلك فان حساب العلاوات سيقوم على اساس تحسن النتائج التي يحققها المشروع بالنسبة لما كانت عليه في السنوات السابقة .

ويقودني هذا الى الحديث عن الفرص والدوافع في الاقتصاد الاشتراكي . فالملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج تستوجب توفر فرص وامكانيات جديدة للتنمية الاقتصادية . وتتولد هذه الفرص او الامكانيات عن عدم وجود مصالح خاصة مكتسبة تعرقل الاستخدام العقلاني لوسائل الانتاج طبقا لمقتضيات المصلحة العامة . ان الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج تجعل من الممكن الأخذ بالتخطيط الاقتصادي : تخطيط معدل التراكم والمشاريع التثميرية الأساسية التي تتحكم في توجيه تنمية الاقتصاد القومي ، تخطيط توزيع الدخل القومي ، تخطيط الانتاج بهدف تأمين التنسيق بين مختلف قطاعات الاقتصاد القومي لتحقيق تنمية اقتصادية متوازنة .

ومع ذلك فان هذه الفرص او الامكانيات ليست اكثر من ذلك . انها ناتجة عن ازالة العقبات التي تقف في وجه الاستخدام العقلاني لوسائل الانتاج ، والتنمية الاقتصادية المنتظمة او المتوازنة . وهذه العقبات هي خاصة بالمجتمع الرأسمالي ولا تضمن التوصل الى تحقيق الأهداف المذكورة بصورة آلية . ولتحقيق هذه الأهداف يجب ان توجد دوافع ملائمة في تنظيم وطرق ادارة الاقتصاد الاشتراكي . وتنتج هذه الدوافع بجزء منهـا وبشكل مباشر عن العلاقات الاشتراكية للانتاج ، وبجزء آخر تتعلق بتنظيم وادارة الركائز الاساسية او القطاعات الحيوية للاقتصاد .

وفيما يتعلق بالدوافع الناشئة عن العلاقات الاشتراكية للانتاج علينا ان نلاحظ ان الانتاج وبقية النشاطات الاقتصادية تكون منظمة تحت شكل مشاريع ومؤسسات اشتراكية ، اي تنظيم الفعاليات الرامية لتحقيق وظائف واهداف اجتماعية معينة . **ولا بد من جعل الأشخاص العاملين في المشاريع والمؤسسات الاشتراكية أصحاب مصالح اقتصادية ومعنوية من أجل حسن تنفيذ هذه الوظائف والأهداف بصورة ملائمة .** وعلى هذا فانه يجب تنظيم هذه الدوافع بحيث تتلاقى وتتماثل المصلحة الشخصية والاجتماعية للعاملين في المؤسسة أوالمشروع مع الهدف الاجتماعي الذي يرمي هذا المشروع الى تحقيقه .

ولبلوغ نتيجة كهذه لابد للمشروع الاشتراكي من أن يحقق شرطين : أن يكون في تعامله « كمستودع أمانة » للمصلحة الاجتماعية العامة ، وأن يكون مؤسسة مستقلة تدير نفسها بنفسها . وبما أنه يوجد نموذجان للملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج ، أي الملكية القومية والملكية العائدة لهيئات أو جماعات (تعاونية بلدية ..) ، لذلك فان هناك فرقا معينـا في النظام القانوني للمشاريع الاشتراكية تبعاً لكونها تعود لهذا النموذج أو ذاك من الملكية . فمع التعاونيات والهيئات أو الجماعات الأخرى تملك المجموعة وسائل الانتاج وتحكم نفسها بشكل مستقل . أما مع المشاريع

التي تعود بملكيتها الأمة بمجموعها ، فان المشروع يتصرف بوسائل الانتاج كما لو كان أميناً وحارساً عليها لأنها ملكية وطنية أو قومية . ومع ذلك فانه في الحالين يتصرف المشروع الاشتراكي كأمين وحارس لوسائل الانتاج طبقاً لمقتضيات للمصلحة العامة المجتمع . ويصح هذا القول ايضــاً على التعاونيات وبقية المؤسسات أو المشاريع التي تنحصر الملكية فيها بفئات أو جماعات حيث يتوجب عليها أن تتصرف ، في ظل مجتمع اشتراكي ، طبقاً لمقتضيات المصلحة الاجتماعية العامة . وأن الملكية الاشتراكية ، سواء أكانت تحت شكل تعاونيات أو نماذج ملكية لفئات وجماعات أخرى، تجد مبررها الحقيقي في أنها في حالات معينة تمكن من تحقيق تناسق أفضل الدوافع بين المجموعة العاملة في المشروع وبين المصلحة العامة للمجتمع . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لابد للعمال من أن يساهموا بشكل أساسي في ادارة المشروع عندما تكون ملكيته تعود للأمة بمجموعها ، والا انعدم تأثير الدوافع الاقتصــادية والمعنوية ، واتسم المشروع بطابع التسلسل الوظيفي أو « البيروقراطية » . وبذلك فانه لايقوم بوظيفته الاجتماعية أوأنه يؤديها بدرجة قليلة من الانتاجية.

وهكذا يجب أن يكون المشروع الاشتراكي مؤسسة مستقلة ، يديرها العمال ، وتعمل في سبيل المصلحة العامة للمجتمع . على أن هناك نقطتين متباعدتين من شأنهما تشكيل خطر على الطابع الاشتراكي الحقيقي للمشروع .

الأولى هي أن يكف المشروع عن العمل طبقاً لمقتضيات المصلحة العامة . وفي هذه الحالة فان ملكية وسائل الانتاج ، كائنة ما كانت صفاتها القانونية أو الشرعية ، تكف عمليا عن أن تكون ملكية اشتراكية وتصبح عبارة فقط عن ملكية مشتركة بين مجموعة من الأفراد ، ملكية قد انسلخ عنها مفهوم المسؤولية تجاه المجتمع . واني سأطلق على هذه الحالة اسم : التهلهل أوالتفسخ التقابي الفوضوي .

أما النقطة الأخرى التي تقع في الطرف الآخر ، فاني سأطلق عليها اسم : التهلهل والانهيار في ادارة الأمور للدرجة المكتبية (.البيروقراطية) وهي تعني انعــدام الادارة الذاتية الفعالة من قبل العمال للمشروع . وفي حالات كهذه فان الطابع الاشتراكي لملكية وسائل الانتاج يصبح اقرب الى أن يكون وهمياً ، وذلك لأنـــه لايكون للعمال الا نصيب ضئيل من التأثير في الادارة الفعلية للمشروع . وهكذا فان مايبقى من تأثير يمر خلال « انفاق » من الآلة الوظيفية (البيروقراطية) المركزية . ويبرز هنا خطر ذو نموذج جديد للاستلاب او تبعية Alienation (لاستعمال اصطلاح ماركسي معروف جداً) المنتج لانتاجه الأمر الذي يؤدي الى ادخال خلل على الطابع الاشتراكي لعلاقات الانتاج . اذ ان الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج تستوجب تحقق

شرطين في الوقت ذاته : استخدام وسائل الانتاج لمصلحة المجتمع بكامله ، مشاركة فعالة وديمقراطية للمنتجين وبقية العمال في ادارة وسائل الانتاج .

تلك هي الصفات الأساسية للاشتراكية. اما النماذج الخاصة للاشتراكية والتي تتجسد فيها هذه الصفات فيمكن ان تختلف من بلد لآخر ومن مرحلة الى أخرى في التطور للمجتمع الاشتراكي. ولا بد لبعض الاخطاء والخلل من الظهور في المرحلة الانتقالية وخلال المراحل الأولى من التحول الى المجتمع الاشتراكي . ومثال ذلك من المحتمل ألا تقوم التعاونية بصورة كافية ، بواجبها في خدمة المصلحة الاجتماعية العامة ، او ان الحاجة او الضرورة لوجود حكومة مركزية من المحتمل أن يعرقل نمو الادارة الذاتية للعمال في ادارة المشروع . وان زوال هذا الخلل او العيوب رهين بمقدار درجة النضج التي يبلغها المجتمع الاشتراكي .

وفضلاً عن ذلك فان الملكيـــة الاشتراكية لوسائل الانتاج تؤدي ، عن طريق ادارة الركائز الأساسية او القطاعات الحيوية للاقتصاد ، الى التحكم بالدوافع او الحوافز وتحديدهـا ، وبطرق التخطيط وتنفيذ الخطة ، ومبادىء الحسابات الاقتصادية المتبعة : طرق دفع الأجـور ، طرق المشاركة في ارباح المشاريع ، كذلك الدور الذي تلعبه السوق ... الخ . ان ذلك كله يؤثر في الدوافع والحوافز لدى العمال . وعلى هذا الاساس فان تطبيقاً ملائماً للركائز الاساسية للادارة الاقتصادية يكون اساسياً لينشط ويحرك الدوافع او الحوافز الضرورية لجعل الانتـــاج موافقاً وملبياً لحاجات المجتمع ، ولاستغلال مصادر الثروة استغلالاً عقلانياً ولتشجيع التقـدم التقني (التكنيكي) .

ولا بد من توجيه اهتمام خاص لدور الدولة في بنـــاء الاقتصاد الاشتراكي وتوجيهه . ويختلف هـــذا الدور باختلاف مراحل تطور المجتمع الاشتراكي . وعلى العكس من الثورة البورجوازية التي تتحقق بعدما تكون العلاقات الرأسمالية للانتاج قد تغلغلت تغلغلاً كبيراً في صلب المجتمع الاقطاعي ، فان الثورة الاشتراكية تسبق ظهور العلاقات الاشتراكية في الانتـــاج . والدولة الثورية — ديكتاتورية البروليتاريا — تلغي علاقات الانتاج الرأسمالية وتستبدلها بتنظيم اشتراكي لعلاقات الانتاج . ويمكن اجراء هذه العملية فجأة او اتمامها على مراحل ، ولكن في كل الاحوال تكون السلطة السياسية للدولة المحرك الدافع لسير هـــذه العملية . وتنشأ العلاقات الاشتراكية للانتاج في البلدان المتخلفة (حيث حدثت في معظمها ثورات اشتراكية) من تطور وتقدم الطاقات الانتاجية (تصنيع ، تحديث الزراعة) التي تنميها الدولة الثورية الجديدة .

وهكذا فانه في المراحل الأولى من ولادة وتطور الاقتصاد الاشتراكي تلعب القوى غير الاقتصادية للدولة دوراً مهماً . وأن هذه القوى تكون خلاقة ويتم بفضل توفرها الانتقال من النموذج الرأسمالي الى النموذج الاشتراكي لعلاقات الانتاج والتي تؤدي ، وخاصة في البلدان المتخلفة ، الى توليد نمو سريع للطاقات الانتاجية .

وخلال هذه الفترة تلغى القوانين الاقتصادية الخاصة بالرأسمالية وتظهر لتحل محلها القوانين الاقتصادية للمجتمع الاشتراكي الجديد . وانه بالقدر الذي يزداد معه الدور الفعال للقوانين الاقتصادية للمجتمع الاشتراكي ، يجنح دور العوامل غير الاقتصادية للدولة الى الانكماش والتضاؤل . وهكذا تحل القوانين الاقتصادية وعلى مراحل محل العوامل غير الاقتصادية ، أي بفعل دوافع وحوافز اقتصادية ملائمة يكون من نتيجة تنوعها تحقيق الرغبات التي تهدف اليها ارادة المجتمع المنظم .

يجب أن تتم عملية استبدال العوامل غير الاقتصادية بالقوانين الاقتصادية بطريق الفصل على مراحل بين ادارة الاقتصاد القومي والنشاطات غير الاقتصادية للدولة ، لممارسة السلطة السياسية . دعوني أذكركم بالتمييز الذي وضعه انجلز Engels بين « حكومة الأشخاص » و « ادارة الأشياء وتوجيه سير عملية الانتاج » . ففي الأمد البعيد للمجتمع الشيوعي ستزول تدريجيا « حكومة الأشخاص » في حين أن « ادارة الاشياء وتوجيه سير عملية الانتاج » يبقيا الهدف الرئيسي للتنظيم الاجتماعي . وهذا هو جوهر سير عملية زوال الدولة Withering Away .

وبما ان ذلك لن يتحقق الا بعد أمد بعيد ، يجب البدء بتهيئة المؤسسات منذ المراحل الاولى . ويتم ذلك بالفصل التدريجي للمؤسسات الخاصة بالادارة الاقتصادية عن المؤسسات السياسية للحكومة . ومنذ عام ١٩١٨ قال لينين Lenine موجها كلامه لاعضاء الاجتماع الاول لمجالس الاقتصاد الوطني انه : « ليس هناك من شك ابدا في انه بالقدر الذي يمعن فيه السير بتنفيذ منجزات ثورة اوكتوبر ، وانه كلما ازدادت التغيرات المتولدة عن الثورة عمقاً ، وكلما ازدادت الاسس المتينة للثورة الاشتراكية تأكيداً ، وكلما ازداد استقرار النظام الاشتراكي ، ازدادت وكبرت اهمية الدور الذي تقوم بأعبائه مجالس الاقتصاد الوطني ، هذه المجالس التي ستنفرد عن بقية مؤسسات الدولة باتسامها بطابع الاستمرار . وستزداد أهمية هذه المجالس بقدر اقترابنا من مرحلة البدء والسير بالنظام الاشتراكي ، في حين

أن الجهاز الاداري ، الجهاز الذي يهتم فقط بالقضايا الادارية ، ستقل ضرورته وتتضاءل . ان الجهاز الاداري هذا ، بالمعنى الضيق لهذه الكلمة ، جهاز الدولة القديمة ، سيؤول الى الزوال بعد الانهيار الأخير للمقاومة التي كان يقوم بها المستغلون ، وبعد أن تكون الجماهير العاملة قد تعلمت تنظيم الانتاج الاشتراكي . وعلى العكس ، فان جهازاً على غرار المجلس الأعلى للاقتصاد الوطني سيتضخم وينمو وتزداد صلاحياته ويصبح المسؤول عن أهم قطاع من قطاعات النشاطات في مجتمع منظم » .

ان السير التدريجي لعملية فصل الادارة الاقتصادية عن المؤسسات السياسية للحكومة انما يهيء الشروط المؤسسة الضرورية لبلوغ مرحلة زوال الدولة . كما أن التقلص التدريجي للتوجيه السياسي لسير الفعاليات الاقتصادية هو نتيجة لزيادة نمو الوعي الناضج في المجتمع الاشتراكي . وكلما ابتعد المجتمع الاشتراكي عن ارث أو مخلفات المجتمع الرأسمالي ، كذلك كلما ابتعد عن مخلفات المرحلة الانتقالية التي تلعب خلالها القوى غير الاقتصادية دوراً مهيمناً ، ازداد فصل سير العمليات الاقتصادية عن ممارسة السلطة السياسية الحكومية . وان سير هذه العمليات الاقتصادية من شأنه أن يهيء للأمد البعيد مرحلة زوال الدولة .



كيف نكتب تاريخنا القومي..؟

رسالة من المستشرق والعالم الاجتماعي الأستاذ جاك بيرك الى رئيس تحرير المعرفة.

نكاد نختتم تحقيقنا في موضوع كيف نكتب تاريخنا القومي، التي توالت الاجوبة حوله في الاعداد ٤١و٤٢و٤٣و٤٤ من المعرفة.

وفيما يلي ننشر رسالة المستشرق، الأستاذ جاك بيرك، حول ما اورده رئيس التحرير لدى ذكر المستشرق، في تقديم الاستفتاء — العدد (٤١). ننشر الرسالة مع التحية للصديق صاحبها، وتأكيد الود والتقدير.

الرسالة:

يكاد لا يخلو عدد من أعداد مجلتكم الممتازة (المعرفة) — التي تنهض بعمل مفيد جداً في مجال الثقافة العامة ومجال الثقافة العربية في الشرق — من الاشارة الى بعض مؤلفاتي أو مقالاتي. ولا غنى لي عن شكركم لهذا الاهتمام بما أكتب، وهو اهتمام لم يكن يصاحبه أحياناً روح النقد؟ وهكذا أغتناه، بل

هكذا ينبغي أن يكون ، فهو على كل حال دليل على تعاطف فكري أرتاح اليه وأغتبط به .

ومع ذلك فلا بد من الاشارة ، ولو بصورة عابرة ، الى أنكم أوردتم في الصفحة (٥) من العدد (٤١) مافد يحمل القارىء غير المطّلع على الظن بأني لا أقدر تقديراً كافياً ذلك الدور الخلاق الذي تلعبه لغتكم الفصحى في تطوير البلاد العربية وجعلها بلاداً حديثة .

ولقد تناولت هذا الموضوع مراراً ، ومن المؤكد أنكم تعرفون أن النهج الديالكتيكي الذي أنهجه في طرق التحليلات ومعالجتها انما يتكون من ايراد بضعة أحكام منطقية ، لايجوز النظر اليها الا مجتمعة في بنيان تركيبي .

فأنا أبعد مايكون امرؤ عن التقليل من شأن الدور الذي تلعبه الثقافات القومية وبخاصة الثقافة الكلاسيكية كالعربية والفرنسية ، في تطوير مجتمع من المجتمعات . وفي رأيي أن تعميق العلاقة بين الثقافة والطبيعة (أو اعادة المكانة الى هذه العلاقة) يعتبر احدى القوى الدافعة المحركة للتاريخ . وقد جاء كتابي الأخير (Dépossession du monde) صريحاً في هذه الناحية .

واسمحوا لي بهذه المناسبة ان اعبر لكم عن مدى الفائدة التي يأمل المؤرخون وعلماء الاجتماع المهتمون بالشرق أن يجنوها من جراء تجديد دراسة التاريخ العربي . وهو التجديد الذي بدأتم انطلاقته بهذا التحقيق الممتاز الذي تقومون به .

هذا ... واذا كان لي أن أجيب على سؤالكم الأول لقلت أن كل تجديد ينبغي أن يقوم على أساس من نوعية المجتمع أي طبيعته وثقافته ، أو ، بتعبير أدق ، على أساس العـــلاقة الديالكتيكية التي تقوم بين النوعيـــة القومية وبين صفة الشمول العـــالمي التي تزداد يوماً بعد يوم . حتى أن التحقيق الكبير الذي تقوم به اليونسكو (والذي كلفتني أن اضع له استمارة الأسئلة في موضوعه) انما

يهدف الى دراسة مدى استفادة سياسات التجديد المطبقة حالياً من نوعية العنصر أو العامل الانساني. واذا شئتم، سرني أن ارسل اليكم والى الشخصيات التي تسمونها نسخاً من هذه الاستمارة* .

وتفضلوا...

جاك بيرك

. . .

تحرير المعرفة : لم يكن ماجاء في تقديم رئيس التحرير للاستفتاء التاريخي في العدد (٤١) من المعرفة، تعريضاً بنظرة الأستاذ الكبير الى دور اللغة العربية الفصحى. إنما أراد رئيس التحرير، بالاستناد الى نظرية بيرك في جدلية الثقافة والطبيعة، ألا تكون اللغة الكلاسيكية عقبة او لايجعل منها بعض انصارها بلا وعي منهم، عقبة دون التطور والابداع.

وسيتولى احد اصدقائنا دراسة هذه الروح الايجابية في نظرية الأستاذ بيرك، في احد اعداد المعرفة القادمة، كذلك سننشر مايفيد حول الموضوع، تأكيداً لحرصنا على الاقتباس من علم المستشرق الكبير وتجرده وحسن نيته.

(*) يسرنا أن يرسل لنا الاستاذ بيرك نسخاً من هذه الاستمارات. ونرجو اصدقاءنا ممن يرغب في أن تصله هذه الاستمارات شخصياً أن يتصل برئيس تحرير المعرفة — أو مباشرة بالاستاذ بيرك — باريس – كوليج دوفرانس –.

ديوان العرب

الآداب

الياس فرحات	—	الى غد
بهجت الأثري	—	الفراشة
أبو سلمى	—	نسائم الأردن ـ صورتها
شكر الله الجر	—	العاصفة الكبرى
زكي قنصل	—	كرة القدم
محمد عفيفي مطر	—	دلتا النهر الأسود ـ من الشعر الجديد
راضي صدوق	—	ثورة على عاطفة قديمة
مصطفى البدوي	—	صلاة
منذر لطفي	—	دنيا جديدة
عادل قره شولي	—	مقتل سالم السلطان
أحمد يوسف أحمد	—	أقنعة افريقية
سعيد قندقجي	—	حنان أب
قدري مايو	—	حكايا الصدف
ممدوح مولود	—	رسالة منها

إلى غد

شعر الياس فرحات



يدَك الشذية في يدي ولنمضِ قبل الموعد
الشمسُ غاربــــةٌ وراء الافق دون تردُّدِ
لمّت عن الأرض الشعاعَ وأومأت بتودُّدِ
ومضت بغير يقينهـــا بالعود لم تتزوَّدِ
لم يبقَ منها في السهول سوى خيوط العَسجد
وعلى الجبال بقيةٍ تحكي غذارَ الأمردِ !

. . .

قومي ، فُديت ، نثبْ على فرص الزمان الشرَّد
بذرَ الغروبُ الحسنَ في الدنيا فهيّا نحصد
الضاحياتُ الضاحكاتُ مشاعةٌ للورَّد
فاذا عرفت رياضهنّ عرفت جنة أحمد
(إبرابُوبرا)* صورةُ لجمالها المتجدّد
الحور والولدان تمرح في النعيم السرمدي
والظل منتشرٌ على الطرُقات والعشب الندي
والماء من ماس أذيب على صباح زبرجد
والطيرُ تنشد ماتشاء على الغصون الميَّد

. . .

تلك الجنانُ تفرَّدت بجمالها المتفرّد
وانا الذي يلقى الجمالَ بهجة المتعبِّد
لي مقعدٌ فيها وانت شريكتي في المقعد !
في الظل مقعدنا امامَ الماء قربَ المورد
قومي فنحن هناك نهزأ بالزمان المفسد
وهناك تنسينا السعادةُ كلَّ حظّ أسود
وهناك انت تعوّدين لفضح كلّ مغرّد
ما أبعدَ (القمرَ الجديدَ) عن الغويض ومعبد !
قومي ، فانّ الليلَ أقبل زاحفاً ، قومي اشهدي
بفترٍ عن لثةٍ مهشمةٍ ونابَي ادرد
ها نجمتان تبصبصان خلال غيم أربد

(*) مكان جبل أحبه شاعرنا في البرازيل .

هاتيك في الأفق البعيد وأختها في الأبعد
لكن ليلتنا ستحفل بالمقيم المقعد
سيفيض فيها النور أمواجاً كبحر مزبد

. . .

(إبرانُويرا) مَن أضلَّ الحسنَ فيها يهتدي
انَّ السماءَ قريبةٌ ها قد وصلنا فاقعدي
ان كان أجهدك المسيرُ وما المسير بمجهد
فخذي قبائي فافرشيه على الثرى وتمدّدي
وتأملي تلك النجومَ الغامزاتِ وعدّدي
وتنشقي هذا العبيرَ ففيه برءُ الأكبُد
واذا تعبتِ من الجلوس أو التمدّد ، فانهدي

. . .

أبردتِ ؟ واعجبي ! ألَم يُدفئك حرُّ تنهدي ؟!
لو تشعرين ببعض ما في مهجتي لم تبردي
هذا قبائي فالبسيه وزرّريه وشدّدي
بل فلنسر تواً الى ذاك البناء المفرد
هو مطعمٌ للجائعين وحانةٌ لشجٍ صد
فلندخلنَّ ونجلسنَّ هناك قربَ الموقد
خلفَ الزجاج ، كمجلس المترقب المترصد
فنطلُّ منه على الغدير المائج المتجعد

وترى الزوارقَ فوق صفحته تروح وتغتدي
واليكِ هذي الكأسَ ملأى بالشراب الجيّد
ومن الشواء شريحةٌ تُشوى وتقطع باليد
فكلي هنيئاً واشربي وتلذّذي وتغرّدي !

. . .

ـ ماذا ؟ أعاصفةٌ على وجه البحيرة تبتدي ؟
ماذا ؟ أبرقٌ سلَّ في الظلماء الفَ مهنّد ؟
ماذا ؟ أرعدٌ فيه ثورةُ ساخطٍ متمرّد ؟
ماذا ؟ أصاعقةٌ ؟! عساها من نصيب الفدفد !
ـ لاتجزعي مها يكن من أمرها وتشدّدي !
مادمت في قربي لتبرق ماتشاءُ وترعد
إني لأستعدي الغرامَ على الحِمام المعتدي !

. . .

عاد الصفاء الى السماء تأملي تتأكدي
طوّحَ الهوا ماكان من غيم هناك ملبّد
ان الطبيعةَ في الشتاء لها ضجيج معربد
قومي نطُف بالماء طوف المؤمنين بمعبد
فترى خيال البدر مثلَ السابح المتبرّد
تتلوه أخيلةُ الكواكب كالصبايا الخُرّد
وكلؤلؤٍ طافٍ هنا وهناك غير منضّد

ها زورقٌ آتٍ كسهمٍ في المياه مسدَّدِ
سيكون فيه ختام نزهتنا وان لم نقصدِ
ونلوح منه ، وإن خلقنا فرقدين ، كفرقدا

. . .

مرّت لُيَيلتنا كحلمٍ في المنام مُمَوَّدِ
ساعاتها نفدت ورغبتنا بها لم تنفدِ
إنّا لمفترقان بعد هنيهةٍ فتجلدي
مدّي اليَّ يداً كزهرة زنبقٍ ، والى غدٍ !!

الياس فرحات

بيلاهوريزونتي — البرازيل



أفراشةَ الرّوضِ المُنَوِّرِ .. شاقني
ثوبٌ كَنَوْرِ الرّوضِ، زانَكِ منظرا

لفضتْ عليه الشمسُ مُذْهَبَ لونِها ،
ووَشَى الرّبيعُ رداءَه المتخيَّرا

ماوَشْيُ (عبقرَ) في بديعِ خَميلِهِ ؟
هذا الجمال ، سبا وحيَّرَ (عبقرا) !

حُسنٌ .. يَموجُ على الفضاء مُنَشَّراً ،
أنّى يَمورُ بكِ الجَناحُ ، تَموّرا

كأخي الصَّبابةِ ، وَهْوَ يُتْبِعُ قلبَهُ
مَنْ باتَ رهنَ غرامِه أنّى جرى

ما أنتِ ؟ هل طيرٌ يرفرفُ في السَّما ؟
أم وردة سكرى ترفُّ تَفتُّرا ؟

أم من جِنان الخُلدِ رَوْحٌ ناسمٌ ،
شاقته أطيافُ الحبيبِ ، فأبكرا ؟

رُوحي كرُوحِك .. بالصَّبابة هائمٌ ،
يَصِلُ الأحبّةَ رائحاً ومبكِّرا

ولَهانُ .. يبعثُه الهوى متذكّراً
أبداً ، ويُطلِقه الخيالُ مُشمّرا

يسري أرقَّ من النّسيم بسُحرةٍ ،
ويَرِفُّ أنضرَ من نباتٍ نَوّرا

طرَباً إلى وجهِ الحبيبِ ، وإنّما
يشتاقُ مَنْ صدقَ الصَّبابة مَخبَرا



نسائم الأردن

شعر ابي سلمى

نسائم الأردن النديّاتُ ... بكورها طاب والعشيّاتُ
ألفاس أهلي التي تعطّرها ... فكيف لاتعذب التحيّات
لم يحطم الدهر من نفوسهم ... نفوسهم كالذرى أبيّات
لم تزل الشمس في جباههم ... تلوح أسرارها الخفيّات
ودورهم بالحنين مترعة ... وحولها الغيد والبنيّات
تلعب في ساحها النجوم هوى ... تلك نجوم الهوى نجيّات
تزهو الميادين عند ذكرهم ... راياتهم بالعلى رويّات
تعتز أرضي بهم اذا خطروا ... تنبت تحت الخطى المروّات
مروجها تنتشي اذا بكروا ... خضر رباها ، بهم حفيّات
في الضفتين الأمجاد هازجة ... كل ضفاف الدنى حبيّات

صورتها..

شعر ابي سلمى

لاتسألي كيف تضيء أحرفي صورتك التي تضيء أحرفي

تقيم في قلبي ويجلوها الهوى تظهر في عيني وحيناً تختفي

وأنت!.. أنى سرت في الدنيا، معي في الدرب والروضة والمنعطف

عند الصباح ضاحكاً، أنت معي وفي الدجى بين خفايا السّدف

سنلتقي، أنا وأنت والهوى مع الأريج عند كل موقف

هواك يسري في دمي ملتهباً ولا أقلّ من سلام مدنف

أفنيت في هذا الهوى وسائلي وأنت يافاتنتي لم تعطفي

ياشقوة الشاعر يفني دهره بين هوى مضن وحس مرهف

يسعد من تشقيه في دنيا الهوى ياويحه يهوى التي لم تنصف

وتومض العينان في ومضها رسائل الأشواق والتلهف

فكيف لاتحنو يد على يد ولا فمٌ على فمٍ مرتجف

. . .

اذا حلا شعري فمنك سحره وطيبه منك ألمّا تعرفي

ذاك لماك وأنتشى وقال يا بؤس الذي وعدته ولم تفي

ياشاعري إن لم تذق خمر الهوى فمل الى تلك العيون وارشف

على ضريح الأمين

لشكر الله الجر

الكلمة والقصيدة اللتان ألقاهما الشاعر المغترب العائد – الأستاذ شكر الله الجر في مهرجان الريحاني أمام ضريحه في الفريكة في ٢٥ تشرين أول عام ١٩٦٥ .

باسمي واسم الرابطة الثقافية لمنطقة بلاد جبيل أقف هذه الوقفة التذكارية على ضريح أديب العرب الأكبر وبوقهم الصارخ وسيد من وقف على منابر الشرق والغرب مدافعاً عن حقوقهم مستصرخاً ضمير الانسانية لانصافهم. ثلاثة عصف نعيهم بمسامع الأدب فاضطربت آفاق وتجهمت سمـــاء :(جبران خليل جبران) و(امين الريحاني) و (فلكس فارس) هز دنيا المغتربين رحيلهم عن الدنيا فقامت مناحة الأدب عليهم وراء البحار وتعدد حفلات التذكار . فبكيتهم مع الباكين يومذاك . وطالما تمنيت وقفة على مدافنهم لأبثهم لواعج نفسي وانثر من لوعتي سحبا ترف على مساكب العطر والزهر من مضاجعهم .

وها انا اليوم أمام ضريحك يأمين في رهط من محبيك وقادري نبوغك من اسياد القلم والألم ممن زفوا دماءهم على دروب البيان وحصدوا الهوان في حقول الزمان .

أتيناك لا باكين متفجعين بل ذاكرين متوجعين لما آلت اليه حالة الأدب والاديب في لبنان ولبنان يأمين مابرح كما تركته : طفل يتكلف وقار الشيوخ وحكمتهم ـ شيخ يتجمل بأصباغ الشباب وزينتهم ـ نظام يرقص في اعراس الفوضى وفوضى ترقص في مآتم النظام . . واذا سألت عن دنيا العرب، التي احببتها يا امين وجاهدت جهادك المرير من أجلها ،فانها لا تزال كما فارقتها : خطب تصطخب وأكف تلتهب . . أما انا فما زلت كما كنت يوم اطلقتها ، مطوقة تهدل هديلها على شواطىء الاتلانتيك عندما انطفأ قنديلك المتوهج على هذا الشاطىء الحزين . وها هي اليوم تعود لتصفق بأجنحتها من جديد تصفيقة الشوق والحنين أمام مثواك يأمين .



العاصفة الكبرى

شعر شكر الله الجر

هـذي لياليك لانجم ولاقمر ... وها أمانيك لازهر ولاثمر ! !
أبا القضيـة لم يجد الجهاد بها ... فالشرق ماانفك حيث الداء والخطر
أراك بالروح في لبنـان محتضرا ... كأنما الشرق في عينيـك يحتضر
لو كنت تبني لغير العرب وحدتهم ... لـكان ملء يديك المال والظفر
لكن جهودك ادراج الرياح مضت ... في أمة حار في توحيدها القدر

* * *

ـقلت للعرب من تاريخها سورا ... تضاءلت عندها الآيات والسور
ـكنت أعظم من نادوا ومن خطبوا ... ومن اذاعوا لها مجداً ومن نثروا

وكنت أبلغ من غنى مآثرها وكنت أصدق من عن حقها حسروا
وكنت مرقم نار في صحائفها تطاير النور من شقيه والشرر
وكنت جيل رقي بل منار هدى تألقت عند شطي فكره الفكر

* * *

أبا الشبيبة في الأقطار كنت لها الماهد الحر يوم الحر يستتر
عصفت في جوها كالريح مقتلعا جذور كل قديم لبـه نخر
ورحت كالرعد تدوي في مغاورها وبرق فكرك في الآفاق ينتشر
فكنت عاصفة بالشرق عاصفة تصدعت تحتها الأبراج والجدر
وكنت أكرم من في تربها غرسوا وكنت أخصب من في حقلها بذروا
وها بذورك فيها شد ما انفلقت عنها صدور شباب للعلى نفروا

* * *

ما الليالي تواري من نوابغنا كواكبا لهم سمع الدهر والبصر
في الأمس جبران يتلوه فلكس وفي وادي الفريكة بوق العرب ينكسر
يا للنسور تهاوت في مشارفها ما العهد ان و كور الأنسر الحفر

* * *

نم يا أمين فاحداث الوجود كما تدري ، أضاحيك لولا أننا بشر
للغد عرسان ، عرس يوم مولده وآخر يوم يعلو رأسه الحجر
وبين عرسيه دنيا في مساخرها تضج في جوها الأشباح والصور
في ذمة الله ما أبدعت من أدب ومن جهود على الأيام تدخر
ضريحك الأرز لا نجد ولا يمن وذكرك الدهر لا بدو ولا حضر

شكر الله الجر

كرة القدم

شعر زكي قنصل



جمعتْ صغارَ الحيِّ عائلةٌ فكأنّها امٌّ لها وابُ
كرة مقطعةٌ موصلةٌ هي في عيون هُواتها ذهبُ
شُدّتْ بخيطانٍ مهلهلةٍ يبدو عليها العجز والتعب
سوداء من وحلٍ ومن عفنٍ لونٌ طبيعيٌّ ومكتسبُ
سبحان من أغرى الصغار بها فسبى النواظرَ ثوبُها القشبُ
كانوا قُبيلَ مجيئها غُرَبا لاحبلَ يجمعهم ولا سببُ
يتقاتلون لريبةٍ عرضتْ ولربما اقتتلوا ولا سببُ
حتى اذا نزلتْ بساحتهم تحبو الى الأبواب او تثب
وتنطُّ من جذعٍ الى حجرٍ وتكرُّ ثم تعود تنسحب

وتدبُّ في الشرفات واجفةً ... كاللصِّ يُثقل خطوه الرهبُ
بشَّتْ وجوهٌ وانجلى شزرٌ ... وصفتْ قلوبٌ وانتهى شغبُ
وتفاهموا باشارةٍ خشنتْ ... حربَ البسوس وزالت الريبُ
فاذا هم حزبان لا اثرٌ ... للكيد بينهما ولا غضبُ
حزبان بل هدبان حين شكا ... هدبٌ حنا لشكاته هدُبٌ
يعلو صياحهمُ فتحسبهم ... سرباً من الأطيار يحترب
الحربُ قائمةٌ ولا حرَبٌ ... والنار لاظيةٌ ولا حطب
ولقد يخون الحظُّ فارسهم ... ويكون للمتواكل الغلب
ان فاتهم أدب الكلام وقد ... ثارتْ حماستهم ، فلا عجبُ
الكفر تسبيحٌ بموضعه ... والهُجْر في ميقاته أدب

. . .

شاهدتُهم بالأمس فاختلجتْ ... روحي وعثّر خطوتي أربُ
ورجعتُ ادراجي الى زمنٍ ... ضحكتْ على طرقاته الشهبُ
ايامَ لا وحلٌ يسير على ... دربي ولا همٌ ولا نصبُ
جدُّ الحياة بذهني عبثٌ ... وهمومها في شرعتي لعبُ ...
وتزاحمت صور الطفولة في ... ذهني . وماج النور والحببُ
الغصّة الولهى تزوّقها ... ويزيدها التحنان والطرب
وذهبتُ اخطر في مراتعها ... وتُشَقّ عن آفاقها السحُبُ
حتى اذا استيقظتُ من حلمي ... وتساقطتْ عن مقلتي الحجب
الفيتُني كالطفل بينهمُ ... اعدو واستعدي واصطخب

دلتا النهر الأسود

شعر محمد عفيفي مطر



ـــ : ماذا يملأ عينيكَ الطافحتين بشمس الجوع ؟

ـــ : يملؤها شبرٌ من أرض خضراء

يملؤها شبّاكٌ يشرب من حنجرة الريح

وشرارةُ برق تخطف قلبي الطائر في الظلماء .

يملؤها أن أتخبّط بين نصال الرعد

مرتعشاً أطرح فوق الأرض قميص دماءْ .

ـــ : الأرض تدور على محورها المائل ، لن يأتينا فصل الرعد

وشتاء البرق الأخضر لن يأتينا قبل الصمتْ

ـــ : آه !! لو كنت ملاك الموت

لغسلتُ الأرض من الضوضاء

وشنقتُ لغات الأرض

ونصبتُ مقاصل فوق الجسر ، بنيتُ مدائن صمتْ .

ـــ : ماذا يغويكَ فتبحث عن فاكهة السنط ؟

ـــ : الليل القاسي ينصبُ لي أشراك اللغة الانسيّة

يشنقني الليل بما ينهدل من الأجراس الغبشيّة

يطوحني تحت سنابك صوتٍ من فخّار

وأنا أسمع ريحاً تولد في الأعماق ،

أنتظر هبوب اللغة السُفليّة ...

• • •

يسألني شجرُ الصفصاف :

من أيّة ريح ملعونة

امتدّ الخنجر ، مزّق ثديي النابت في الأعماق

من أية أرض مطعونة

انسربت حيّةُ ملح تنهش رَحِمي الثمريّة

فأظل على شطآن النهر بلا أزهار

أخضرُّ ربيعاً بعد ربيع

وأموت بسنّ اليأس بلا أثمار !!

يسألني شجر الجُمّيز :

من يحمل مني سلة أثماري الذهبيّة

ويراوغ ، يترك تحت الصهد صغاري الأيتام ؟!

من يأخذ مني خشبي الطيّب كي يصنع مقصلة خشبيّة

أو يصنع منه النعش أو التابوت ؟!
يسألني القمرُ السهران :
من يملك وجه الأرض فيحوم من ثديٍ صغاري الغوباء ؟!

* * *

أقدامي انغرستْ في الصخر
نهداي انفتحا في أعماق البحر
وركعتُ ألملم شعري الأخضر في الظلماء
وأنادي الصمت فيدفُق بالأبناء
ألقمهم ثديي السَّبْط على شطآني الشرقيّة
وأقص عليهم بعض حكايا الجوع الطافح بالأحلام
فتحط عليهم شمسُ الرعبْ ،
أدفنهم بعد العصر بشطآني الغربيّة
مضمومي الأيدي ، يرتعشون باكفاني الكتّانيّة . .

* * *

من أعلى الوادي انطلق الفارسُ ذو الأجراسْ
يستجمع في عينيه الصيفَ التائه في الصحراء
يرتاع لما تنطقه الأرضُ من اللهجات الرمليّة ،
تضحكه جنياتٌ ترقص في خلجان الريح .
في الليل يغمغم بالأحلامْ
في الصبح يصلصل بالآلامْ

ويجوس خلال مدائن صمتٍ وحشيّة
وتضيق عليه البريّة ..

* * *

— : ماذا أبقاك هنا ياطين الأرض السوداء
ماذا أبقاك فلم تهرب حتى أرصفة البحر ؟ !
— : أبقاني جرحٌ في الأعماق
محفورٌ في صلبي ينزف عشباً للأغنام
وصغارا للأرحام
وفطائرَ عيد للأيتام
ورجالاً سمرا ونساءً يغمرهن العالم بالأحلام
وحدائقَ شجر لايهجرها ثمرٌ طول العام .
— : ماذا يبقيك الآن وقد طمرتْكَ الريح
واندمل الجرحُ الطيّبُ في جنبيك
ماذا يبقيك ورعبُ العالم يصرخ في عينيْكَ ؟ !
— : يبقيني حلمٌ بالأمطار
وفصول الرعد الطائر بالأثمار
أنتظر ثمار السّنط وأزهارَ الصفصاف .

* * *

ينحدر الفارس ذو الأجراس
من قلب المدن الوحشية
يتكىء على أسوار الريف

« ملعونٌ – إن لم يثمرْ – شجرُ التين »
يذهله صوتٌ يندب في الآبارْ
« ما أقسى الأرض إذا لم ترحم صوتاً يرقد في الأغوارْ »
تنغرس خناجرُ صمتٍ في جنبيه
« موحشةٌ أنتِ .. أيا أطلال »
يشعل غليونا ، ينظر صوب الشرق وصوب الغرب
« من أيّ سماءٍ تشرق شمسُ الرعبْ ؟! »

* * *

– : ماذا قالت أجراس الموسيقى الشتليّة
حتى يهتز السيفُ بيمناكْ ؟!
– : أجراس تندب في مرثية الليل
أجراس تبكي جرح الأرض السوداء
– : والسيفُ الغاضبُ في يمناك ؟!
– : إني أنتظر الليلةَ في أبواب الرعدْ
أنتظر عبور الأشباح لأقتل شبح الصيف الأسودْ
وأحاكم شجر الصفصاف
وأقيم صغار الأرض شهودا حين أميتُ الجمّيزْ
وأعيد الجرح النازف في أعماق الأرض .

* * *

أنصتْ ياشجر الصفصاف
وارفعْ خصلات الشعر الطائر واكشفْ هذا الصدر

آ .. ها .. !! أين النهدين ، وأين أضعتَ الارداف ؟ !
من أخرس فيك اللبن الحيّ فعشتَ على
شطآن النهر بلا أبناء
وغفوتَ الليل فلم تترا كض فوق الأرض سيولاً بشريّةً
وأضعتَ عصيرا كان يبشّرني بالنسوة والأبناء !!
أهدرتُ دماءَكَ ياصفصاف
لتعود امرأةً حبلى أو أطفالاً يغترفون حليبَ الأرض .

[فليُقتَلْ شجرُ الصفصافْ
فليقتل شجر الصفصـــاف
فليقتـــل شجر الصفصاف]

أنصتْ ياشجر الجميز
في أيّ عصور الرعب تعيشُ فتحمل طيبةَ هذا القلب !!
أثمرْتَ سلالاً ذهبيّةْ
وغفوْتَ لتغرق في الأحلامْ .
فأضعتَ طعام الأيتامْ
أهدرتُ دماءَكَ ياجميز
لتعودَ رجالاً وخناجر .

[فليُقتَلْ شجرُ الجميز
فليقتل شجر الجميـز
فليقتل شجر الجميز .]

* * *

صرخت عذراءُ الأرض المهجورة :
فارسُ قلبي الطيبُ
لم يأت من الأسفار الليليّة
قتلته الأيدي الشبحيّة
نثرته رمادا في الغيطان وفي أصلاب الدور
سكبت دمه في الآبار
أكلت عينيه الأطيار
شربَ النهرُ الصامتُ خمر القلب
آه .. يافارس قلبي الطيب
صوتُكَ في أعماقي يُعشِبُ ليل نهار
يبتهل نداؤكَ : يا صفصاف
أثمِرْ حتى نطعم يوم العرس .
تخضرُّ صلاتُك : يا عنقود البرق
املأ كأسكَ حتى نسكر يوم العرس .
واعزفْ ياقيثار الرعد
حتى نرقص للموسيقى السفليّة .

* * *

— : أحلم أن امرأتي العاقرَ وضعتْ بنتاً حبلى
بعد قليل وضعتْ طفلاً يحمل خنجره في الصبح ويذهب للكتّاب
أحلم أنهما رضعا ثدي الأرض وثدي الشمس
قالا شيئاً فانفجرا في ضحك صاف
— : ماذا قالا ؟!
— : قالا لغةً لم اسمعها في أركان الأرض ...

ثورة على عاطفة قديمة

* شعر راضي صدوق

ماذا ؟.. أفاقَ الأمسُ لاتعتبي ... وحاذري دمعَكِ أنْ تسكُبي
تكلّمَ الماضي ، فلا تنصتي ... إنْ تسمعيهِ ، أبداً تغضبي ؟
فأنتِ جرحٌ في ضميرِ الهوى ... يظلُّ في آثامهِ يختبي ؟
وأنتِ ذكرى الموتِ لمّا طغتْ ... أمواجُهُ تجتاحُ لي موكبي ..
وأنتِ أفعى ، لم يزلْ نابُها ... يحفرُ وجداني وقلبي الصبي .



دعي ليالينا ، ولا تذكُري ... ماكانَ من شجوٍ ، ومن ذكرياتْ
وحاذري أنْ توقظي حبَّنا ... فحبُّنا الكبرُ ، تلاشى .. وماتْ
مزّقه الجوعُ الى جرعةٍ ... تبعثُ فيهِ عنفوانَ الحياةْ

حبستِها عن فيهِ ، مغرورةً وجئتِ تستبقين منه الرفات
ياهذه الرقطاء ، خلّي الاسى لاتوقظي في الضمير النمواتْ

. . .

ودّعتُ تاريخي بلا رجعةٍ وبعتُ أحلامي لمن يشتري
وكلُّ ذكرى خنقةٍ خنتُها دفنتُها في عــالمٍ أغبرِ
حتّى شفاهي أطفأتْ وهجَها خيانةُ الماضي .. فلا تنكري
قبّلتني اليومَ ، فما حرّكتْ عيناكِ ماضيّ ، ولم تشعري
ضممتني ، كأنما جثـــةٌ .. تضمُّني للعالمِ ... الآخرِ ؟

. . .

عودي الى الأرضِ خطايا ، ولا تحدّثيني عن حــكايا الغرامْ
كبرْتُ يا رقطاءُ ، عن قصةٍ بلهاء ، مازالتْ تثيرُ الأنامْ
إنّي عرفتُ السرَّ ، لا تكذبي وزيفي الوهُ ، الذئبِ همّامْ ..
وهدهدي أوهامَــــهُ بالمنى ومزّقي أعصابَهُ بابتسامْ ..
تفاحةُ الاغراءِ قد عفتُها ولم أعدْ أهوى الخلودَ الحرامْ ؟

. . .

أنا ترابٌ باحثٌ عن ترابْ ماعادَ في جنبيّ غيرُ الرغابْ
أتوقُ أنْ افنى على طينــــةٍ حمراءَ كالشهوةِ أو كالعذابْ
أتوقُ أنْ أحيـــا على ناهدٍ يصخبُ في زنديّ أيّ اصطخابْ
يبكي لهباً في فمي ، نارُهُ تحرقُ تاريخي .. تذيبُ الشبابْ
أتوقُ أن أفنى وأحيا ، معاً تحتَ جذورِ الأرضِ فوقَ السحابْ

صلاة ..

مصطفى البدوي

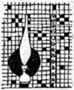
صلي لأجلي في جحيم الذنوبْ
ولوّني جدرانها بالدعاءْ
وصعّدي الآهات على السماءْ
قطوناً بالحبّ بالأغنياتْ

•

طال انتظاري مبحراً في الصقيعْ
لشاطىء أبدعته في الخيالْ
رماله من عسجدٍ ، من قلوبْ
لا آهة في قاعها ترتمي
كالنار ، تشوي الصخر ، كالبرعمِ

•

صلي لقلبٍ عهوهُ كالندى
مألوثه نشوة التائبين
لم يترع التقريع أبوابه
طاوٍ ، يغذّي ناره بالحنين
طفلٌ بريء من ظنون اليقين ..
في مسرحٍ أبطاله من دمى
جلودها شاخت تنجم السما
ولم تزل تصرخ في عريها
يا للحياة الغضّة المشتهى ...





دنيا جديدة

شعر منذر لطفي

سأمٌ .. طاحونةٌ هذي الحياة
ضجر .. دوامة . هذي الحياة
ملل .. حزن عميق
ألمٌ يعصف في نفسي الشقية
راح يجتاح بروح فوضوية
عالمي المغلق ، أفكاري ، متاهاتي العصيّة
راح يجلو عن ضميري كل زيف وطلاء

راح يرتاد كهوفاً من شقاء
انه العفريت في ليل الحكايا الوثنية

. . .

انني أسمع قرعاً لنواقيس غريبة
وجديدة .. !
انها تلغو صبحي ومسائي
انها تأكل أرضي وسمائي
انني أشعر بالتيار يغلي في دمائي
يتغذى الحقد في كل دقيقة
يا رفيقة
انني قد ضقت ذرعاً بالمفاهيم العتيقة
بالتقاليد التي يضعها الناس النيام
بالأباطيل التي تحرفهم من ألف عام
يا صديقة
انني أكسر هذا اليوم آلاف القيود
انني أبحث في عينيك عن سر الوجود
إنني أختزل الماضي وتاريخاً مريرْ
إنني أبحث عن دنياي ، عن دنيا الحقيقة
فاذا ضيّعني الدرب وأضناني المسير

فاندبي حظك دهراً يا رفيقة
واذكري نجماً أضاع العمر في كشف الحقيقة

. . .

من رأى الأشجار في عنف يعرّيها الخريف..
يالهول الجرم ما أبشع ما يجني الخريف..!
ويمر الثلج في عرس شتائيّ أنيق
ينثر الأحلام... ماسا وعقيق
يغمر الآفاق والكرم وأشجار الحديقة
فيغط الحقل في نوم خرافيّ عميق
فاذا هلّ الربيع الطلق خفاق الجناح
تغزل الغابة لوزا.. ونبيذا.. وأقاح
انني ذاك الخريف
يا صديقة
انني ذاك الخريف
انني الآن أعري كل افكاري العتيقة
انني ابحث عن فصل ربيع يا رفيقة
انني ابحث عن تلك الحقيقة
في ضمير الكون، في صمت المتاهات العميقة
في طباع الناس، في الأغوار، في البيد السحيقة

في دروب الليل ، في أنجمه الخضر الأنيقة
في سنا عينيك ، في سحر المسافات القصيّة
في ليالي الحُمر ، في رقصة حب غجرية
أنت ميلادُ عطاءاتٍ سخية
أنت دنياي وأفكاري النقية
أنت يادفء الصحارى العربية
أنت وهمٌ ... وحقيقة
ياصديقة ..!

. . .



مقتل سالم السلمان

لعادل قره شولي

— ١ —

على طريق السنديان
كان يسير سالم السلمان
سنبلة غرته ، ووجهه بشاشة الشموس والأقمار
في يده سلة قش ملؤها رمان
وباقة من فرح الأعراس ، والصاحات
ترقص النفار
وتزرق الأصداف في مزارع الشطآن

— ٢ —

على طريق السنديان
كان يسير سالم السلمان
في ثغره الموال حبات من الرمان والأحلام والآهات
أطفاله ينتظرون أن يعود

فارسهم
محملاً بالبسمة السخية الوعود
وأمهم
في مقلتيها الشوق كالعصفور يستجير
بهدأة الربيع من عواصف الشتاء
أواه يا سالم .. عجّل .. إنهم في الانتظار

— ٣ —

وارتعش الهلال في السماء
كخنجر من فضة تسحبه قبضة جنيٍّ خفي
من غيمة سوداء
تغرزه في غيمة صيفية بيضاء
يرف حول جرحها دم سخي

— ٤ —

ودونما صراخ
انتفضت في مقلتيه صرخة الدماء
واستندت على جدار الدار
زوجته ، واحترق الصغار
في مجمر البكاء

— ٥ —

وتحت ظل خامد على طريق السنديان
قد همدت سلة رمان بلا رمان ...

أقنعة زنجية

شعر أحمد يوسف أحمد



افريقيا !
مالي كأن طبولك الأولى ترج ، فأستكين على انتشاء ؟
وذراعك الخضراء تغمرني تغلغل في دمائي
فألمّ أقنعة .. وتهتف بي أخر
وتحشرج النيران عبر تزاحم الأقدام زغردة الشرر
وأحس في قدمي خفة راقص، أدكّس القربان حيناً، وانتظر !
وألمّ أقنعة ، وأحسب أني أفلتُّ من زمن السفر !
فتلوح لي دون الجزائر في الرمال قوافلُ ..



تقضي ، وتحملني الى الأوراس أنغام الحداء !
واحس أني أزدهي ، ويفيق أجدادي على رجع الغناء ،
في الليل ، توقد ليبيا لي شمعتين وتبسم الاسكندرية
ويلوح ، في قلب الرباط ، بريق ألوان القصور المشرقية
فألم أقنعة .. وألتقط الثمر !
وبداوتي تلقي على الغابات أنفاس الحجاز فنلتقي ،
وترن آلاف المآذن ! تنقل الأقدام حول النار ...
(صوت الله في افريقيا !)
(أبداً !)

.. وصوتك حين يهتف بي أضمك في دمي
فكأننا جزءان من جسد ، كلانا ثار يوماً وانتصر !!

افريقيا
يهتز كوخي في الرياح ، وتقطر الزيتون غيمة
وأدق فأسي في الصخور ، كبابي «البدوي» يوماً ثم عادا
بتوهج الصحراء في عينيه ، حتى يستحيل القيد في الدنيا ، رمادا
خيلُ عراب حمحمت ، وقوافلُ ...
قرشية و «الله أكبر» في المدى ..
ويهل جيل الحب ، حتى تغسل الأحقادَ كلمة !
فأود لو أمضي الى أنفاس غابتك الرطيبة

وأعيد فيك جذوري الأولى الحبيبة !
وألم أقنعة ، وفي قدمي خفة راقص ...
والقوس تشرعه يد !
تترصد الطاغوت ، حتى يستحيل القيد في الدنيا رمادا
وأنا .. أنا البدوي .. من قلب الشآم من الجزائر واليمن !
بجذوري الأولى أمد يديّ كيما نلتقي !
ويرن صوت الحب في افريقيا !!

. . .

زنجية !..
وأحس أنك تبسمين وأبسم !
المجد عبر القصة الأولى ، أيذكر اليم ؟؟!
الحب عبر الرقصة الأولى !
ولنلتقط الثمر !
فكأننا لي غير كوخ في الظلال ... فأنتظر !
وتهيب بي فأمي ...
هناك الحب ، في افريقيا !!
الحب في افريقيا !
وأعود دونك انتظر !!

حنان أب

لسعيد قدقجي

شوقي يهدهدني إليك الى عناقك ياحبيبي
أنت الرجاء وما رجوت سواك في الدرب.. الغريب
لي في ابتسامك يابني تألق الأمل الرطيب
لي في ندائك جنة نشوى بأحلام وطيب
علقت قلبي بالحياة ولم أكن أخشى مغيبي
وجعلت أيامي تطوف بروضك النضر العجيب
ما أنت في الدنيا سواي على متابعة الدروب
ما أنت غير خلودي المعطاء في الأفق الرحيب
يا أنت يانفسي فديتك أنت يانجوى القلوب

• • •

شوقي يهدهدني اليك الى احتضانك ياوليدي

القاك ابن توجهت عينـاي في هـذا الوجود
في بسمة الأزهار في بوح الضحى عند الورود
في الجدول الرقراق ألمح مقلتيك بـلا حدود
في جبهـة البدر المطل أرى صفاءك من بعيد
أين البلابل إن نطقت بصوتك العذب النشيد
ياخيذن روحي ياملاكي باتراتيـل الخلود
أيقظت في دنياي الهامي وكنت رؤى قصيدي
وسموت بي وخطوت بالأحلام في العيش الرغيد

. . .

شوقي يهدهدني اليك الى موائدك الشذية
كم طفت حولك يابني وكم حنوت على يديه
تبكي وتضحك والمنى في حالتيك ملء رضية
وتمزق الأوراق ما أحلى تناثرها عليـه
وتكسر الأطباق فلتسلم يداك العبقرية
وتشدني عند الصباح فديت طلعتك البهيـة
واصابعا كالعاج تعبث ـ كالضحى ـ في وجنتيه
مابيننـا لولاك أنت عبير دوحته الندية
وزهوره وضياؤه وملاك جنته الزكية

. . .

أتحبني وتهز رأسك تلك معجزة البيان

وتدل بالكفين عما يعتريك من المعاني

ولسانك المغلول أحلى ماسمعت من الأغاني

فاذا نطقت فلفظ — مابا — بالقيثار الزمان

لك لثغة كاللحن كالوتر المرن" على اللسان

أنشى بها وأتيه في الآفاق ، لاأعيا مكاني

وأصيح للالهام يحملني بأجنحة الأماني

عش يابني" لقلبي الصادي وغرد في جناني

وانسج لي الأحلام صافية تشعشع في كياني





حكايا الصدف

لقدري مايو

مابالُه هـذا الفتى المحزونْ ... ماذا يريدُ ومن عساه يكونُ ؟
يأتي إلينا في الصباح وفي المسا ... مترنحـــاً فكأنه مطعونُ
أنظارُه ممزوجةٌ بالـلازور ... دِ ودمعُه في محجريه رهينُ
يغضي على ألمٍ وفي أغضائـه ... نجوى تمسّ قلوبنا وأنـــينُ
ويمرُّ فوق جباهنـــا فكأنه ... روحٌ تهيمُ فـلا يمسُّ جبـينُ
وإذا رأينا البحر أخلف وعدَهُ ... في مدّهِ فالوعدُ منه يقـينُ
أو كوكبٌ بمداره ؟ أم خفقةٌ ... في قلبِ هذاالكون ليس تبينُ !
..واحتارت الصدفات تسال من أنا ... ياليتني أدري أنا فابــينُ ..

• • •

قالتْ مكورةٌ عجوزٌ عمرها ... ألفانِ في الأعماقِ وهي رزينُ
ظنّي به من بيت عبقر شاعرٌ ... به من غرامٍ لوعةٌ وحنينُ
ياويله ! طيرٌ أضــاع أليفَهُ ... وأنى يريدُ أليفَــهُ الحسّونُ
عشق النهارَ بشمسِه فاذا بها ... تصبو فيهوى الليلَ وهو سكونُ
ويجيء يسألُ عنهُ آخر نجمةٍ ... أرأيتِ ليلي وهْيَ عنه تبينُ
مازال يبدلهُ الزمانُ حبيبَهُ ... الحبُّ يبقى والحبيبُ يخونُ !.

. . .

رقت لحــالي حلوةٌ مجلوةٌ ... تزدانُ في لمعانهــا وتزينُ
قالت : سليه أما يصاحب مثلنا ... إنّا نصونُ ودادَهُ ويصونُ
من برتقالِ الشمسِ فينا وجنةٌ ... وجناحِ كلِّ فراشةٍ تلوينُ
أنا شهرزاد فللغرام إذا اشتهى ... وإذا تملل فالحديثُ شجونُ
عن سندبادِ البحر، عن قرصانِهِ ... عن كلِّ عمقٍ درُّه مكنونُ
ساعيره من شهريار خيالَهُ ... وألذُّ مـا كانَ الهوى تخمينُ
وإذا أحبُّ فمجلساً أو متكى ... هيهاتَ لم ينعمْ به هارونُ !
ساررتُها فإذا حكايا أمسِهـا ... في أذْن أوهامي لغى وفنونُ
وحملتُهـا فإذا بأخرى تنبري ... وقد استبدّ بها هوى مجنونُ
هــذي أنا أحلى وأمتع صحبة ... خذني إليك تعال يامسكينُ !
ونظرتُهــا فإذا بقلبي ينسي ... وتروق ثالثــةٌ له فيلينُ
ورجعت بالأصداف وهي عرائسي ... وأنا بهنّ متيــمٌ مفتونُ

والبحر يضحك هازئاً مما رأى   عند الصباح وضحكُه تهوينُ
لو لم يَزق غيرةً ماردّها   لقرارِه بالأمسِ وهو ضنينُ
منْ اللئيمُ بفضلِه فعذرتُـهُ   فاعجبْ لبحرٍ فضلُهُ ممنونُ
مابالُ سعدي مايكاد يهشُّ لي   حتى يغور به الزمانُ الدونُ!!
دعني لمن أهوى فما ضاقت بنـا   دنيـا ولا ملّ القرينَ قرينُ



رسالة منها

لممدوح مولود

أنا ما عمري اذا لم أك لحناً راقصاً في مغزلك ؟!
ما غروري ... ان يكن يسلبني الظل الذي قد ظللك ؟!
فهنـــا الشعر الذي سميته الليل الذي قد كان لك
وهنا الخد الذي – والهفتي – قــد كان يوماً موئلك
وهنا الثغر الذي قــد كان للنشوة يوماً منهلك
وهنا الصدر الذي فيما مضى قد كان دومــاً منزلك
وهنـــا الحب الذي بالسحر والفتنة يومــاً أثقلك
وهنـــا تلك التي اهملتها .. أخجلها ان تســـالك
ماعيوني ... ان يكن في بوحها الملهم ماقد أخجلك ؟!
عد بلحن .. جدد الذكرى .. ألا ياشاعري ما أبخلك !! ..



الفنون

الكتاب والموضوعات

- **وراء أشباح التاريخ**

دراسة جديدة في الآثار السورية — قصر الحير الشرقي

الترجمة عن الانكليزية

لعدنان البني

وراء أشباح التاريخ

بقلم: اوليـغ غـرابـر

الترجمة عن الانكليزية: لعدنان البني

يجنح المسافر في الشرق الأدنى، أكثر من أية بقعة أخرى في العالم، الى الاقتصار على عدد قليل من المدائن الشهيرة العريقة في القدم، أو محاور المواصلات والمواقع الأثرية التي يقع معظمها غربي خط يمتد من جهات حلب حتى خليج العقبة على البحر الأحمر، فهناك دمشق والقدس والبحر الميت وجرش والبتراء وغيرها من الأماكن سهلة الارتياد والتي غدا تاريخها وأوابدها على الجملة مألوفة تماماً. واذا ابتعدنا نحو الشرق نجد بغداد وبابل ومن ثم عالم إيران وهو أقل ارتياداً. ولكن هناك بين هذا الشطر من الهلال الخصيب وبين الشطر الغربي منه مايخيل



تاج عمود جميل وطريف اكتشف في البناء الصغير

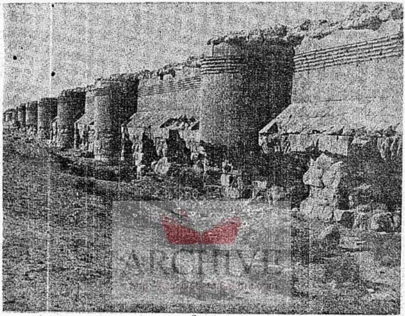
* رأس الأستاذ أوليغ غرابر الخبير الأثري العالمي بعثة جامعة ميشيغن المرخصة رسمياً بالتنقيب الأثري في موقع قصر الحير الشرقي. وقد أجرت هذه البعثة في عام ١٩٦٤ موسمها الأول وهو موضوع البحث في هذا المقال. (المعرب)

إلينا أنه الطرف الشمالي من الصحراء العربية ، وفي الحقيقة أن المسافرين قلمّا يعبرون هذه الأرض ، اللهم إلا إذا كانوا يرومون زيارة سريعة لأطلال تدمر التي تقع في منتصف الطريق الصحراوية الى الفرات . ومع ذلك فان المرء إذا اطرح المغريات الرومانتيكية للصحراء التي ذاع صيتها عن طريق لورنس وغيره فانه يرى أن الخصائص الطبيعية لما يعرف بالصحراء السورية (١) بعيدة عن أن تكون خصائص أرض قاحلة جرداء موحشة . وأكثر هذه الصحراء يقع في منطقة تهطل فيها خلال شهور الشتاء كميات من المطر قليلة ولكنها ثابتة . ونادراً ماتكون أرضها رملية ، فهي تتألف عادة من الحصى والتربة الصالحة للزراعة إذا أمنت لها المياه . وفضلاً عن ذلك فهي منطقة لها أهميتها البالغة في الحركات التجارية والعسكرية فهي تختصر اختصاراً كبيراً المسافة بين وادي الفرات والبحر الأبيض المتوسط . وقد وضح أن هذه الخصائص كانت معروفة منذ أقدم العصور وذلك بدلالة العدد الوفير من آثار التوطن القديم . ويقتصر الأمر في بعض الأماكن على الأدوات الصوانية في أحد الكهوف وفي ذلك دلالة على مساكن قديمة جداً أوى اليها الانسان . وفي أماكن أخرى نرى التلال الأثرية المألوفة في الشرق الأوسط تبرز في آفاق جرداء ، ونجد أحياناً جدراناً واعمدة وبوابات وهي معالم تدل على مراكز هامة حقاً كانت تقوم هناك في غابر الزمان . وأينما اتجهنا نجد قناطر الماء والسواقي والخزانات والقنوات الباطنية تشهد على ان الانسان في وقت ما ، وخلال فترة غير محددة من الزمن ، رأى من المناسب أن يستصلح ويستخدم هذه الأرض التي نظن أنها قاحلة .

اننا لانعرف الا القليل عن زمن حدوث هذه الاصلاحات وسببها ، ومع

---

(١) الواقع أن « الصحراء السورية » مصطلح مألوف لدى الأجانب والمستعربين من الكتاب العرب . أما سكان البلاد فانهم يطلقون كلمة (بادية) و (بادية الشام) حتى على المنطقة المتاخمة لدمشق تقريباً وبعدها يأتي الحماد . (المعرّب)



ان هذا البنيان الضخم يقف منفرداً في البادية على بعد حوالي خمسة كيلو مترات جنوبي البنائين الكبير والصغير . ومن المعتقد أنه سد لحجز الماء في الوادي خلال موسم الامطار

ذلك فهناك حالات مماثلة في أراض لا فائدة منها ظاهرياً تمت فيها استصلاحات في وقت ما ، وذلك في مناطق أخرى من العالم كايران وجنوب الجزيرة العربية وآسيا الوسطى السوفياتية والصحراء الكبرى. ويستنتج من القليل الذي نعرفه أن آخر فترة كبرى تمت فيها استصلاحات هامة في البادية السورية تمتد بين القرنين الأول والثامن بعد الميلاد ، أي في العهود التدمرية والرومانية والبيزنطية وفاتحة العهد العربي الاسلامي . ويبدو بعد القرن الثامن أن المنطقة بأسرها قد عراها البوار ، او على

الأقل من حيث كونها مركزاً للانتاج الزراعي ، وبقيت طريقاً للتجارة ولكنها طريق غير امينـــة . ومع ذلك فان كل ماذكرنا ليس على الجملة سوى فرضيات لم توضع على محك البحث الأثري . ثم ان معرفتنا بالعهد الأقدم في تاريخ هذه المنطقة ليس خيراً من معرفتنا بغيره . ومع ذلك فان هناك نظريات مختلفة وضعت على بساط البحث في هذا المجال .

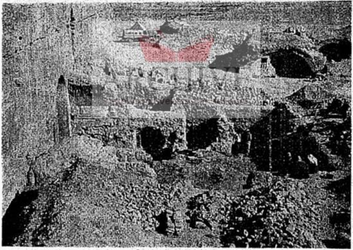
نظراً لهذه الاعتبارات كلها ، وبمساعدة منحة من جامعة ميشيغن واخرى اصغر معدة لتغطية نفقـات السفر من مركز دراسات الشرق الأدنى وافريقيـة في الجامعة المذكورة ، فقد قامت في الأسبوع الثاني من ايلول ١٩٦٤ ثلاث سيارات محملة بالتجهيزات والطعام ومعهـــا خمسة اميركيين وتركيين واردني – بين اساتذة ومهندسين وطلبة — بالانطلاق من دمشق الى تدمر . وهناك — بعد عدة زيارات رسمية ومشتريات مختلفة حتى آخر دقيقة – انضمت للسيارات الثلاث سيارتان جديدتان والتحق بالبعثة ممثل للمديرية العامة للآثار والمتاحف وسكرتير وميكانيكي وممرض وطباخان وبضعة عمال من ذوي الخبرة .

وفي العاشر والحادي عشر من ايـــلول وصلت هذه التشكيلة الى الطيبة ، وهي قرية صغيرة حديثة العهد عدد سكانها مائتا نفس ، تقع على بعد ثمانين ميلاً الى الشمال الشرقي من تدمر ، تمتاز بوجود نبع دائم قائم بقربها وفيها خرائب تدل على سكن قديم منها برج عال يرى من عدة اميال .

وخلال شهرين اصبحت الطيبة التي تدين باسمها لمائها الحلو مقراً لنا ، فقد حللنا في احسن بيت من بيوتها واثرنا ، لمدة محدودة على الأقل ، في احوال السكان المالية وفي اذواقهم من حيث اللباس والطعام .

ولكن في الواقع لم يكن عملنا يستهدف الطيبة نفسها بل موضعاً يبعد ١٢ ميلاً الى الشرق منها وهو يعرف بقصر الحير الشرقي ، يقع عند سلسلة جبال واسعة تخترق بادية الشام كلها ويمر بقربه واد عريض تنصب فيه خلال الشتاء المياه من ذرى الجبال والهضاب . وفي هذا الموقع سوّرت ، في وقت ما ، قطعة واسعة من الارض (طولها قرابة خمسة

أميال وعرضها حوالي ميلين) تتضح آثارها في الصور الجوية وبعضها يمكن تتبعه على الأرض . وما يزال قسم من هذا السور العريض قائماً ، وهو مجهز بفتحات متتالية ربما كان لها علاقة بتنظيم المياه أو بأغراض أخرى . إننا لا نعرف الغاية من إحداث هذه المنطقة الواسعة المسوّرة ولكننا نرى فيها آثار جدران أقل ارتفاعاً وقنوات ، كما أن في شمالها آثار قناة محمولة على قناطر تبين أن جهوداً بذلت في وقت ما لجر المياه اليها من نبع دائم على بعد حوالي عشرين ميلاً . على أن أروع ما في موقع قصر الحير الشرقي هما بناءان متجاوران محاط كل منهما بأسوار عالية بقيت قائمة مع مداخلها (١) . البناء الأول طوله ١٤٠ متراً وعرضه ١٤٠ متراً وله ستة مداخل وكان يتوسطه



منظر للمدخل المنقب جزئياً في البناء الصغير ، مأخوذ من أعلى الجدار الجنوبي

(١) المقصود بالبنائين ، بناء صغير يعرف بقصر الحير ، وبنـاء كبير هو أشبه بالمدينة الصغيرة المسورة . (المعرب)

خزان ماء . وفي زاويته الجنوبية الشرقية عضائد عريضة كانت جزءاً من رواق مسجد . أما البناء الثاني فهو أصغر (٧٠×٧٠ متراً) ولكنه يمتاز بواجهة رائعة البنيان والزخرفة وفي زواياه ابراج جميلة وبداخله عدد من القباب ماتزال بقاياها ماثلة . وقد أمكن بالاستناد الى أسلوب الريازة رد البناء الى العهد الأموي (النصف الاول من القرن الثامن الميلادي) فقد شيد الأمراء المسلمون خلال هذا العهد في بوادي سورية والأردن منشآت فخمة (كالقصور والحمامات واستراحات الصيد) . الا أننا نفتقر حتى الآن الى دليل على الغرض الذي استخدم من أجله هذا البناء . أما البناء الآخر (الكبير) فمن المعتقد أنه أموي أيضاً نظراً للشبه البيّن بين أسلوب ريازة أسواره وعضادة المسجد الصغرى التي تحمل كتابة تبين أن هذه « المدينة » بنيت عام ٧٢٨/٧٢٩ ميلادي (١) . ولكن المشكلة الكبرى هي في كون الكتابة نقشت على حجر معاد استخدامه في بناء أحدث عهداً ، فهي لاتؤرخ البناء كله بالضرورة . وفضلاً عن ذلك ان الدراسة التقنية



السيد خالد الاسعد ممثل المديرية العامة للآثار والمتاحف يشرف على الاعمال الخطوة في تنقيب المسجد . ان مثل هذا النوع من العمل يحتاج الى مهارة العمال التدمريين المدربين

(١) النص يذكر التاريخ الهجري طبعا وهو عام ١١٠ هـ . والنص بشكله الكامل هو كمايلي : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله وحده لاشريك له ، محمد رسول الله ، أمر بصنعة هذه المدينة عبدالله هشام ، أمير المؤمنين ، وكان هذا من عمل أهل حمص على يد سليمان بن عبيد سنة عشر (ومائة) » . المعرب .

للزيارة تبين فروقاً كبرى بين البنائين الكبير والصغير . وليس هناك من تفسير للغرض الفعلي من إقامة مثل هذا المشروع الضخم في مكان خال من المياه وبعيد كل هذا البعد عن أي موقع كبير آخر .

ان هدفنا النهائي هو تفسير وجود هذا القصر الخاص وادراجه في مسألة أشمل هي مسألة التأقلم أو انتفاع البشر من المناطق القاحلة . أما هدفنا المحدد في عام ١٩٦٤ فهو تدبر التنقيب في الموقع ومحاولة الكشف عن المسائل التي يثيرها والدلائل التي يقدمها وكمية العمل اللازمة لحل المسائل المتعلقة به . ونضيف كذلك اننا كنا الى حد ما نحاول مدى احتمالنا لظروف العمل الصعبة في الصحراء ، والبحث عما يجب بذله في سبيل جعل عملنا في المستقبل أكثر فعالية وتوفيقاً .

عمدنا الى بدء العمل في ثلاثة قطاعات مستخدمين حوالي مائة عامل من اربع واحات في المنطقة . واثنان من القطاعات الثلاثة المذكورة هي في البناء الصغير ، اولهما عند مدخل البناء وقد تمنا بالكشف عن جانب كبير منه فظهر لنا ممر جميل البلاط يؤدي الى رواق على عمد يكتنف باحة داخلية ، وهناك قناة ماء تحت البلاط تسوق الماء الى داخل البناء . والذي يثير الانتباه ان الاسوار الخارجية والبلاط والاروقة بنيت في وقت واحد بينما نجد الجدران العرضانية ومداخــــل الغرف الجانبية وارضياتها قد أعيد بناؤها كلياً أو استعملت مجدداً في اغراض اخرى بعد فترة وجيزة من تشييد البناء . ويـدل الفخار المكتشف على أن هذا الدور الثاني في البناء يعود الى عهد لم يظهر له من قبل آثار في هـذا الشطر من سورية وهو يقابل منتصف القرن التاسع الميلادي . ويستنتج ان البناء لم يكمل على الغالب بالاصل دفعة واحدة او انه هدم وأعيد بناؤه بعد حوالي قرن من تشييده . واذا تأكد لنا ذلك في التنقيبات المقبلة فانه لقمين ان يطرح مسألة تاريخية كبرى إذ ان من المسلم به حتى الآن ، سواء بالنسبة للمؤرخين او مؤرخي الفن ، ان جانباً كبيرا من سورية قد هجر وعراه البوار في القرن التاسع . ولقد تمكنا لذلك من

البرهنة على ان الاعمدة خلال القرن العاشر او الحادي عشر الميلاديين قد تساقطت وان البناء قد فقد تكوينه المعماري الاصلي وتحول الى عدد كبير من المساكن الصغيرة سرعان ما كانت تهجر، حتى انها كانت احياناً عبارة عن محطات موقتة للبداة . وان هذا التطور الاخير الذي لاحظناه لدى التنقيب عند المدخل قد تأكد لنا بكثير من التفصيل عند التنقيب في الزاوية الجنوبية الشرقية من المكان . ومع ذلك ، ان كان في وسعنا تحديد الفترات الرئيسية التي سكن فيها البناء ، فاننا ما نزال عاجزين تماماً عن ادراك الغاية الاصلية التي شيد من اجلها هل كان قصراً ام خاناً كبيرا او معسكراً حربيا ؟ انها مسائل ما تزال تنتظر الجواب.

وكان قطاع التنقيب الثالث في البناء الكبير .

وقد استهدفنا منه قبل كل شيء معرفة المخطط الحقيقي للمسجد القائم في الزاوية الجنوبية الشرقية ، وقد بلغنا الجزء الاكبر من هذا الهدف على الرغم من ان بعض المسائل التقنية تجعل من المستحيل التنقيب بشكل كامل عن منطقة المحراب والجزء الشمالي الشرقي من البناء . وقد تبين ان للمسجد مخططاً متميزاً ولكنه يختلف الى حد ما عما كنا نتوقعه . وعلاوة على ذلك فان بعض تفاصيل بنيانه لا تنسجم مع مطلع القرن الثامن او نهايته . وهذه المسائل على الجملة ثانوية . ولكن هناك ما هو اكثر طرافة الا وهو الكشف داخل المسجد عن شبكة معقدة من قنوات الماء لم نستطع تحديدها تماماً ولكنها تثير الانتباه الى ميزة اساسية تشمل الموقع كله الا وهي العناية المدهشة التي بذلت في انشاء مجاري الماء من كل نوع . ولعل اهم من كل ما تقدم ذكره اكتشاف عفوي وفقنا له خلال محاولتنا دراسة الزاوية الشمالية الشرقية للمسجد ، فقد ظهر لنا ان الجدار الغربي للمسجد لم يكن في الواقع سوى جزء من جدار يبلغ طوله ٨٠ متراً وكان يجتزيء شطراً من البناء الكبير يقع المسجد في طرفه وتليه سلسلة من المتاجر ومحلات الصناعة وقد نقبنا في احد تلك المحلات فعثرنا على معصرة وخابيتين في الارض

ومعرض واسع تتصل جميعها ببعضها بواسطة قنوات صغيرة .

ان هناك قضيتين مستقلتين يثيرهما هذا الاكتشاف ، اولاهما معرفة ماذا كان يحضر في المعصرة، اهو زيت الزيتون ام الزيت المحلي المستخرج من البطم ام الصابون . ولا بد للاجابة على هذا السؤال من انتظار التحليل فان بامكاننا تقرير حقيقة كون هذه المؤسسة الصحراوية مركزاً لصنع بعض المنتجات، وان لها اهمية وغاية صناعيتين وبذلك تتوفر لدينا بعض المستندات اللازمة لدراسة موضوع يكاد يكون مهملاً حتى الآن ، الا وهو موضوع صناعة الصحراء في القرون الوسطى . أما القضية الثانية فهي قيام مسجد ومركز اعمال في مجموعة عمرانية واحدة . اننا نفترض انه كان في أواخر القرون الوسطى قد اصبح من المألوف بالنسبة للمتدينين وللدولة ان توقف للمؤسسات الدينية مختلف المشاريع الصناعية والتجارية . ولكننا لا نعرف الا القليل عن الزمن الذي بدات فيه هذه العادة والأقل عن الخصائص المعمارية لمثل تلك المؤسسات . ويبدو ان مثل تلك المجموعة تكتشف هنا للمرة الاولى من الناحية الأثرية . ولكن تاريخها مع ذلك مازال غير مؤكد . ويبدو واضحاً لعدة اسباب ان هذه المجموعة ظلت مستخدمة وقتاً اطول من اي جزء في البناء الصغير. كما تدل بقاياها على انها هجرت في القرن الثالث عشر الميلادي بعد غزو المغول . ولكن تاريخ انشائها مازال مجهولا ، فهو إما القرن الثامن الميلادي وبذلك نكون في صدد أقدم مجموعة دينية — صناعية معروفة في الشرق الأوسط أو في القرن الحادي عشر، وفي هذه الحال نكون إزاء المجموعة الوحيدة التي تم التنقيب عنها حتى الآن . وهناك حجج تدعم كلاً من الاحتمالين ولكن كليهما ليسا من القوة بحيث يحلان المشكلة .

وبالرغم من العثور على عدة مئات من كسر الخزف والزجاج والمعدن والزخارف فاننا لانجد فيها قيمة فنية موحدة . ومع كون بعضها جزءاً مع قطع جميلة بالأصل فان أكثرها قليل

الفائدة في تعيين الطبقات . ولعل مما يجدر ذكره في هذا المجال اكتشاف جزء من آنية صينية تدل على العلاقات التجارية الدولية للمنطقة ، وهناك بعض الكسرات الفخارية المسيحية وكتابة تدمرية الامر الذي يشير الى وجود منشآت سابقة للاسلام في المنطقة .

والخلاصة ان باستطاعتنا القول إن موسمنا الاول قد أوضح العناصر الأولى لمخطط البناء الصغير وعدداً من الادوار التي مرت عليه ، الامر الذي يثير مشكلة تاريخية كبرى ، ثم هناك المعالم الرئيسية في مخطط المسجد وعلاقتـه باحدى المجموعات الصناعية ، وبرهان ساطع على وجود شبكة للمياه متطورة جداً .ورغم استطاعتنا القول باطمئنان إن الفـترة الرئيسية التي استخدم فيها الموقع كانت بين القرنين الثامن والثـالث عشر الميلاديين فان التاريخ الدقيق لقيام الموقع مازال مستغلقاً علينا .

إن هذه النتائج وهذه القضايا التي تحوم حولها الشكوك هي الـتي تحدد أهداف مواسم التنقيب القـادمة . فمن الضروري القيام بالكشف عن جانب أكبر من البناء الصغير حتى تتبين الغاية التي شيد من اجلها ونحدد بشكل أدق كيفية تطوره . كما أن المسجد والمجموعة الصناعية التجارية الملحقـة به يجب أن تنقب تنقيباً كاملا وتوضح الصلة بينها وبين باقي اجزاء البنـاء الكبير . واخيراً إن علينا أن نبين كيف كانت تعمل شبكة الماء وماهي علاقتها بالمنشآت المائية وقناة الماء المحمولة التي رأينا آثارهـا خارج أسوار البناء الكبير . تلك هي المهمات التقنية الاثرية التي ستكون نصب أعيننا في الموسمين أو المواسم الثلاثـة المقبلة .

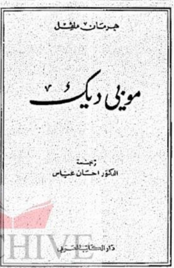
وعلينا ، علاوة على ذلك ، ان نتوقـع جهداً كبيراً في مراجعة الكتب والمصادر، فعلى الرغم ممـا يبدو من أن المصادر المكتوبة التي بين أيدينا لن تجلو الاسم القديم لقصر الحير الشرقي فان من الواضح من الدلائل الأثرية أن موقعاً في مثل هذه الأهمية لابد ان يترك أثراً في المصادر التاريخية والجغرافية .

ولعل من غير المستحسن أن ننهي كشف أعمال بعثة أثرية — وهذه البعثة بالذات — بذكر المسائل التقنية حول الماء وصناعة الصحراء ومختلف التواريخ المحتملة لخرائب قائمة في أرض سحيقة . هناك جانب أكثر عاطفية وجانب آخر أخلاقي . أما الجانب العاطفي فمن الصعب التعبير عنه بالكلمات أو بالصور . ولكن ليس هناك من زائر — بعد ثلاث ساعات من الغبار في قفر موحش سهلي وجبلي — لا يأخذ بمجامع قلبه استجلاء هذه الأبراج الساحقة والأسوار المنيعة والقباب وقنوات الماء في أرض يخيل اليه أنها خلو الا من قليل من الثعالب والعقارب. هناك جلال مثير في هذه الأطلال إذ تسفوها عواصف الرمال أو تتألق جرداء في شعاع الشمس الغاربة . ان التعب الجسدي والضيق اللذين يستشعرهما المرء في الصحاري والبحار تتغلب عليها الرغبة والأمل في أن يدرك لماذا شيدت مثل تلك المنجزات الرائعة في هذا المكان ومن شيّدها . أما الجانب الأخلاقي فلعله أيسر تقريراً ، فالأثري إذ يبعث الى الحياة معاصر الزيت القديمة والخزف والمنشآت الدينية فانه لا يقتصر على تزويد التاريخ السياسي والاقتصادي بالمستندات بل يبعث الى الوجود جهد جميع الناس الذين عاشوا في الماضي البعيد ومطامحهم واحلامهم ولا يكتفي بكشف روائع العمالقة الجبابرة التي تفرض نفسها تلقائياً علينا جميعاً . وهل هناك غاية أكثر انسانية من أن نكشف لكل من ينظر ويتأمل المشاغل اليومية في فترة من حياة الناس منسية منذ وقت طويل ؟ وهكذا يكون لكل الناس الحق في نوع من الخلود ، بالقوة والواسطة .



- كتاب المعرفة — موبي ديك لهرمان ملفيل
  عرض خليل الهنداوي
- مقابلات المعرفة — مع الشاعر المصري محمود ابو الوفا
- مهرجان الريحاني
- مهرجان السينما والطاولة المستديرة
- المكتبة العربية — ١ ـ معجم المصطلحات
  عرض يحيى الشهابي
  ٢ ـ لألاء القمر لنازك الخزرجي
  نقد سامي الكيالي
- القصة العربية — عينان من اشبيلية لسلمى الحفار
  الكزبري عرض وتحليل الفة الادلبي
- في بريد المعرفة — ملاحظة من الاستاذ عزة دروزة
- كتب جديدة
- اخبار الادب والفن
- المسرح
- معرض الخريف لعام ١٩٦٠
  عرض وتحليل غازي الخالدي
- جولة الشهر
  مع الاشتراكية الكاسترية — كوبا

كتاب المعرفة


هرمان ملفل

موبي ديك

ترجمة
الدكتور احسان عباس

دار الكاتب العربي

عرض وتلخيص
خليل الهنداوي

منذ عرف الإنسان كيف يكتب لم يوجد قط كتاب مثل هذا . وعقل الإنسان أضعف من أن ينتج كتاباً مثله . وإني أضع مؤلفه في مصاف (رابلة) و (سويفت) و(شكسبير) .

برنارد شو

هذا عهد لم تعرف اللغة العربية مثله خصباً في الانتاج، وغزارة في نقل الآثار الأدبية اليها على اختلاف مصادرها. وقد سبق للعرب أن اتصلوا بحضارات غيرهم من الامم، ونقلوا عنهم الآثار الكثيرة. ولكن هذا النقل كان محصوراً في فنون العلم والفلسفة، دون أن ينتقل الى عالم الأدب والشعر، لأنهم كانوا يصدفون عن ترجمة هذا العالم، اعتزازاً بآثارهم الادبية التي كانوا يقدمونها على كل أثر، ويجدون في أنفسهم أن لهم - دون غيرهم - ملكة الفصاحة والبيان.

وفي مطلع القرن العشرين، على أثر اتصال الشرق بالغرب اتصالاً واسعاً، ادرك الأدب العربي أنه في عزلة فكرية نائية، تجمد فيها فكره، واستحط ابداعه، فأقبل على مناهل الثقافة الغربية التي كان يزدريها، يأخذ منها، ويقتبس من فنونها ضروباً من الأدب كان بعيداً عنها. وبذلك تقاطر علينا سيل دافق من الآثار الغربية، بطريق النقل والترجمة والاقتباس.

ولا عجب أن تكون التجربة الأولى تجربة غير ناضجة، يخبط فيها خبط السائر حاطب الليل، لا يدري ما يأخذ، وما يدع. فاجتمع عندنا آثار لها قيمتها، وآثار أخرى فارغة لا تغني شيئاً. على أن هذه التجربة لم تنجح الا على أيدي ادباء استطاعوا أن يمنحوا الآثار المترجمة من روحهم، ومن أسلوبهم العربي الصافي، شأن المنفلوطي في ترجماته لبعض الروايات العاطفية، وترجمات الزيات لآلام فرتر، وسواهما من الأقاصيص الفرنسية. وبذلك مهد هؤلاء المترجمون الطريق للنقل الذي يجمع بين جمال الفكرة، ومضاء الأسلوب

ولكن الترجمة ما لبثت أن ساء عملها حين انقلبت الى مجرد تجارة مادية، لا يراعي

فيها المترجمون الدقة فيما يترجمون ، ولا صحة الأداء فيما يكتبون ، وان منهم من ليس له اختصاص في الترجمة ، فهو اذا أحسن لغة أساء التعبير في اللغة الثانية ، فكان أن توسعت حدود الترجمة ، وضاع جلال الأثر الفني المترجم .

والترجمات تواردت علينا من لغات متعددة ، وآداب مختلفة ، ولا سيما اللغة الانجليزية لشيوع لغتها ، حتى بات اكثر ما يترجم عن غيرها ، أنما ينقل بواسطتها .

وها نحن الآن أمام أثر رائع ، من شوامخ الآثار ، على بعد عهده ، تتجلى فيه الترجمة الصحيحة ، ويتمثل فيه العناء الحريص على الأمانة والجودة ؛ قلما وقفنا على مثله في عهد طويـــــل . وهو رواية « موبي ديك » لكاتبها الأديب الأميركي « هرمان ملفل » ، الذي بخس الحظ قدر روايته في عصره ، ولم يعرف الناس قيمة أثره الا بعد ثلاثة أرباع قرن ، حين جلا النقاد عن هذا الأثر غبار النسيان ، فاذا هو من الآثار التي تزهو بها الانسانية .

ذلك هو « هرمان ملفـل » الذي عاش من سنة ١٨١٩ الى سنة ١٨٩١ — الذي أطلق عليه لقب « جواب البحار » أو « السندباد الغربي » يوم كانت الولايات المتحدة تملك أسطولاً للشحن مساوياً للأسطول البريطاني . ولم تصل التجارة ، بعد ، الى قتل الروح الشعرية في البحر . وكان لأمريكا تجارة ، وأساطير بحرية .

كانت مدن بوسطن ، وســالم ، وبيدفور الجديدة ونانتوكت[1] بصورة خاصة ، ترسل سفنها الى أطراف العالم لجلب البضائع كالبن والصوف والجلود من افريقيا وأمريكا اللاتينية ، على طريقة التبديل والمقايضة .

كانت الولايات المتحـــدة ـ ملكة البترول اليوم ـ تستضيء بزيت الحوت ، هذا الحوت الجبار الذي كانت تتبعه سفن الصيادين في رحلات مخيفة ملأى بالمخاطر ، قد تمتد ثلاثة ... أو أربعة أعوام ، بدون توقف ، أو ارساء .. ولا تعود هذه السفن الى موانيها الا بعد أن تطفح عنابرها زيتاً .

(١) نانتوكت : جزيرة تقع على بعد ٢٧ ميلا الى الجنوب من رأس كد ، وسميت بأكبر مدنها .

فكم في هذا الطراد البعيد من عجائب ومخاطر ! وكم فيه من مواقف تمتزج فيه دماء الصيادين بدماء ضحاياهم من الحيتان! وكم من تطورات وأساطير غريبة تعلق بالذاكرة من هذه المغامرات التي يتعانق فيها الواقع مع الخيال .

على سفينة ، من سفن صيد الحيتان ، خارجة من « النـــانتوكت » ، في سنة ١٨٤١ كان فتى أمريكي في السابعة عشرة من عمره ، من أسرة ظللتها فرنسة بظلال وطنها ، يدعى « هرمان ملفل » وأبوه كان قائداً في حروب الاستقلال .. خرج هذا الفتى هرباً من جور أهله ، يناديه صوت من العالم الخارجي الذي جعل منه بحاراً للحياة .. وهو يهتف من أعماق قلبه بهذه الصلاة :

« آه ! أعطني حياة جواب البحار !
الفرح .. الرعشة .. القلق !
آه كم أسمع
كم أتنفسك يانسيم البحر ! وكم أصهل وأحمحم في زبدك !
لن تكون هناك أرض .. أية أرض تافهة تسقط على نعشي !
وليكن قبري هو القبر الذي التهم فرعون وجنوده ...
ولأسترح مع « دراك » الذي يرقد هناك ، في أعماق البحر ! »

لقد هام « هرمان ملفل » بالبحر فتى ؛ ولم يكن البحر ـ عنده ـ الا رمزاً لتشوف روحه المتفجرة الى الأشياء البعيدة . وزاه في الثالثة والعشرين من عمره ركب سفينة صيد ، وفي البحر ، قريباً من جزيرة غريبة ، عن له أن يترك السفينة ، هو ورفيق له ، فانطلقا في هذا المجهول الجديد ، حيث وجدا جماعة من المتوحشين ؛ فوقعا أسيرين بأيديهم ، لكن رفيقه استطاع الهرب بعد أسابيع ، وأما هو فقد ظل أسيراً طيلة أربعة شهور ، في حوزة رئيس القبيلة ، وكان له من جماله ماجعل حسان الجزيرة تتودد اليه ، وتتغزل به ، فكان هانئاً في أسره . ولكنه ، ذات يوم ، وقع ناظره على بعض الأسرى يلقون على السفود ، وتشوى لحومهم ، فسرى الخوف في نفسه وعزم على أن يهرب ، ونجح بعد عناء في الهرب ، دون أن ينسى أن يلتفت متحسراً

الى الحسناء « فاروأي » التي كانت تؤنس نفسه ، في محبسه ، ولبث مدة على الشاطىء مستخفياً حتى أدركته سفينة اوسترالية، حملته الى جزيرة « تاهيتي » حيث عاش زمناً فيها ، كأنه يتقلب في عوالم غير معروفة لاصلة لها بالأرض .

وفي عام ١٨٥١ أخرج « هرمان ملفل » روايته « موبي ديك » — وهو اسم حوت أطلقه الصائدون على حوت جبار عنيد . أعياهم صيده في البحار الجنوبية — وتعد هذه الرواية من شوامخ القصص الامريكي الرومانتيكي ، ومن النقاد من يعدها الرواية الأولى باللغة الانجليزية في القرن التاسع عشر، وقد مر عليها ثلاثة أرباع قرن قبل أن يضعها النقاد في المكان اللائق بها .

إنها ملحمة شعرية رائعة كتبت نثراً ... اجتمع فيها مخيلة « جول فرن » وعبقرية « شكسبير » في التحليل النفسي وغرابة « اوغاربو » وصرامة « نيتشه ». حيث ترى — بعد ما تراه من وصف لحياة الحيتان ، وتصوير لفن الصيد ، والابحار على الشراع في البحار المترامية — ملامح البحر الذي هو ، كل يوم ، في شأن ، ومأساة الضمير الانساني الذي يسوقه الوهم الى العوالم المجهولة .

هذا هو « هرمان ملفيل » — وقد أطلق عليه اسم « اسماعيل » — خالي الوفاض من الدراهم أو كالخالي ، لم يبق له على البر شيء يبعث المتعة في نفسه ، فاتجه نحو البحر ... في رحلة لصيد الحيتان .

وقد أذهله أن يرى صورة تمثل رجلاً من « رأس هورن » في عاصفة شديدة ، وقد تاهت سفينته هنالك ، فأصبحت شبه غريقة ، لا يرى منها الا صواريها الثلاثة معطلة ، وفي الصورة حوت ساخط محنق يريد أن ينقض على السفينة ...

ولكنه مضى الى النزل الذي يجتمع فيه عادة الصيادون قبل رحلتهم ، فلم يجد موضعاً ينام فيه ، الا اذا ارتضى أن يقاسم أحد الحواتين سريره ... ولكن ، كيف ينام الاثنان تحت لحاف واحد ؟ لا انسان يؤثر أن يكون أحد اثنين في سرير واحد ، بل لعل المرء يتحاشى أن

يشارك أخاه لحافه ، فكيف مشاركته الغريب ؟

وأخيراً ، دخل الغرفة وحده . فماذا رأى ؟ لوحة من الورق ترتسم عليها صورة رجل يطعن حوتاً ، وأرجوحة مطوية ، وكيساً بحريا يحتوي ملابس الحوات ، وشيئاً غريباً زخرفت حوافيه بجلاجل صغيرة رنانة كريش الشيهم المدهون الذي يزخرف به الهنود أحذيتهم .

وما هي الا لحظات حتى دخل هذا الحوات ... ياله ! أي منظر ! ياله من وجه ! وجه ذو لون أصفر ، ميال للأرجواني ، قاتم ، تتخلله بقع سود كبيرة ، متناثرة ، رفيق ، مرعب . راح يردد ، أمام صنمه ، ترنيمة ، أو مزموراً وثنيا ... ثم أطفأ النار ، ودس صنمه في جيب برنسه ...

وحين أقبل على السرير ، وشاهده متمدداً غضب ، وهم بقتله ... فصاح صيحة الخوف ، فدخل صاحب النزل الى الغرفة ، وبيده شمعة ... فصاح به :

— لماذا لم تخبرني ان هذا الحوات الجهنمي من أكلة لحوم البشر ؟

ولكن الحوات هدأ بعد ذلك وانقضت الليلة بسلام ...

وفي الصباح عن « لاسماعيل » أن يدرج في المدينة ، فانتهى الى المقبرة ، حيث وقع ناظره على عدة قبور ، عليها لوحات كئيبة ، تشير الى موت الصيادين الذين لقوا حتفهم في مطاردة الحيتان ، وكثيرات هن النساء الحاضرات اللواتي كن يحملن على وجوههن سمات الحزن .. « وأي فراغ مرير في ذلك الرخام ذي الاطار الأسود الذي ليس تحته رفات ! أي يأس في هذه المنقوشات الثابتة في أي فريق من المخلوقات الحية يدرج موتى بني الانسان ! انهم لا يحكون حكايات ، وان كانت لديهم أسرار تزيد على الرمال ..! »

غير أن المرح يعاود البطل على نحوما ومغريات ممتعة تحفزه على الرحلة ..

وحين رجع الى الحانة وجد صاحبه المتوحش « كويكوج » وحده ، وكان يجلس على مقعد أمام النار ، وقد قرب من وجهه صنمه الزنجي الصغير ، وهو ، في أثناء ذلك ، يهمهم لنفسه بطريقته الوثنية .

- « اني رأيت من خلال وشمه الغريب آثار قلب بسيط شريف ، ورأيت في عينيه النجلاوين العميقتين اللتين تلتهبان سواداً وجسادة أمارات روح تستطيع ان تتحدى ألف شيطان . »

ولكن الصداقة لم تكن مستحيلة بين هذا الوثني المتوحش ، وذلك المسيحي المتدين ، ولم يلبثا أن أصبحا قرينين ، مطمئنين متحابين .

وبعد تجوال طويل واستفسارات عارضة علم أن هناك ثلاث سفن مزمعة على رحلات تستغرق ثلاث سنوات . وهي « زوجة الشيطان ، واللقمة السائغة ، والباقوطة (١) وهي اسم قبيلة مشهورة من الهنود » . وحين نزلها وقع عليها اختياره . وهي سفينة من الطراز القديم ، طال تمرسها ، وتقلب الجو بها بين عاصف وساكن في المحيطات الأربعة ، فاسودت سحنة هيكلها ، وبدت مقدمتها الجليلة ، وكأنها قد التحت . أما ظهرها فقد بلي وتغضن كأنه الحجر الذي نهكته أيدي الحجاج ... سفينة كريمة ، الا أنها سورة للكآبة ، وكل شيء كريم فيه مسحة من الأسى الكئيب .

وبعد أسئلة عن شأنه ، ومهنته ، وممارسته رضي القبطان بتسجيل اسمه في قائمة ركاب السفينة ... ولكن العجب في أمره أنه ، بعد هذا كله ، لم ير وجه القبطان وهو يحب أن يراه ، ولكن القبطان لايبارح قمرته . . وهو شخص غريب الأطوار ... القبطان « آخاب » ولكنه انسان طيب ! مقدس رباني ، لايعرف التقوى ... درس في الكليات ، وعاش بين أكلة لحوم البشر . ألف عجائب أعجب من الأمواج ، وأثبت حربته المتألقة في أعداء أقوى وأغرب شأناً من الحيتان... ذلك هو « آخاب » !

مضى يوم أو يومان ، واحتدم النشاط فوق ظهر « الباقوطة » .. وأعد كل شيء للرحلة الطويلة . وكانت الشمس قد بزغت ساطعة ، وسرعان ما أخذ البحارة يغدون مثنى مثنى ، وثلاث ثلاث ، وانهمك الضباط المساعدون في العمل ، وفي أثناء

---

(١) Pequod

ذلك كله ظل القبطان (آخاب) مختفياً متوارياً في جوف قمرته .

وأخيراً رفعت المرساة ، ووقف كل بحـــار في مكانه ، وانسابت السفينة في الأطلسي الموحش .

كان على السفينة « القبطـان » الذي لايزال مجهولاً ... وكان رئيس الضبـاط ـ استاربك ـ وهو رجل طوال جاد ... اذا نظرت في عينيه بدا لك وكأنما ترى فيها أخيلة لا تزال ماثلة من آلاف الأخطار التي واجهها في حياته بثبات وسكينة . لم تكن الشجاعة فيه وقدة عاطفية ، بل كانت شيئاً مفيداً له ، لايجوز تضييعها بسوء التدبير . لذلك لم يكن يميل الى التحفز لصيد الحيتان بعد الغروب ، لأنــه جاء ليقتل الحيتان كي يعيش ، لا لتقتله الحيتان كي تعيش . «وكان الضابط الثاني ـ اسطب ـ لا هو شجاع ولا هو جبان . يواجه الأخطار كيفما جاءت في هيئة من لا يبالي وأما الضابط الثـالث ـ فلا سك ـ فهو شاب قصير القامة ، صلب العود ، شرس فيما يتصل بالحيتان ، كأنما يتصور ان الحيتان العظمى قد أهانته في شخصـه ونسبه ، ولذلك كان أهلاً كها كلما عرضت له ، من سمات النخوة والأنفة ... هذه الشجاعة الحمقاء اللاواعية جعلته هازلاً بعض الشيء في شئون الحيتان ، فهو يتبعها من أجل التفكه !

هؤلاء هم الضباط الثلاثة الذين أجمع الرأي على أن يكونوا قادة ثلاثة من قوارب الباقوطة ، وهم خير ثالوث مختـــار من الرماحين . بينما الصيادون الآخرون هم الزراقون .

في صباح يوم قليـل الاكفهرار ، والسفينة تجري في ريح رخاء ... بدا فجأة « آخاب » القبطان على ظهر السفينة لأول مرة ...

بدت بنيته الشامخة كأنما هي مصنوعة من البرونز الصلب .. وأعجب مافيه رجله الهمجية البيضاء التي القى عليها جانباً من ثقله ... انها تلك الرجل العاجيـة التي انتزعها من فك حوت العنبر لتنوب مناب الرجل التي اقتطعها منه الحوت الابيض .

وكما قال الشيخ الهنـدي : « نعم ، تحطم صاريه بازاء اليابان ، ولكنه ركب لنفســه صارياً جديداً قبل أن يعود الى

الوطن . مثلما فعلت سفينته حين تكسرت صواريها ... »

انه واقف هنالك يوارب النظر من على مؤخرة السفينة ... وهو يصرخ :

ـ أنتم عند رأس الصاري . حددوا الأبصار جميعاً . هاهنا حيتان من حوالينا. إذا رأيتم حوتاً أبيض فأنذرونا بأصوات جهورية تشق الصدور !

انه حوته الذي ينتظر أن يثأر منه لرجله ... انه يبحث عنه في متاهـــات البحار ، انه لا يصرفه عنه شيء مما يرى من قطعان الحيتان ، لأنه رسخ في نفسه نزعة الثأر والانتقام منه ، انه يعد من يدله الى وجود حوت أبيض الرأس ، ذي جبهة مجعدة ، وفك أعوج ، وفي جانبه الأيمن ثلاثة ثقوب، أن يعطيه أوقية ذهبية.

ذلك الحوت الابيض هو الذي يسميه بعضهم : « موبي ديك » .

لاشك أن « موبي ديك » هو الذي خلع منه رجليه : وهو الذي تلقى منه ثلاث طعنات في جسمه دون ان تقتله . فهو يبحث عنه ليصاوله مرة ثانية، ويقتضيه روحه برجله المقطوعة .

ـ اشربوا ايها الزراقون ! اشربوا وأقسموا أن يكون الموت نصيب « موبي ديك » !

. . .

منذ عهد مضى كان الحوت الابيض المنفرد في فترات متقطعة يلم بالبحار المتأبدة التي يرتادها صيادو حوت العنبر ، لكن لم يكونوا كلهم يعرفون عن وجوده ، ولم يره منهم رؤية معرفة الا عدد قليل منهم ، أما الذين نازلوه عن معرفة منازلة واقعية فكانوا أقل عدداً . ولكن العاقبة كانت كوارث مميتة لا يرجى معها شيء .. حتى خيل اليهم أن « موبي ديك » خالد ، وأن جوانحه قد تفرز فيها غابات من الاسنة ، ومع ذلك يمضي سابحاً لم يمسسه أذى، بل انه اذا طعن وأخذ ينفث دماً عاقداً فما هذا المنظر فيه الا تهاويل خداعة مبعثها الرعب ، ذلك انك ترى نفاثته النقية الناصعة بعد مئات من الفراسخ بين أمواج لا أثر فيها للدماء ... وكم مرة راح يسبح أمام مطارديه الزاعين وهو يبدي لهم كل أعراض النصر ، ولكن كم مرة استدار

فجأة وحمل عليهم حملة منكرة ، فاما حمل من قواربهم شظايا متناثرة ، واما ردهم مدهوشين مأخوذين الى سفنهم !

اذاً ، فليس ثمت من ريب في أن « آخاب » بعد ذلك اللقاء الذي كاد يودي به هالكاً احتقب في صدره نحو الحوت حقد الموتور . وزاد حقده ضراماً أنه أخذ في علته الحانقة يرى الحوت مسؤولا عن مصابه الجسماني كله .. ذلك الحقد المجرد الذي كان منذ بدء الخليقة .. وهو لا ينسى — حين اخطرته الصدمة للعودة — انه استلقى أشهراً متنهداً طويلة ، معذباً هو والعذاب في ارجوحة واحدة .

ولذلك حين عمد الى السفر ، هذه المرة ، لم يكن لديه الا غاية واحدة : هي صيد الحوت الابيض ، وقد استطاع أن ينتقي هؤلاء الضباط ، ويحشدهم ليعينوه على ثأره المجنون .

وكان — آخاب — يرجو أن يلتقي بفريسته في أوقات موثوقة ، عند مواقع تغذية مشهورة متباعدة . بل استطاع بما أوتي من براعة فنية أن يحدد الزمان والمكان في طريقه ، بحيث لا يكون بعيداً عن لقائه .

بلغت السفينة رأس الرجاء الصالح .. وهي تعلو وتهبط فوق المياه الهائجة هنالك .

— أيسمونك أيها الرأس : « رأس الرجاء الصالح » ؟ ما أجدر أن تسمى « رأس العذاب » كما كنت تدعى في غابر الازمان !

لقد كان البحارة يلوذون هاربين من صدر السفينة بسبب المياه الخطرة التي تثور منفجرة ، وتترامى فوق المقدمة .. والسفينة الجاهدة الكامنة تشق طريقها قدماً خلال جنون الأمواج الشيطانية ومرحها المتوثب وكأنها لم تزود برجال وانما بتماثيل منصوبة من شمع . ويظل — آخاب — الأبكم واقفـــاً في وجه العصفات .

وما هي الا أيام حتى انزلقت السفينة نحو البحر الهادىء ، واستطاع الصيادون أن ينالوا من الحيتان نصيبهم ، لكن هذا لا يروي غلة — آخاب — الذي لا يغنيه عن حوته الابيض شيء .. ولو أنه جر

الى سفينته الف حوت آخر فلن يخدم ذلك غايته الكبرى المجنونة شيئاً ...

وما أروع نجوى ـ آخاب ـ لرأس ذلك الحوت الذي اصطادوه، هذه النجوى التي تذكرنا بنجوى « هاملت » للجمجمة التي كشف عنها التراب.

« تكلم أيها الرأس الرؤاسي الوقور!

تحدث أيها الجبار وخبرنا عن السر فيك! أنت بين القامسين أبعدهم قعاً! ذلك الرأس الذي تتلألأ فوقه الشمس الملوية قد جاب قرارة الكون ، حيث أسماء غفل ، وأساطيل مجهولة يعلوها الصدأ. حيث آمال حبيسة، ومراس كثيرة يدركها البلى .. هنالك ، في دنيا الماء الرهيبة ، هنالك كان موطنك خير موطن تألفه. لقد كنت حيث لا يبلغ صوت جرس أوجسم غاطس . كنت تنام الى جانب كثير من البحارة ، بينا الأمهات مسهدات يمنحن حياتهن رجاء أن يلحدن جثثهم. ولقد رأيت الحبيبين الحبيسين يقفزان من السفينة المحترقة .. غرقا والقلب على القلب بين الأمواج المصطفقة ، صدقا العهد حين تبدت السماء لهما كاذبة ... رأيت الضابط القتيل يقذف به القرصان في منتصف الليل عن ظهر السفينة . ساعات قضاها وهو ينحدر في ظلمة الفك النائم ، وما يزال قتلته يبحرون سالمين ، بينا البروق الخاطفة تهز السفينة المجاورة التي كان في مقدورها أن تحمل الزوج الأمين الى ذراعين مبسوطتين مشتاقتين . آه أيها الرأس! لقد رأيت ما يكفي ليشق الكواكب . »

وكانت « الباقوطة » في سيرها تتلاقى مع سفن أخرى خرجت لنفس الغاية ، وللسفن تحية خاصة تتبادلها في أعماق البحار ... وكان هم ـ آخاب ـ كلــه أن يسأل عن مصير الحوت الأبيض ...

يا للحوت بعد أن تنال منه رماح الطاعنين! حيث يبقى اكثره منغمساً في الماء ، وتجحظ من عينيه نفاختان ضريرتان تستحقان الرثاء . ولكن لا رثاء ولا شفقة . لابد أن يعانق الموت وان يذبح لكي ينور ليالي الأعراس ، وغيرها من أفراح الناس ، ولكي يبعث

الضياء في الكنائس المقدسة التي تبشر بالتسامح والتراحم المطلق بين المخلوقات جميعاً !

وما يكادون ينتهون من حوت حتى يهبوا سراعاً للقاء حوت آخر، ويستأنفون العمل المضني . ولكن ، هذه هي الحياة ، اذ مانكاد – نحن الفانين – نستخلص بعد الكد والجهد من هذا العالم الجسيم زيته الثمين ، ثم ننظف أنفسنا من أوضاره ، ونتعلم كيف نعيش هنا في هياكل الروح النظيفة ، مانكاد نفعل ذلك حتى يصيح بنا المنادي : « ذاك هو ينفث » !

– أنت أيتها السفينة هناك ! هل رأيت الحوت الأبيض ؟

هكذا كان يهتف – آخاب – كلما لاحت له سفينة .

• • •

وفي يوم انطلق الصياح :

– هاهو ينفث ! هاهو ينفث ! يريد أن يقمص !

أنزلت كل القوارب ، ونشرت جميع أشرعتها ، واسرعت مخاطمها الخفيفة خلال الماء . وعلى الذى اقترب الصياد اللاهث من فريسته ، حتى بدت لعينيه بوضوح حدبته اللماعة كاملة ، سارية في عرض البحر . ومن وراء ذلك رأى التجاعيد المتداخلة المترامية في رأسه البارز بروزاً طفيفاً . وعلى كلا الجانبين ترتفع نفاخات براقة ، وتتراقص من حوله .

كان يكتنف الحوت المنساب بهجة رقيقة وداعة من سكينة مستحكمة في خفة . وهو سابح في تألق وبهاء .

كانت الطيور البيض كلما تطير نحو قارب – آخاب – أنها رفوف مالك الحزن محلقة ، وهي ترسل صيحات البهجة والرجاء . كان بصرها أحد من بصر – آخاب – فانه لم يستطع أن يستكشف أية علامة في البحر . ولكنه حين حدق رأى على غور بعيد بقعة بيضاء حية . وعندئذ وضح فيها صفان طويلان أعوجان من أنياب بيض لامعة . كان ذلك هو فم « موبي ديك » المفتوح وفكه المنشاري ..

تقدم « آخاب » من خصمه : ولكن القارب ماعتم ان انزلق هابطاً في فم

الحوت ، وتمايل على جانبيه ، وهو ينزلق. فحال بين قبضة « آخاب » وفك الحوت. فهوى « آخاب » حين انحنى ليدفعه ، وسقط منبطحاً على وجهه فوق الماء. أما « موبي ديك » الذي انسحب عن فريسته متمعجاً فقد استلقى على مسافة قصيرة وقد طمن برأسه الابيض المستطيل عموديا في الامواج صعوداً ونزولا ، وهو يمخض الماء في نحره الحقود.

ثم أقبل الليل الذي حال بين الحوت وصياديه ، ووقفوا ينتظرون الفجر.

وفي اليوم الثاني .. بدما مضت السفينة تشق الماء ، علت الصيحة مرة ثانية :

ـــ انه هناك ينفث ! ينفث ! ينفث ! أمامنا تماماً !

عمروا الاشرعة والحبال فدبت فيها الحياة .. وكان « موبي ديك » يشبوثبته الملوية . فصاح « آخاب » :

ـ أجل ثب وثبتك الأخيرة نحو الشمس ياموبي ديك ! دنت ساعتك ، ودنا من يدي الرمح الذي سيرديك . . .

دارت القوارب الثلاثة حوله، ولكن « موبي ديك » تمج وتلوى في سرعة هائجة ، وفي لمح البصر اندفع منطلقاً بين القوارب ، وفكاه فاغران ، وذنبه يتقلب كالسوط ، وهو يطلب النزال على كل جانب في معركة مفزعة ، غير عابىء بالحراب التي تقذف نحوه من كل قارب. وكأنما هو صمم على أن يفني كل لوح من ألواح تلك القوارب.

في تلك اللحظة قام الحوت الابيض بهجمة مفاجئة ، جرّ بها قاربين دون أن يستطيعا المقاومة نحو شطيرتي ذنبه ، وضرب أحدهما الآخر.. ثم انقض الحوت الابيض نحو القارب الثالث ، فصدم بجبهته الواسمة قاعدة القارب، وارسله متدحرجاً متقلباً في الفضاء حتى سقط ثانية وحافته منكسة . و « آخاب » ورجاله يناضلون للخروج من تحته ..

ومرة اخرى جاءت السفينة ، مخفة للانقاذ ، وازالت قارباً التقط الملاحين العائمين . اما « آخاب » ، فقد انقصفت رجله العاجية ، ولم يبق منها الا شظية محددة قصيرة . . وهو لايزال يصيح في غمرة الالم :

ـ هل ترونه ؟ السنان الذي اعددته يارجال ، لقتل الحوت الابيض ؟ هذه اليد قذفته ، انه في الحوت . . ارفعوا الاشرعة الملكية اعلى فأعلى ! شدوا القلوع ! ثبات ! ثبات من اجل حياتكم ! اني مصمم على قتله .

وعند ذلك صاح به الضابط « استاربك » .

ـ يالله ! لحظة واحدة كف عن القول بأنك ستقتله . لن تقتله أيها الشيخ ! أنظل نطارد هذا الحوت القتال حتى يغرق آخر شخص فينا ؟

ولكن « آخاب » مصمم على قتله في اليوم الثالث . .

ـ انه سيبرز مرة اخرى ، لا لشيء الا ليلتقط آخر نفثة .. هل تحسون ايها الرجال الشجعان انكم شجعان ؟

تبلج صباح اليوم الثالث جميلا ناعشاً ومضت ساعة كاملة ، طرّقت كما يطرّق الذهب ، وسحبت فاذا هي عصور . . وأخيراً رأى « آخاب » النفاثة ثانية . وعلى التو سمعت ثلاث زعقات :

ـ جبهة لجبهة . . سأقابلك للمرة الثالثة ياموبي !

وأنزلت القوارب في الوقت المناسب وفجأة انتفخت المياه من حولهم ببطء في دوائر واسعة ، ثم حبس كل منهم أنفاسه اذ انطلق جسم مديد ، وهو مشحن بالحبال المجرورة والرماح والحراب .. وانطلقت القوارب متقدمة للهجوم . .

وصاح « استاربك » :

ـ آه ياآخاب ! لا يزال لديك فدحة من وقت ، أن تكف عنه . تأمل ! ان موبي ديك لا يطلبك . انما أنت الذي تطلبه وتسعى وراءه في جنون .

ولكن « آخاب » تصامّ عن هذا الرجاء الأخير ، وأمر الملاحين أن يدوروا في مقاعدهم ، وأن يجروا القارب الى هدفه .

ولما سمع الحوت صوت القارب يشق الماء في اندفاعة هائلة ، دار منحرفاً بجبهته الناسمة متحدياً . ولكنه لمح في دورانه هيكل السفينة الأسود مقترباً ، وكأنما رأى فيها مصدر كل هذا التعقب الجائر ، فانقض فجأة على خطمها المقترب ، وفكاه يصطكان وسط وابل ناري من الزبد .

ترنح « آخاب » ولطم جبهته بيده وقال :

ــ « أصبحت أعمى ، الأيدي ! مدوا أيديكم كي أتحسس طريقي. هل حل الليل ؟ »

فصاح الجذفون المنكمشون :

ــ « الحوت ! السفينة ! »

أطل جل البحارة من مقدم السفينة، متوقفين عن العمل . وعيونهم المسحورة جميعها مصوبة نحو الحوت الذي كان يراوح رأسه المتوعد بالمصير من جانب الى جانب على نحو غريب . وفي منظره كله عقاب وانتقام حي ، وحقد خالد . وغاص الحوت تحت السفينة المترنحة ، وجرى يتأطر على طول قاعدتها . ثم استدار ، وهو تحت الماء ، بخفة الى السطح ثانية ، بعيداً عن القدم الأيمن ، الا أنه من قارب « آخاب » على بضع ياردات ، واستلقى هنالك ساكناً مطمئناً .

قذف « آخاب » الرمح ، فند الحوت أنصاب الى الأمام ، وجرى الحبل خلال أخدوده بسرعة مضطرمة ، ووقف « آخاب » ليسويه ، وسواء حقاً . ولكن اللفة علقت مارقة حول رقبته ، ودون نأمة ، كما يفعل خرس الأتراك حين يخنقون الضحية بوتر القوس . انطلق من القارب قبل أن يعرف الملاحون أنه ذهب.

وتوقف بحارة القارب المأخوذون لحظة ثم داروا : « السفينة ! يارب ! ياعظيم ! أين السفينة ؟ » ومن خلل حجب وغشاوات محيرة رأوا خيالها المتلاشي يميل جانبياً ، ولم يبق بارزاً الا الصواري العليا وأحاطت بالقارب الوحيد دوائر منداحة . فاذا كل ملاحيه ، وكل مجذاف عائم ، وكل قناة ، وكل ذي نسمة ، وغير ذي نسمة فيه ، يدورون ويدورون دورة الفلك في دردور مائي واحد ، حمل أصغر شظية من « الباقوطة » وغاب بها عن الانظار . وطارت صغار الطير تزعق فوق الفوهة الفاغرة ، ثم تكسرت موجة بيضاء نكدة على حوافها المنحدرة ، ثم انهار كل شيء ، وانبسط كفن البحر المترامي متدرجا ، مثلما كان يفعل منذ خمسة آلاف عام .

والآن ، تمت الرواية ، فلم يعد هذا الممثل للظهور على المسرح ؟ لأن واحداً

ظل حياً بعد الدمار ... هو كاتب هذه الرواية الذي طفا على تابوت خشبي مدة يوم وليلة ، فوق بحر ناعم كأنه المرثية الحزينة ... وفي اليوم التالي انتشلته سفينة من عباب البحر...

• • •

هذه هي الرواية الخالدة التي لم يكتب مثلها في وصف المغامرات البحرية ، وغني عن الذكر أن هذا التلخيص لايحسن اليها بمقدار مايسيء اليها ، لأنه تلخيص أبتر للحادثة ، جردها مما جاء فيها من معارف واقعية تصف البحار المجهولة ، وتصور عالم الحيتان العجيب ، في عدوانها وروحاتها ، وأعراسها ، وحياتها وكفاحها ومماتها ... ومن أحاسيس انسانية رائعة تتفجر من هذا القلب الانساني الذي يرثي لهذا المصير .

« فالباقوطة » هل هي سفينة حقيقية ، أو خيالية ؟ والقبطان « آخاب » هل هو انسان أم شيطان ؟ ذلك الذي أجرى سفينته - بدون قصد الصيد - مفعماً بعاطفة الحقد والانتقام ، للبحث عن مسخ بحري رهيب ، بتر له رجله في معركة معه ، فهو يريد ، بروح عنيدة شريرة أن يلقى خصمه في البحار النائية ، ولكن النهاية كانت أن « موبي ديك » نفسه هو الذي يلتهم « آخاب » ويحطم سفينته ، ويلقي ببحارتها في الأعماق .

فالقصة ذاتها مؤثرة ، مشوقة تصف عن كثب مطاردة هذا الحوت ، وفي الوقت نفسه تعتبر « ميثا لوجيا » خالدة تصور مجاهل الأوقيانوس .

على أن نزعة الانتقام والحقد في صدر « آخاب » ليس بعجيب أن يصح رمز هذا الداء النفسي الذي تعاني منه الانسانية كلها ، حتى أصبحت فريسة هذه الأماني الخلابة التي تحفر فيها جوعاً فارغاً لشيء الهي مطلق يحمل اليها السكينة والطمأنينة .

وان في صدر « آخاب » يتمثل كل كل مايبعث على القلق ، ويثير النوازع الشريرة التي لايطفئها شيء الا الانتقام ، ولكن الانتقام نفسه انتهى بصاحبه الى الكارثة .

والكاتب الذي نجا بأعجوبة من

قبضة الموت ، يكتب لنا هذه الرواية الخالدة كتابة تستمد من الواقع ، وتقتبس من مخيلة غنية ، ومواهب ملونة يقصر عنها أي شاعر . ففيها معرفة للناس ، وتحليل لنزعاتهم وأهوائهم في فصول حياتهم يذكرنا بالتحليل « الشكسبيري » فهو يصف بدون أن يوحد ، وبدون تفخيم للحوادث ، وعندما ينطلق من عالم الواقع يغرق في عالم ما وراء النجوم .

وأسلوبه الحي المؤثر يعطي القصة نفحة رائعـــة ، حيث تتنازع الحياة وأهواؤها ، وحيث يتجلى لنا عالم متفتح لقلب الانسان الذي لا يسبر غوره ، وفي الوقت نفسه يفترسه هذيان الأوهام .

وإن من النقاد من يجعل هذه الرواية أصلاً لرواية « الشيخ والبحر » التي خلد بها « ارنست همنغواي » اسمه . وفي الحق أن هذه الرواية تتلاقى خطوطها الأصلية برواية « موبي ديك » وان اختلفتا زمناً . لأنها استهدفتا عالم البحر ، وانتهى الصيد فيها الى خيبة مريرة .

أما الترجمة فقد حافظت على رواء الرواية اسلوباً وتأنقاً وشاعرية ، ولا شك ان المترجم الامين قد عانى الكثير في نقل هذه الرواية الى أدبنا ببنيان انيق لا يقل جمالاً وجلالاً عن اسلوبها الأصلي . ويكفي ان نذكر أن المترجم ، في سبيل تسميته آلات السفينة ، وأوائل الصيد عكف زمناً طويلا على حذق مسمياتها في كتب اللغة حتى تحقق له ذلك .

ولهذا ، لن أغالي اذا حكمت أن هذه الترجمة أصدق ترجمة ، وأنبل عمل ظهر في الحقبة الاخيرة بين الآثار المترجمة التي أساء فيها المترجمون الى الآثار التي ترجموها ، والى اللغة التي نقلوا اليها . وستبقى هذه الترجمة مثالاً يحتذى لكل ترجمة آتية ، تشير الى كل مترجم أن يزن نفسه قبل اقدامه على الترجمة .

فاللغة تتأطر برونقها وروائها ، وصحة تعابيرها ، ودقتها في التعبير عن ألطف الهواجس وأمتع الصور .

وقد أردت المترجم لو أنه لم يستخدم احياناً بعض التراكيب العامية في حوار بعض البحارة ، لأن هذه العامية التي استخدمها تبقى وقفاً على قطر عربي دون آخر . كما اردت ان يخفف من تكلفه

احياناً في استخدام بعض التعابير التي هي من خصائص الاستعارات والبيئة العربية كما ورد في قوله : اسرار تزيد على رمال عالج ويبرين » !

وهنالك بعض الهنات التي يقع فيها الخاصة ، كقوله « ولم يعد على البر شيء » بمعنى « لم يبق » وهذا التركيب اصح . وقوله « كأنها رفات حين ذريت » والرفات مذكر لا يصح فيه التأنيث ، وقوله « ها هو الاناء مترع » وصحيحه « مترعاً » . وقوله « غضب الحوت الربيع » وصوابه « مروع » اذ لاقياس لكلمة « مريع » .

كما اخذ عليه شغفه في طلب الغريب من الالفاظ ، حين لا يستوجب الامر .

على ان هذه الهنات التافهة لا تسيء في شيء الى ضخامة العمل ، وما رافقه من جهد وتوفيق .

• • •

وبعد هذا كله اعتبر النقاد « موبي ديك » أشهر الروايات الامريكية على الاطلاق ، ورائعة الادب العالمي في جميع عصوره . وقد استهوت جميع صنوف القراء ، بتعدد المستويات التي تجري فيه فنظر اليها بعضهم على انها رواية من روايات المغامرات البحرية ، واعتبرها العمليون منهم موسوعة دقيقة ، للمعلومات التي تتعلق بعالم الحوت . وقد تعمق آخرون معانيها ، فرأوا فيها قصة ترمز الى موضوعات انسانية متعددة الجوانب ، بالغة العمق . حتى لكأن هناك من التأويلات بقدر ماهنالك من القراء .

وبعد هذا كله ، تمثل الرواية عبرة بليغة في تقييم الأدب الصحيح ولو بعد سنين ، فهذه الرواية لم يقدرها النقاد في عصرها ، ولكن ابت روعتها الا ان تظهر للأجيال الآتية . ومعنى ذلك ان كثيرا من الآثار التي يتعلق فيها اصحابها اهل زمانهم قد يضيها الموت بعد حين ، على حين ان الآثار التي كتب لها البقاء ستدرك نصيبها من الخلود ولو بعد حين .

مع الشاعر المصري محمود أبو الوفا في حياته وتجاربه ...

يعيش الشاعر محمود أبو الوفـــا ، معزول الفصيل ، إلا في شعره الذي يمثل الديباجة العربية المشرقة ، التي تعمر وجه الزمان ، وتشيع قوتها في تمنه . والشاعر في هذا الحديث : صريح كل الصراحة ، ناعم اللمس ، رقيق الحاشية ، إلا إذا استثير .

والمتتبع لاتجاهات أبي الوفا في هذا الحديث الذي أقدمه ، يجد دراسة ماتعة لعدة نواح يهم الأدباء الاطلاع عليها ، عن أحداث الأيام الأول من هذا العصر ، ومن تجارب اهـــله وصور رجاله ، ولست هنا لأحلل شعر الشاعر بل لأقدم طرفاً من آرائه وحياته ، ومواقفــه ، لتقرأها الأجيال وتعتبر بها وتتعلم منها .

أبو طالب زيان

القاهرة

قام بالمقابلة : ابو طالب زيان

— القاهرة —

س ـ منذ متى بدأت قرض الشعر ؟

ج ـ هذا السؤال قـد يثير الكثير من الشاعر والتفكير ولكن مارأيك إذا قلت لك اني لم أبدأ قرض الشعر بعـد ، ولا تظن أن هذا نوع من التهرب انـه الحقيقة كما هي في وجداني .

ان كل ما كتبته حتى الآن ماهو في نظري الا محاولات وعلى الرغم من فشلها فاني غير يائس بل على النقيض فاني انتظر النجاح كما لو كنت معه على موعد مفتوح . أحب فقط أن ابادر وبسرعة الى القول بأن المحاولة عندي ليست هي الممارسة التي

يراد بها الوصول الى تحقيق نزعة الجمال الفني وانما معناها هو الوصول الى تحقيق ارادة الكمال الفني. أحسب اني بعد هذا استطيع القول بأني الى الآن قمت بأربع محاولات من هذا النوع ويمكن تسميتها اربع مراحل فان بعضها كان يمتد الى خمس سنوات أو ست أحياناً ومع الأسف فان واحدة منها لم تبلغ لدى الذي أحاول الوصول اليه في كتابة القصيد الذي أريد.

ولقد كانت اولى هذه المحاولات في اواخر سنة ١٩١٣ فلم تنته الا في سنة ١٩١٩ بالضبط في نفس الاسبوع الذي اندلعت فيه الثورة المصرية، ولا أحسبني أنسى هذا التاريخ. ولكن هل تدهش اذا قلت لك بأني في هذه المحاولة نظمت أكثر من أربعة آلاف بيت وفي لحظة واحدة احرقتها جميعا. نعم لقد كنت فخوراً بها الى اقصى حد. فكم نالت من اعجاب واستحسان الاصدقاء والاخوان حتى هيأتها للطبع وجئت أدفع بها الى المطبعة ورأيت ان القي عليها نظرة ولو من باب الاحتياط واذا بها في هذا الوقت لم تعد تساوي في نظري أي شيء فما وسعني إلا تمزيقها في الحال وحتى لا تذهب مع الريح فتفسد الهواء أسرعت على الفور وأشعلت فيها النار ولم احتفظ منها إلا بنحو اربعين بيتاً لا غير ليس لما بها من شعر ولكن لأنها تذكارات كهذين البيتين مثلا كتبتها أول ما كتبت وأنا في الريف على مروحة نسجتها من خوص النخل ثم اهديتها الى احداهن:

هذي جوانح صبّ في حبكم مستهام
نسجتها مروحة لمّا براها الغرام

فقد جمدت يدي عن القائها الى النار. كذلك هذه الأبيات التي اقول فيها:

وليلة بين أصحاب سواسية
من كل أروع معروف لدى الناس
إذا تحدث سال الظرف من فمه
وإن محدّث تراه مطرق الراس
قضيتها حسبما شاء الغرام لها
وحسبما يقتضي تكريم جلاّسي
في روضة نضّدت بالياسمين وبالـ
فلّ الزكيّ وبالنسرين والآس
فكم هتكنا قواريراً مفضّضة
من آل يَنّي او من بيت نسطاس

وقد كانت ليلة سمر زهراء معنخبة من

الأوفياء اخوان الصفاء فقد رأيت أن ليس من حقي أن أحرق مثل هذا التذكار مهما كان سخيف الاطار.

وأخيراً هذه الأبيات التي لم استبقها الا لأنها كانت هي السبب في أني قذفت بكل ما كتبت الى النار وهي التي بدأتها هكذا :

لم يبق في الحي لا راعٍ ولا والي
فليت شعري لمن أشكو له حالي
بلى كأني لم أسمع بمن سلفوا
من كل ذي همة علياء مفضال
ليت الأيادي التي طاحت بهم قطعت
أو ليتها قبلهم طاحت بأمثالي
رغبت عن معشر ما خلتُ فيه فتى
يجود عن رغبة يوماً بمثقال
لأكذب الناس اني قد بلوتهم
حتى نخلتُ سجاياهم بمنخال
ومَهْمَهٍ تأكل الأصداء لقحته
بين الشجى والوجى ألقيت أثقالي
أعملتُ فيه العصا علّي أرى رجلاً
قد قيل عنه كريم العم والخال
فما تبيّنته حتى لقيت به
جسماً ولكنه من قلبه خالي
آلى على جاهه لا يستظل به
غيرُ الظباء ذوات الدلّ والخال
لا همّ ان كان هذا الخصب يورقه
ذاك السّهاد فان الخير الحالي
سلوا الوساطات في مصر وما اصطنعت
سلوا الادارات من دون ومن عال
سلوا المعارف عما في مدارسها
يهمها غير طربوش وسروال
ماخلت أن قشور العلم تنفعنا
إلا اذا روّي الظمآن بالآل

الى آخر هذه الأبيات. أما لماذا كانت هي السبب في احراق اخواتها أو قريباتها فهذا لأني في هذه الآونة بالذات كنت قد اتجهت الى محاولاتي الثانية التي كانت هذه الأبيات بالفعل هي بدء تاريخها أو علامة الوصول اليها وهي التي بقيت في تجاربها الى ١٩٤٥ تقريباً .

س — هل صادفتك عقبات في حياتك الأدبية ؟

ج - كثيرة كانت عقبات حياتي وكثيراً ما كانت غريبة وكان مما يزيد في

غرابتها انها تأتي دائماً متجددة الأشكال مبتكرة الألوان غير مسبوقة ولهذا كان دائماً وقعها أجد وألمها أشد حتى كنت أحس أمام كل عقبة أن هذه هي أول عقبة ألقى فيها هذا الرهق الشديد وأن هذه هي أول مرة يقع فيها هذا الحادث العتيد. وسلسلة متصلة حادة الحلقات كانت هذه العقبات فلا أكاد أخلص من واحدة حتى أقع في الثانية حتى سار وجود العقبات أمامي هو القاعدة الأساسية في حياتي أما عدم وجودها فهو الشاذ أو هو الشيء الغريب ، هل قرأت هذه الأبيات :

يا صاحب البؤساء جاءك شاعر
يشكو من الزمن اللئيم العاتي
لم يكفه أني على عكازة
أمشي فحط الصخر في طرقاتي
ثم انثنى يُزجي عليّ مصائباً
سُحُباً كقطعان الدّجى جَهِمات
في ليلهنّ فقدت آمالي الأُلى
صاحَبْنَني مذ لاح فجر حياتي
فغدوت في الدنيا ولا أدري أمِنْ
أحيائها أنا أم من الأموات

خففت يا هوجو عليك فلم أطل
وبعثتها فَصْلَيْنِ من مأساتي
ولو انني اعطيت بؤسي حقه
وصفاً لصوّر معرض النكبات

ومع ذلك فلا بأس ودعني أقل لك إنها كانت موجهة الى الشاعر الكبير حافظ ابراهيم وأظن أنه لا لزوم للقول بأني لم ابعث بها اليه من اجل سواد عينيه وانما لابد أن يكون هناك شيء ما . ويطرب حافظ لهذه الأبيات ماشاء أن يطرب فلما سأل عن صاحبها وعرف مايقاسيه غضب واستغضب وآلى بعزة العرب والشعر والأدب ان لا يشكو صاحبها بعد اليوم وان يكون له ماعاش نعم العون وهب على الفور وكتب الى احد اصحاب المعالي الوزراء في ذلك الزمان رسالة رائعة البيان وناهيك بحافظ في رسائل الاستعطاف وما يضمنها من إشارات لطاف ومن امثلة مأثورة ولآلىء منثورة ويكفي انها بقلم حافظ واسلوبه الذي ترجم به كتاب البؤساء.واخيراً.ماذا اقول... لم يحصل الا النقيض مما اردناه ان يكون . لقد كان

صاحب المعالي حزبياً ووفدياً صارخاً وسألني «ماذا قلت في سعد والوفد ؟» وكان ما كان ، ويلقاني حافظ كاشر الوجه قائلا: «لقد كدت توقعني في تهمة . لماذا لم تخبرني من قبل انك لاتحب سعد باشا؟ لقداوشك الوزير انيسلكني معك في قائمةغير الوفديين وغير المخلصين (يااخي اصنع المعروف وخلينا نأكل العيش) ووقعت الواقعة واغتاظ حافظ وهجوت الوزير . الخ . . .

س — ما احب انتاجك اليك ؟

ج — الذي أعرفه ان الانتاج عند اصحابه له منزلة الأبناء ولكني لم اعرف مطلقاً ان احداً من الآباء استطاع أن يحب احد ابنائه أكثر من الآخر ، صحيح أن بعض الناس ربما يؤثر أحد أبنائه بالعطف لسبب ما أو في حالة ما ولكن هذا وضع والحب وضع آخر . وأحسب ان هذا هو الرأي السائد عند جميع الناس لافرق في ذلك بين والد وآخر ولا بين البنوة الجسدية ولا الأخرى الروحية . الجميع يحبون أبناءهم على السواء بدون أية تفرقة ولا استثناء ولا تميز . وما دام هذا المقرر فما لي لا أسرع واستنجد بهذا البيت المشهور :

وهل انا إلا من غزية إن غوت
غويت وإن ترشد غزية أرشد

ولعلي أستريح وأريح ولكن، لاَّني في الحقيقة لاأقوى على متابعة الناس حتى ولو أردت ولست أدري الى متى يظل حب الناس لأبنائهم على هذا النحو الذي يجعل حبهم أشبه بالغضب او الحب بالاكراه ولماذا لايكون الحب للأبناء اختياريا شأنه شأن اي حب يقوم على الانتخاب . في هذه الحالة أظن انه يمكن للانسان ان يحب من أبنائه ماصلح للحب وحينئذ لوسئل عن أحب أبنائه إليه لأجاب هو هذا وأشار الى من يحب . أظن اني بدأت أقترب من نفسي أكثر قليلا ومرة أخرى أسارع الى القول بأني الى الآن لم أجد في انتاجي ماأقول صادقاً أني احبه . انني كلما نظرت الى بنات أفكاري أو سليلات روحي إذ ليس لي انتاج من النوع الآخر) لا بنين ولا بنات والحمد لله) فلست أجد فيهن الا مايحركني

الى النفور من أيهن الى حد أني كم تمنيت أن لا يكون لي انتاج مطلقا . ومن الغريب أن هذا الشعور ليس طارئاً أو جديداً وإنما هو عادتي فما فرغت من عمل قط الا وعدت أنظر اليه بهذا المنظار حتى اذا اندفعت الى عمل آخر فانه لا يكون هذا الا بدافع من اشمئزازي مما سبق والرغبة في ايجاد اي عمل يعطيني ولو القليل من الرضا حتى تستريح نفسي بعض الشيء فلا أكاد أخلص مما كنت أطمع اليه حتى أجده صار في نظري أقبح من سابقه ولذلك يبدو لي أن احب أعمالي الي هو ما أريد منه ان يحقق لي الرضاء عنه وهذا هو ما أحاول دائما أن أصل اليه . هذا هو ما أتمناه ترى اني اعيش حتى اراه ؟

س — هل تناول اعمالك النقاد بشيء لم ترض عنه ؟

ج — كم كنت ولا أزال أتمنى أن يتناول النقاد أعمالي بما لم أرض عنه . أي نعم ، ومع ذلك فانها كانت هذه الأمنية لا تجيء إلا بالعكس تماماً . فهذا الكاتب الكبير الأستاذ العقاد يتناول أعمالي وأنا معتقد أن ما بيننا من الود يوشك ان يكون في حكم المفقود أو غير الموجود فيكتب مقالين على تاريخين متباعدين فلا أجد فيما كتب مالم أرض عنه . وكذا الأستاذ المازني والأستاذ مصطفى صادق الرافعي والدكتور محمد حسين هيكل والأستاذ احمد الشايب والدكتور زكي مبارك والأستاذ سيد قطب والأستاذ وديع فلسطين والدكتور محمد مندور والأستاذ عباس خضر والدكتور زكي ابو شادي والأستاذ كامل كيلاني والأساتذة مصطفى السحرتي وحليم متري وكامل الشناوي ومن قبل ذلك يكتب عني الدكتور فؤاد صروف والأستاذ ميخائيل نعيمة . هؤلاء جميعاً وغيرهم على اختلاف طبقاتهم يتناولون أعمالي فلا أجد فيما كتب أحدهم مالم أرض عنه . حتى الدكتور طه حسين مع أنه تناولني في صفحة كاملة من صفحات احدى الصحف الكبار ومع أنه قد أبى إلا ان يستخدم أشد المباضع وأحد الأسلحة — في حين أنه كان يتناول أول كتاب أصدرته وأنا لا أزال أخضر الجلد وفي ريق الشباب كما كانوا يقولون —

فان مقاله هذا على شدته وتحدّيه لم يكن أيضاً مما ارض عنه .

كم أتمنى أن يوجد الناقد الذي يستطيع أن يضع أعمـــالي على السفود كما فعل الرافعي في أعمال العقاد . ولكن أنّى لي ذلك وقد صار أهل هـذا النوع من النقد إلى ماصار اليه أهل المروءة الذين كان يندب وينوح عليهم بعض الشعراء حين قال :

مررت على المروءة وهي تبكي
فقلت عـلام تنتحب الفتـــاة؟
فقالت كيف لا أبكي وأهـلي
جميعـــاً دون خلق الله ماتوا

صحيح ان هذه المعجزة كادت تظهر مرة على يد أو قلم الأستـاذ شوقي أمين كبير محرري مجمع اللغة العربية حالياً ، فانه قد انبرى الى تناول اعمـالي بمثل هذا الأسلوب السفافيدي، فكتب ست مقالات طوال ، ولكنه مع الأسف لم يصـل الى نهاية الشوط ووقف . فعدت أنظر اليه فاذا هو وكأنه لم يقل شيئاً مما لم أرض عنه . وهكذا عدت أنتظر حتى الآن هذا النقد الذي أتمنى أن يكون ، ولكن ممن انتظر وقد وصل النقد عندنا الى ان صار ـوخصوصاً في هذه الآونة بالذات ـ إما نوعاً من المحاباة او المعاداة . حتى هذا النوع الأخير فانه على سوء مايحتويه يبدو وكأنه لم يولد الا ميتاً او اخرس . إنـه لايحسن الكلام إلا بالاشـارات وانه في ارقى مايصـل اليه لن يكون إلا نوعـاً اشبه بأحاديث الصالونات او لعله اقرب الى تلك المصنوعات المعروفة باسم اللبان الأمريكاني او ماهو من تلك الفصيلة من انواع الممصوصات .

على اي حال إنه ليس فيـه غذاء ، ومع الاسف ليس عنه استغناء . انه لازم على كل حال للأعمال الأدبية إذا اريد لها ان تصل الى موضعها اللائق بها إمّا في الأرض وإمّا في السماء .

س — ماهي القصيدة الاولى التي أثرت في نفسك ؟

ج — لاأذكر قصيدة بعينها ولكني اذكر ان هناك مختارات هي التي صادفتني أول الأمر منها ماهو لشعراء ديوان الحماسة ومنها ماهو لغيرهم . ومهما يكن من شيء فاني لاازال اذكر ان من اولى القصائد

التي شغفت بتكرارها حتى حفظتها كانت هذه الأندلسية التي يقول صاحبها في مطلعها:

لكل شيء اذا ماتم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الأمور كما شاهدتها دول
مَن سرّه زمن ساءته أزمان

ثم هذه القصيدة التي بدأها شاعرها بقوله :

لاتعذليه فان العذل يولعه
قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
جاوزت في لومه حداً أضرّ به
من حيث قدرت أن اللوم ينفعه
فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلا
من عنفه فهو مُضنى القلب موجعه

الى ان يقول :

استودع الله في بغداد لي قمراً
بالكرخ من فلك الازرار مطلعه
ودّعته وبودّي أن يودعني
صفو الحياة وأني لا أودعه

وكان هذا الشاعر الأخير هاجر من بغداد الى ارض المغرب العربي طلباً للسعة في الرزق ولكنه لم يجد الا ما كتبه الله في بغداد فمات غريباً وحيداً في حجرة مظلمة ولكنهم حين جاءوا يحصرون تركة المتوفى لم يجدوا الا هذه القصيدة تحت المخدة التي كان ينام عليها .

اما الأولى فكان صاحبها من شعراء الأندلس فلما حلت النكبة بأهله وقومه اخذ قصيدته وجعل يتنقل من بلد الى آخر نائحاً على جنته الضائعة وفردوسه المفقود .

س — ماذا كنت تختار لو لم تعمل في حقل الادب؟

ج — كنت اختار ان اعمل في حقل الادب

س — هل في حياتك ماخلدته بأكثر من قصيدة ؟

ج — لا اعرف اني خلدت نفسي حتى اقول اني خلدت غير هذا اولا . اما فيمن قلت اكثر من قصيدة ،اذكر ان هذا مالم اصنعه الا للسيدة هدى شعراوي فهي الوحيدة التي قلت فيها اكثر من قصيدة ومع الاسف الشديد انها لم تطلع على اية واحدة منها ذلك لأنها كانت مراثيها.

اما طيلة حياتها فلم يحدث اني عنونت باسمها قصيدة ابداً وبهذه المناسبة اذكر

اني طبعت سنة ١٩٣٨ ديواناً صغيراً اسمه (اشواق) اهديته لها ومع ذلك فلم يكن فيه قصيدة واحده تحمل اسمها وما كان ذلك عن كبرياء او تأب ولا لشيء من هذا القبيل بالمرة الا انني في الحقيقة ما كنت اجد اللغة التي تحمل معاني هذه السيدة كما تمثل في نفسي وتتفاعل في كياني فكنت اوثر ان تبقى هذه المعاني كما هي في منطقتها المقدسة بين الوجدان والخيال . اما لماذا كان هذا فلست ادري الا انه هكذا كان .

س — ما رأيك في شعر اليوم ؟

ج — الناس اشبه بزمانهم وما دام الولد سر ابيه فهل يكون الشعر الا صورة العصر الذي وجد فيه !

س — ما رأيك فيما يدعو اليه صلاح عبد الصبور ويدافع عنه وهل يكتب له البقاء ؟

ج — كل ما عرفته عن صلاح انه يكتب نوعاً من الشعر ، الى الآن لم يحدد اصحابه الاسم الذي يطلقونه عليه او يروحون ويجيئون اليه ، فبعضهم يسميه الحر وبعضهم يسميه المطلق ولعل هناك من يسميه بما لا أدريه . وشيء لم يحدد اسمه بعد، المعقول انه لا يزال اما في حكم الجنين واما في سن التكوين . وعلى كلتا الحالتين فما لنا لا ندعه ينمو حتى يكبر بل حتى يصبح . أليس من الجائز ان يكون هذا هو الديك الفصيح ؟ أن صلاح يدعو اليه ويدافع عنه واظن ان كل انسان حر فيما يتقلده او فيما يراه وأما ان هذا النوع يكتب له البقاء او يكتب عليه الفناء فالذي اعرفه ان قانون البقاء لا يقبل المجاملة ولا يعرف المحاباة فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض. هذا هو اعظم نواميس الحياة .

س — تحمل المجلات كل يوم جديداً من هذا الشعر بحجة التجديد فهل الشعر القديم لا يؤدي الغرض الذي يؤديه الشعر الحديث ؟

ج — لهذه المجلات ان تحمل من جديد الشعر ما شاءت بحجة التجديد او بأية حجة اخرى هي حرة في عملها أما ان يقول احد بأن الشعر القديم لا يؤدي الغرض الذي يؤديه الشعر الحديث فالى هنا وبئس الجمل. ونسأل: أية

اغراض هذه التي عجز الشعر القديم عنها ثم جاء الشعر الحديث فأداها بأحسن منه ! ثم ومتى واين حدثت هذه السابقة بينهما ! وفي اي زمان ومكان واي فيصل حكام هذه الميادين كان هو فيصلها فحكم بالانتصار لهذا وبالخذلان والخروج من الميدان لذاك ! ولكن لا ! لا ! فما لهؤلاء السادة اصحاب هذا الغرض واستخدام هذه الوسائل البالية العتيقة؟ انهم متجددون ولعلهم مستغربون او مستشرقون او ربما متأمركون؛ فلنسألهم هل قاموا بتكليف احدى دور الاحصاء واجهزة الاستقراء الأمريكية مثلا بالقيام بعملية مسح شامل لجميع دواوين الشعراء فاتضح لهم ان هذا الشعر الحديث هو الأقوى على تناول الغرض ـ اي غرض ـ من الشعر القديم؛ وما دام الأمر ليس كذلك وليس في يدهم اية وثيقة لامن هنا ولا من هناك ففيم كل هذا العواء وقل تعالوا الى كلمة بيننا وبينكم سواء اما ان تكفوا عن الادعاء واما ان نقول لكم ماهذا الهراء !

المسألة ياسادة ليست هي الشعر القديم ولا الحديث انما هي قدرة الشاعر وهبة السماء .

س ـ بالرغم من مضي اكثر من عشر سنين على الدعوة الى هذا الشعر لم يبرز شاعر يشار اليه كما هو الحال في الشعر القديم !

ج ـ ليست عشر سنين او عشرات السنين مما ينظر اليه بالنسبة لبروز فنان شاعر او غيره مما يشار اليه في فنه . ان ظهور هذا النوع من الناس أشبه بالظواهر الكونية وهذا قد يحدث على فترات قد تطول الى عشرات السنين او الى المئات وقد تقصر والله أعلم حيث يجعل رسالته .

ان الشعر الجاهلي ظل مئات السنين مجرد كلام اشبه بالغرزمة الى ان ظهر امرؤ القيس والمهلهل فكان هذا اول من هلهل الشعر على مايقال وكان ذاك اول من وقف على الديار وناحى الأطلال ومع ذلك فما امرؤ القيس والمهلهل في الحقيقة الا حصيلة تلك الغرزمات التي من خلالها تجمعت العوامل الأساسية في تكوين هذين الشاعرين فلننتظر الزمن .

س — ماهي الأشياء التي جعلتك تقضي سني حياتك غاضباً على الايام برما بالحياة ؟

ج — لست غاضباً على الأيام ولا برماً بالحياة ولكني كما قلت ولا ازال اقول : احب ان اضحك للدنيا فيمنعني .

ان عاقبتني على بعض ابتساماتي .

س — تركن دائماً الى الواقعية في شعرك ، هل كان لذلك من سبب ؟

ج — لا اركن في شعري الا الى نفسي والحياة ، اما سبب ذلك فهو اني لم اجد من اركن اليه الا هذين .

س — ماذا كان شعورك وانت ذاهب الى الحفل الذي أقيم تكريماً لك وخطب فيه امير الشعراء شوقي ؟

ج — كنت في غاية القلق وشدة الخوف ، كنت اظن ان الجمهور لا يهتم بالأدب ولا بالشعر ولكني ما كدت اصل الى باب حديقة الأزبكية حتى زال هذا الخوف فقد علمت ان المسرح غاص بالجماهير .

س — هل لهذا التكريم من سبب ؟

ج — اي نعم ، كنا الاستاذ كامل كيلاني وانا في مكتب الاستاذ سيد ابراهيم الخطاط الكبير ويجيء الدكتور ابوشادي وما رأيته ولا رآني قبل هذه اللحظة واذا به ثائر ومنفعل لآخر درجة فلم يكد يلقي بالسلام حتى يدفع بعجلة في يده الى الاستاذ كامل ويقول : « اقرأ ياسيد كامل عجائب هذه البلاد كلها تهتف بشوقي ومع ذلك فكم فيها من شاعر من امثال هذا الكنعاني الذي لم نسمع به ولم نقرأ له الا في هذه المجلة اليوم ولكن من يقرأ ومن يسمع في هذه البلاد !» ، وبينما الدكتور يوشك أن ينفجر من شدة الغيظ والانفعال ، اذا بالاستاذ كامل يعيد اليه المجلة وهو يضحك فينفعل الدكتور ويسأل : « لم تضحك ؟ الا يعجبك هذا الشعر ؟ » فيقول كامل : « رفقاً يادكتور ان صاحب هذا الشعر هو هذا الذي تراه الان هذا فلان » ويذهل الدكتور ابوشادي ويسألني : « ولماذا تختار هذا التوقيع ولم لا توقع باسمك » ، فأقول : « لان الشعر لصاحب التوقيع عليه » وبسرعة يتدخل الأستاذ كامل قائلاً : « ياسيدي انه يصنع هذا الشعر ويبيعه لأي صاحب توقيع » ويرجع الدكتور

الى الثورة والانفعال اكثر مما كان ولكنه في هذه المرة يقول : « هذا شيء رديء هذا تزييف للتاريخ والشعر والأدب هذا حرام هذا أجرام» ولم يقلهـــا حتى وجدتني كالمجنون واندفعت اقول : «يادكتور المجرم ليس انا . المجرم هو كل ادباء هذا المجتمع المجرم ، اي ادب وتاريخ وشعر تريدني ان احتفظ به في مجتمع لا املك ان احتفظ فيه بنفسي ؟ ان هذا الكنعــاني ـ وكم في هذا البلد من كنعاني ـ يعرف كيف يصل بهذا الشعر الى الملك او الوزير او الامير وهو في سبيل هذا الوصول مستعد ان يتسلق الجبال ويمسح النعال اما انا فلا اقدر ولن اقبل بأي حال ولا وظيفة لي ولا مال عندي . فماذا اصنع ؟ هل تريدني ان انتحر ؟ انه ليس لي طريق آخر . ام تريدني ان اتعلم طريقة هؤلاء الكنعانيين ؟ ام ماذا؟» وبالاختصار ربع ساعة في هذه المعركة وننتهي الى الاعتراف بأن الحيــاة قاسية والمجتمع مسؤول وننتقـــل الى بعض الأحاديث واذا بنا اصدقاء كأن لنا بضعة

اعوام ثم لا تمضي بضعة اشهر حتى اجد شعري على صفحات المقتطف وهي حينذاك اعظم مجلات العالم العربي على الاطلاق ويسألني الدكتور ابو شادي كأي سؤال عادي عن تاريخ ميلادي واجيبه وبعد ستة اشهر تقريباً في ذات صباح اتناول جريدة الأهرام فاجد فيها هذا العنوان (ميلاد شاعر وتكوين لجنة لاقامة حفلة تكريم له) واذا بهذا الشاعر واذا بهذه اللجنة مكونة من الاستاذ داود بركات رئيس تحرير جريدة الاهرام وشيخ العروبة احمد زكي باشا والاستاذ العمروسي بك اول نقيب للمحامين والاستاذ ابراهيم زكي مدير التعليم بوزارة الاوقــاف ويوسف بك احمد كبير مفتشي الآثار والأســـتاذ فؤاد صروف رئيس تحرير المقتطف والأديبة الكاتبة الشهيرة الآنسة مي والدكتور زكي مبارك والاستــاذ اليعقوبي شاعر فلسطين والدكتور ابو شادي اماسكرتيرهذه اللجنة فهو الاستاذ كامل كيلاني ويتقدم شوقي بك ثم تتقدم

الحكومة في ذلك المهد لتشارك الأدباء في هذا التكريم واذهل حين اقرأ هذا كله في الأهرام وفي غيره من الصحف ويلقاني ابو شادي وكأنه لم يصنـــع اي شيء: «يادكتور كيف يكون هذا؟» فلا يزيد على ان يقول: «واي شيء في هذا» ولا والله ماهدأ روعي وما كنت لأصدق أن هذا يتم ولكنه تم ومرت الأيام وقامت الحفلة في موعدها وانتهت بسلام او بسفري الى باريس وكانت خناقتي مع ابي شادي هي السبب في كل هذه الضجة او هذا التكريم .

●





العرب يحتفلون

بذكرى أمين الريحاني

بدعوة من مجلس المتن الشمالي

للثقافة في لبنان

حسنة جديدة ، وبادرة جميلة تصدر عن لبنان الشقيق ، في شخص جمعية ثقافية ، هي واحدة من الجمعيات الكثيرة التي تنشط للأدب والفكر والثقافة .

هذه الجمعية التي تضم نخبة من الأدباء والمثقفين هي جمعية ثقافية باسم (مجلس المتن الشمالي للثقافة) ينتسب لها المتنيون وحدهم في جبل لبنان ، ويجوز لغير المتنيين ان يكونوا أعضاء مراسلين .

ويرئس لجنتها الادارية الآن ، عندما دعت الى مهرجان الريحاني ، الشاعر الاستاذ يوسف غصوب وحوله عدد من رجال الفكر والقلم في المتن والاعضاء في اللجنة امثال الاساتذة رئيف خوري وعبد الله حشيمة ، وميخائيل صوايا وسواهم .

والمتنيون في هـذا المجلس الثقافي ، نخبـة من كبار الأدباء والشعراء ،

والمثقفين ، منهم المتني المحتفى بذكراه المرحوم امين الريحاني ومنهم بشاره الخوري ، وميخائيل نعيمة ، وجورج شحادة الروائي المسرحي الذي يكتب بالفرنسية ، ومنصور جرداق ، وخليل الحاوي ، وعبد الله النجار ، وجميل جبر وفرج الله الحايك ، وقبلان مكرزل ، وميخائيل صوايا ، وسواهم من اطباء ومحامين ومثقفين.

وتتألف واردات المجلس من تبرعات بلديات المتن ، والحكومة ، واشتراكات الاعضاء ، وهبات من يقبل المجلس هباتهم وينفق المجلس على شؤون المتن الثقافية ، وعلى مكتباته ، وأهل الأدب والفكر فيه ، مساعداً الدولة مساعدة ثمينة في تنشيط الثقافة ونشرها ، وتعزيز مكانة أصحابها.

وعندما كان يقام مهرجان الريحاني في بيروت ، كانت عدة مجالس ثقافية في لبنان تتنادى الى تأليف مجلس اعلى ، من المجالس ، يخطط ويشرف على النشاط الثقافي في لبنان عبر هذه المجالس الصغيرة. فاذا تحققت هذه الخطوة ، حصل لبنان على منظمة ثقافية كبرى ، على نطاق اهلي ، تنهض برسالة من انبل الرسالات ، ومن اجلها فائدة للبنان والعرب.

تحية مجلة العرفة إلى المتنيين الأماثل الذين نظموا مهرجان أمين الريحاني ، ودعوا ممثلي العرب الى يوم ذكراه لمناسبة مرور ربع قرن على وفاته في بيروت ، كما دعوا الى المهرجان عدداً من كبار المستشرقين الذين كانت كلماتهم ملء العين والقلب في يوم المهرجان*.

تحيتنا الى مجلس المتن الشمالي للثقافة ، من اجل الجهد الموفق الذي بذل لانجاح المهرجان. والى الشاعر الكبير الاستاذ الرئيس يوسف غصوب رئيس المجلس والى إخوانه وزملائه الذين اضاءوا شعلة المهرجان على قمة لبنان ونشروا في الأجواء القريبة والبعيدة أرج الريحانيات الخالدات.

*) سيصدر مجلس المتن الثقافي كتاباً يضمنه جميع ماقيل وحوضر به في اسبوع الريحاني.

افتتاح المهرجان :

افتتح مهرجان الخالد الذكر أمين الريحاني ، صباح يوم الرابع والعشرين من تشرين الأول ١٩٦٥ تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية اللبنانية ، الذي أناب عنه السيد وزير العمل والشؤون الاجتماعية الاستاذ وجدي الملاط لالقاء كلمة الافتتاح ثم عقبه الاستاذ يوسف غصوب رئيس المجلس الثقافي ، ثم المستشرقون الذين بلغ عددهم ستة من كبار الباحثين فحللوا أدب الريحاني وحياته ، ثم تكلم مندوبو الدول العربية ورؤساء وفودها .

وقد ندبت وزارة الثقافة ، فؤاد الشايب لالقاء تحية سورية في مهرجان الرجل العربي الذي افتقده لبنان والعرب قاطبة . فألقى كلمة ، في حفلة افتتاح المهرجان جاء فيها :

اخواتي واخوتي :

ان قيام مجلس المتن الشمالي للثقافة ، على تكريم الرائد الخالد الذكر المغفور له أمين الريحاني ، يد جديدة من لبنان الحبيب تضاف الى اياديه البيضاء التي طالما بسطها للأدب والفن ، وللعروبة والعربية في شتى ديارهما ومساكن أهلها. فليسمح لي المتنيون الذين دعوا الى هذا التجمع العربي حول ذكرى الريحاني التي ان اوجه ، في البدء ، الى لبنان وشعبه العريق ، ومثقفيه حملة الرسالات ، رواد التقدم ، ومنوري آفاق هذا المشرق ، تحية الاخوة والتقدير من اخوان لهم في ديار الشام ، تجمعهم واياهم (رابطة الاخاء والشرف القومي) كما قال الريحاني - (رابطة الروح القومية المنبثقة من الحقيقة التاريخية الكبرى) كما قال ريحانيكم وريحانينا العظيم ، أيضاً .

سيداتي وسادتي :

كل ما في ملامح الريحاني وصفاته ، وكل ما في مآثر قلمه وفكره وحركة حياته ، يؤلف بالخطوط البارعة والألوان المشرقة ، صورة اللبناني ساكن هذه القمم الشماء ومؤنس هذه الشطآن الفسيحة الأمداء تهيب به القمم ان يتخطاها الى ما لم تبلغه اعناقها وتهتف له الآفاق البعيدة ان يتجاوزها

الى المجهول الذي يحيطه الانسان وحده، وبوطئه لقدرة القادرين.

ان حياة الريحاني بالفكر وبالعمل، رؤية للحقيقة من عل، وكشف للواقع من حالق الذرى التي بلغها بتأمله، وبقوة جناحه وصوفية هواه. فهو كان ذروة نسر تدانت له مشاهد الحياة والبيئة فرآها وعرفها وعقد عندها يقينه وعزمه. وهو كان شاطىء، شراع جريء مقدام، يمسك باعنة الموج، بوصلته في ضربة جناحه، لتهتدي به المراكب الكبيرة، والمهالة الشردة في تيه الظلام.

انه في هـــذا الميدان، حيث تختلط الظلال بالأنوار، والحقائق بالاوهـام، لرائد بين الرجال ذو سبقين: أحدهما أنه رأى. والثاني انه لم ينكر مارآه. وما أكثر الذين يرهبهم اكتشافهم فيقعدون، ويتنكرون لما يعرفون. وكانت المعرفة للريحاني رياضة ذهن وفكر، ورياضة عزم وبأس. ولقد امتلأت روحه بالحق، حتى شمخ على المكاره، وتضاءلت مخاوف الرجال وكان عنيداً شديداً في قصف مواقع الجهل والظلام.

في مدى هذه الرؤية الصـــادقة، والمزعة الماضية، لم ير الدين في التدين ولا التقوى في التعصب. ولقد أنكر أن يكون الذكاء والدهاء في الملق والرياء. ولم يرض أن يكون التخنث في السياسة بديلاً عن فحولة المجابهة والنضال. ومثلما رفض التعسف والعنف في سلطان العدل، رفض التميع والفوضى في ظلال الحرية...

أما العروبة، فوحدة رآها: في أديانها ومذاهبها في مدنها وقراهـا، في بحارها وصحاريها، في ممالكها وجمهورياتها. ان عين النسر لاتستطيع أن تنتزع المشهد من بوبؤها. والشراع الجريء لايحب الموت في الخلجان المضغوطة واجواف العزلة.

من هذه القواعد ينطلق الريحاني، خفيف الخطى متهلـل الهوى مشرقاً، عظيم الثقة بنفسه وبصحـة عزمه، نحو آفاقه الواسعة، قريباً وبعيداً بعيداً وراء البحار، وفي اعماق الصحاري والقفار.

في البدء تعلم الانكليزية ، وسرعان ما علّم بها وأقرأ الناطقين بها ادب المثقف الشاعر الذي يترجم روح الشرق ، وينشر في العالم الجديد طيب عبقرية العرب .

وعندما تلمس جنبه وشعر بنقص انسانيته في نقص عربيته تعلم العربية وسرعان ما ارتقى بها الى مراتب القادة والمصلحين . ففي أدبه وثقافته وتكوين شخصيته القومية ، البستانيون ، واليازجيون، والأفغانيون والكواكبيون وفيه من نهج البلاغة كما فيه من نشيد الانشاد والأناجيل . ان النفوس الصغيرة تضيق بالتجارب العميقة ، والتفاعلات العنيفة العناصر . اما النفوس الكبيرة ، ففيها تنصهر العناصر وتتآلف في مادة الجوهر الفرد .

ويوم التقى الريحاني بالغرب ، ونفسه تعتلج بالثورة والتمرد والخروج على المألوف أدخل في روحه (فولتير) الفرنسي كما ضم اليها (توماس بين) الأمريكي ، وسواهما ، مغذياً طموح التمرد بادب التمرد ، ونزعة الحق بثقافة الحق ، ورسالة القائد المصلح بسير الرواد المصلحين . ولقد غرس لبنان اشواكاً قاتلة في قلب الامبراطورية العثمانية كان الريحاني احدّها نصلاً . وغرس لبنان ثقافته النضالية في الحركة القومية الجديدة ، فكان الريحاني أينع غراسه في الحوض العربي الكبير .

من تلك المرتفعات ، حيث اشرق مجده، وانعقدت حول رأسه هالة القدسية، ينحدر الريحاني ، كالشلال المتهلل ، نحو قلب الجزيرة العربية وديار العرب في الربع الاول من القرن العشرين ، مبشراً ، منذراً ، داعياً ملوك العرب الى الاتحاد فيما بينهم واحلال السلام، فتنفتح له القلاع التي لم تر النور منذ الف عام ، وترحب به القصور الشاهقة التي امتنعت على النزاة طارقي ابواب الشرق . ويقبل عليه الملوك بعد تردد ، وتنبسط له الاسارير بعد انقباض وتشكك . واذ بالمسيحي الماروني من قرية صغيرة لبنانية ، صاحب الهوى العربي ، والهوية الامريكية، يقرع ابواب القضية العربية في معاقلها النائية ، ويهز

ركود اصحابها في ابراجم المالية . وإذ به سفير كمجموعة سفراء ،وإذ بـه دولة كجامعة دول ، يحدث الملوك في التعاون والتآزر، وحل الخلافات، وتنظيم العلاقات، واقامة العهود ، فتطرب لكلمته الشاعرية الأذان ، وتضطرب لحماسته القلوب ، وتحيط بـه في مقامه وترحاله ، نظرات التقدير والعجب ، والاعجاب .

... هو ذا أديب من الشرق خرج بالأدب من أربعة جدران الصوامع الى الملأ الوسيع والمحيط الهائج ، والمعركة المتحدية .

هو ذا أديب من العرب ، ينتشل الأدب من البئر العميقة حيث يعيش الأديب متأملا صورته الحزينة الطافية فوق شبر ماء .

هو ذا أديب جديد ، يضع كرامة الأدب في مواقع القيادة والريادة . ويطوي صورة الأديب المتسكع حامل الرباب على الأبواب .

هو ذا أديب شرّف الكلمة اذ زفها في موكب الحياة ، وزقها في نبض العروق ، وسقى بها رؤوس الحراب ، وغذى بها خمص البطون ، وروض جموح المستحيل .

هو ذا أديب خرج الحقيقة المطلقة من كهوفها ،بينا كان الحواة يخرجون الأرانب من اكمام قمصانهم .. ! فلسف الحياة ليبسطها لاليعقدها ، ووشح الأدب لاليتغنى وحده بوشحاته ،بل لتنشده معه جوقة الأجيال .

هو ذا أديب وعى تاريخه ، كل تاريخه ، بكل خصائص البيئة والدين والمسكن ، وطوارىء الحدث ورياح الزمان ، فتكونت له بوعيه الكامل شخصيته القومية الكاملة . فلاتناقض بين مسيحيته ولبنانيته ولابين لبنانيته وعروبته ،ولابين عروبته وانسانيته . وقد طالما حذر المصيخين الى دعوته ،من تزويرها والعازفين على قيثارته ، من ابتلاعها .

هو ذا اديب ، نفض التراب ، ودحرج الحجر وارتفع الى عليين مع الخالدين . فوق دعائنا له ، وفوق دعوانا عليه .

هو ذا أديب تغنى بشرف الانتساب الى لبنان العربي ، فليفاخر به لبنان، ولتهتف بمجده لهوات العرب .

مجموعات « المعرفة » المجلدة

يسر ادارة مجلة « المعرفة » أن تعلم قراءها واصدقاءها عن وجود كميات محدودة من مجموعات مجلة « المعرفة » منذ صدورها مجلدة – كل أربعة اعداد في مجلد واحد – وادارة المعرفة مستعدة لارسالها لطالبها بثمن ٢٠ ليرة سورية لمجموعة السنة الواحدة المؤلفة من ثلاثة مجلدات يضاف اليه اجرة البريد للخارج ، حسب رغبة صاحب الطلب .

يرجى أن يكتب الى محاسبة مجلة « المعرفة » وزارة الثقافة والارشاد القومي – دمشق – مع ارفاق الطلب بالثمن المذكور . والمحاسبة مستعدة لتقديم المعلومات اللازمة بشان التحويل من الخـــارج والارسال بالبريد العادي أو الجوي وفق الطلب .

الفنان :

نصير شورى

اللوحة :

حي قديم :

بدأ الفنان نصير شورى منذ مدة تجربة جديدة في عملية الفن التشكيلي .

وانتقل من مرحلة الرؤية التأثرية أي الطبيعة الى رؤية شخصية ذات مدلول تشكيلي بحت . فصارت الطبيعة والمرئيات حوله وسيلة لايجاد علاقات تشكيلية من لون وخط ومساحة يربطها هدف جمالي ، من خلال ألوانه الخاصة .

ورغم أن هذه المرحلة ذات طابع تجريدي الا أن أصالة الفنان الشخصية وطابعه الخاص وروحه الشاعرية تطل من جميع ابعاد اللوحة .

المهرجان السينمائي الدولي

ومؤتمر الطاولة المستديرة

اشتركت الجمهورية العربية السورية هذا العام ، في مهرجان السينما الدولي الخامس في بيروت بدعوة من ادارة للمهرجان اللبنانية ، كما اشتركت في مؤتمر الطاولة المستديرة الرابع الذي انعقد عقب نهاية المهرجان الذي دام عشرة أيام ، بدعوة من مركز التنسيق السينمائي والتلفزيوني في بيروت ايضاً .

وقد اشتركت في المهرجان السينمائي خمس وعشرون دولة ، بتقديم نماذج من انتاجها السينمائي ، في الشريط القصير والطويل ، اي الثقافي ، والروائي ، وكان مجموع الأفلام يزيد عن ستين شريطاً بين ثقافي وروائي ، بمعدل كل يوم ثلاث حفلات أو اربع . وكان عدد الأفلام الطويلة يزيد عن ثلاثين .

واستطاعت سورية هذا العام ان تشترك في المهرجان السينمائي بفيلمين قصيرين احدهما ثقافي ملون عن آثار سورية وتاريخها ، والثاني يروي قصة القرية والهجرة منها ، بأسلوب قصة قصيرة . وقد اخرج هذا الفيلم المخرج السينمائي البرازيلي من أصل سوري — صيدنايا — جان لطفي لحساب مؤسسة السينما السورية . ولقي الشريطان استحسانا عاما ، ولا سيما شريط القرية الذي سُرّ به المراقبون الأجانب لطرافة فكرته واخراجه .

كما اشتركت الجمهورية العربية المتحدة بفيلم طويل بعنوان (الخائنة) ، واشترك لبنان بفيلم (بياع الخواتم) والعراق بشريط ثقافي تاريخي أثري ، وتونس بأفلام توجيهية .

والى متى تهمل السينما العربية في جميع الأقطار قاعدة الانطلاق الأساسية نحو فن إنساني عالمي راق، هي قاعدة: تأليف القصة !!

ان الأفلام المصرية التي كتب قصصها كتاب معروفون وأدباء، كلها نجحت لدى الجماهير العربية. فلماذا نعوض عن التجربة الناجحة، الى تجارب توفر حصة الكاتب، على حساب الجمهور.

● وفيما عدا ذلك فان الافلام الثقافية، القصيرة (غير الدعائية طبعاً) التي عرضتها الدول، كانت افلاماً رائعة، يجب ان يطلع عليها المؤلفون والممثلون والمخرجون العرب كلهم، ليكونوا على بينة مما يجري في العالم من محاولات فنية جديدة...

● ان محرر المعرفة يقترح على وزارة الثقافة والارشاد القومي، ان توفد كل عام على حسابها الى المهرجان السينمائي الدولي عدداً من الفنانين والفنانات، مخرجين وممثلين في (المسرح القومي) و (مؤسسة السينما)، للتثقف بثقافة المهرجان خلال عشرة ايام، بتعويضاتهم العادية وللاطلاع على احدث التيارات الفنية في الميدان السينمائي الدولي، ولاشك ان هذا الاطلاع سيكون ذا فائدة مؤكدة في توجيه فننا الناشئ.

مؤتمر الطاولة المستديرة الرابع

أما مؤتمر الطاولة المستديرة الرابع الذي امتد ثلاثة ايام عقبت المهرجان، فقد افتتح بحضور السيد رئيس مجلس الوزراء اللبناني، والسيد وزير الاعلام، وممثلي الجامعة العربية واليونسكو، فقد اسفر عن التوصيات التالية:

توصيات مؤتمر الطاولة المستديرة الرابع للسينما والثقافة العربية نظم بمساعدة اليونسكو التقنية في بيروت

بين ٢٥ و٢٦ و٢٧ تشرين الاول ١٩٦٥:

ان مؤتمر الطاولة المستديرة للسينما والثقافة العربية الرابع المنعقد في بيروت فيما بين ٢٥ و ٢٦ و٢٧ تشرين الاول ١٩٦٥ في مقر مركز التنسيق العربي في بيروت، بحضور ممثل عن كل من منظمة اليونسكو وجامعة الدول العربية يلاحظ بارتياح فيما يتصل بالتنسيق العربي في ميدان السينما والتلفزيون ان جهود البلدان العربية قد تضاعفت باستمرار وازداد تضافرها ضمن خط التعاون الذي رسم في المؤتمرات الثلاثة السابقة المنعقدة في بيروت سنة ١٩٦٢، ١٩٦٣، ١٩٦٤، وكذلك في الاسكندرية، عام ١٩٦٥ بمساعدة واشراف منظمة اليونسكو، ويوصي الحكومات العربية ومنظمة اليونسكو بمواصلة جهودها لتنفيذ كافة التوصيات المتخذة في تلك المؤتمرات. كما يوصيها بالعمل على تنفيذ التوصيات الآتية:

أولاً : يوصي المؤتمر بتكوين لجنة فنيـــة استشارية تساعد مركز التنسيق العربي للسينما والتلفزيون في بيروت على وضع خططه وبرامجه ومراقبة سير انجازاته . وتتكون هذه اللجنة من مندوب عن السينما والتلفزيون في كل بلد عربي تعينه السلطات المختصة فيه .

وتجتمع اللجنة في مركز التنسيق العربي في بيروت وبدعوة منه مرتين في السنة على الاقل .

ثانياً : يوصي المؤتمر باقامة مهرجان سينمائي دوري للأفلام العربية بين مايو ويونيو (أيار وحزيران) من كل عام في احـــدى العواصم العربية ويتولى امانة سر المهرجان مركز التنسيق العربي للسينما والتلفزيون في بيروت .

يقوم المهرجان على نظام اساسي يضعه مركز التنسيق العربي للسينما والتلفزيون في بـــيروت بالاشتراك مع اللجنة الفنية الاستشارية المشار اليها في التوصية الاولى أعلاه .

ويجري تنظيم المهرجان بالاتفـــاق بين الدولة العربية المضيفة ومركز التنسيق العربي للسينما والتلفزيون في بيروت . وتتحمل نفقاته الدولة المضيفة .

ويمكن لمركز التنسيق في بيروت في حال طلب أي بلد أجنبي استضافة المهرجان أن يلبي الدعوة بعد موافقة اللجنة الاستشارية الفنية المشار اليها أعلاه .

ووافق المؤتمر على اقامة الدورة الاولى للمهرجان سنة ١٩٦٦ في بيروت بناء على دعوة الوفـد اللبناني .

ثالثاً : يوصي المؤتمر أن تتبادل الدول العربية أسابيع الأفلام العربية فيما بينها سنوياً وذلك بالتعـــاون وتحت اشراف الجامعة العربيـــة حتى تتوفر في امثال هذه الاســـابيع فرص البحث والدراسة الدقيقة بالنسبة للفيلم العربي .

رابعـاً : يوصي المؤتمر المسؤولين بالعمل على نشر الثقافة السينمائية بواسطة النوادي والدروس والمحاضرات والنشرات والوسائل السمعية البصرية .

كما يوصيهم بتشجيع نوادي الهواة للتصوير الضوئي والسينمائي من قيـــاس ٨ و ١٦ مم ، وتأمين كافة التسهيلات اللازمة لهذا الغرض .

خامساً : نظراً لأن البلاد العربية قد قطعت شوطاً في اعداد جدول للمصطلحات التقنية المستعملة في السينما والتلفزيون .

ونظراً لما يتطلبه الامر من تنسيق هـــذه المجهودات حتى يتألف منها جدول موحد للبلاد العربيـــة .

يوصي المؤتمر بأن تدعو الجامعة العربية لعقد اجتماع بين أعضائها لمناقشته واقراره واصداره كعمل عربي مشترك .

سادساً : يوصي المؤتمر بتخصيص دار لعرض الأفلام الخاصة بالاحداث وتوفير الأفلام الصالحة لهذا الغرض .

سابعاً : يوصي المؤتمر بتشجيع انتاج الافلام التي تهدف الى الحفاظ على التراث العربي .

ثامناً : يوصي المؤتمر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالتعاون مع مركز التنسيق العربي للسينما والتلفزيون في بيروت لانتاج افلام عربية مشتركة عن الحضارة العربية ليساهم كل بلد عربي بقسطه في التعريف بهذه الحضارة على نفقته الخاصة .

تاسعاً : يرجو المؤتمر الدول الاعضاء المتبعة بمزيد الاهتمام في انتاج الأفلام التعليمية والتثقيفية من اقياسات الاقتصادية الصغيرة لاستعمالها في في اغراض التعليم والتثقيف والتوعية .

عاشراً : يوصي المؤتمر بأن توفق وتدعم بقدر الامكان صلات مركز التنسيق العربي للسينما والتلفزيون بالمنظمات الدولية المختلفة في هذا المؤتمر وغيرها ويسجل بارتياح المشروع المقترح من قبل المراقبين الدوليين الذين شاركوا في هذا المؤتمر المتعلق بانتاج افلام خاصة بالتراث الثقافي العربي بعنوان : « ٥٠٠٠ سنة من الحضارة » .

حادي عشر : يشكر المؤتمر مركز التنسيق السينمائي والتلفزيوني العربي في بيروت والقائمين على شؤونه على ماقدموه من خدمات فعالة ، كما يشكر لبنان حكومة وشعباً على حسن الضيافة وكذلك منظمة اليونسكو وجامعة الدول العربية و دول العربية التي اسهمت في انجاح هذا المؤتمر .

المعجم الحضاري

لعبد العزيز بنعبد الله

عرض ورأي : ليحيى الشهابي

في بعض مصطلحاته

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله هو أستاذ الحضارة والفن في جامعة القرويين وجامعة محمد الخامس ، والأمين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي . وكفاه ذلك تعريفاً .

وضع أمدّ الله في عمره ، وجزاه خيراً ، معجماً حضارياً يشتمل على عدة أبواب مفصّلة ، نشر منها ثلاثة فصول من باب البيت وهي المطبخ ، والمطعم ، وحجرة النوم ، في مجلة اللسان العربي التي تصدر في الرّباط باشراف المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية ، فأغنى اللغة ، وترك لمكتبتها أثراً لا ينكر .

قلت : ولي رأي متواضع في بعض مصطلحات هذا المعجم ، غير منكر غرس صاحبه وأهمية المراجع التي استقيت منها تعابيره .

. . .

١ ـ القِدْرُ الكاتِمَة Autoclave « قدر محكمة الغطاء تطهى فيها اللحوم بسرعة بضغط البخار » .

قلت : ثمة الـ Marmite Hermétique والـ Autoclave ، وكلاهما واحد . عرفت في أكثر من بلد عربي كما سبق لي وبينت « العدد ٤٠ من مجلة المعرفة . حزيران ١٩٦٥ » «قدر الضغط» او «طنجرة» الضغط والطنجرة من الدخيل ، ولكنها عمّت .

ولكلمة Autoclave معنى آخر ، فهي « المُعَقِّمة البخارية » او « المُطَهِّرة » .

٢ — الجِثاوَةُ والجِباء والجباءة Bain - Marie

« وعاء توضع فيه القدر » ومعلوم ان وضع وعاء داخل وعاء آخر من اجل التحميم هو العملية المسماة كذلك . ويمكن تسميتها « جباء التحميم » او « التحميم بالجباء » . وقد استعمل الأستاذ تيمور « الإنضاج بالتحميم » وهي عبارة لاتفي بمدلول الجملة الفرنسية التي قابلها بها .

قلت : الجِثاوَة والجِواء والجباء ، الشيء الذي توضع عليه القدر ان كان جلداً اوغيره . ومفهوم الفرنسية: انضاج الطعام او نحوه عن طريق تسخينه — معزولاً — بالماء الساخن . وتعبير الأستاذ تيمور هو الأقرب .

٣ — الوثية والوأبَةُ Chaudière

« القدر الكبيرة »

قلت : « المِرْجَل » هنا اصحّ ، « والخِلْقِيْنُ » كذلك ، وهي وان كانت من الدخيل الا انها سرت وعمت وتجمع على خلاقين . اما القِدرُ فصغيرة واما « المِرْجل » او « الخِلْقِين » فضخم .

٤ - التّقازيح Aromates

« الأبازير والتوابل »

قلت : هذا صحيح ، ولكن « الأفاويه » اساس وقماً وترديداً واقرب الى اذهان العامة في كل قطر عربي .

٥ — الشوّاية Gril

« آلة الشيّ او المِشواة Rotissoire »

قلت : كلتاهما واحد ، « والمِشواة » للتعبيرين .

٦ — غلاّية Bouilloire

« اناء يغلى فيه السائل »

قلت : « الغلاّية » في مفهومها الدارج

هي « الرَّكوةُ والرَّكـــوة » وهي الاناء الصغير من جلد يشرب فيه الماء » ومنها الركوة لابريق القهوة في بلادنا » ويكون صغيراً ، اما Bouilloire فهي الاناء المعدني الضخم لغلي الماء . ونقترح لهـا « المِحَمّ » وهو الوعـاء الذي يسخن فيه الماء .

٧ ـ غَلاّيَة صغيرة Bouillote

« اناء يغلي فيه السائل »

قلت : تعريفه انه « وعاء من معدن أو من مطّاط يحمل فيه الماء الساخن » . فهو « المِحَمَّة » أو « المِحمّ الصغير » .

٨ ـ الدّاخِنَة Cheminée

« وهي منفذ يتخذ على المقلى والأتون ليخرج منه الدخان »

قلت : « هي المَوْقِد » . أما المَدْخَنة فهي « Tuyaude cheminée » أي مجرى الموقد الذي يخرج منه الدخان .

٩ ـ العَصَّارَة Pressoir

« آلة تعصر بها الفواكه وقصب السكر ونحوه » .

قلت : لا بأس من استعمالها على ماهي عليه فلقد درجت . وهي « المِعْصَرة » والمِعْصَر ، والمِعْصار (للآلة) .

١٠ ـ الثِدام Filtre

« المصفاة »

قلت : أفليست المصفاة التي عرفت وعمت أوقع وأسلم عاقبة من « الثِدام » . ثمة المِصْحَل والراووق ، والمِشْخَل أيضاً ، والمصفاة أفضلها .

١١ ـ المخوض Mélangeur

« ماتحرك به الأشربة »

قلت : المخوض للشراب كالمِجْدَح للسويق أي لتحريك هذا وذاك بالماء . وكلمة Mélange هي المَزْج ، وفعـــل Mélanger مزج وخلط . « فالمِمْزَج » هنا هو الـ Mélangeur .

١٢ ـ المِدْلَجة Bidon

« العلبة الكبيرة ينقل فيها اللبن »

قلت : ان الكلمة الفرنسية تدل على « انها العلبة الكبيرة من معدن او هي من التنك على الأغلب » وليست المدلجة كذلك فهي غالباً من خشب . وقد عرفها الخاصة والعامة في اكثر من قطر عربي على انها « الصَّفيحة » او « التَّنَكَة » ايضاً ، فلتثبت .

١٣ — الدَّنَّة Bonbonne

« قارورة الزيت ونحوه »

قلت : تعريف الكلمة بالفرنسية انها نوع من الـ « Dame - jeanne » من زجاج او فخّار . وهي باطيــة مقششة على الاغلب ، عُرِّبت فعرفت في اكثر من بلد عربي « بالباطيّة » او « الدَّمجانة ».

١٤ — المُزَمَّلة Cruchon

« جرة يبرد فيها الماء كالبرّاد. »

قلت : ماأظن الا انهـــا تصغير لـ « Cruche » وهي الجرّة . و Cruchon هي الكُوز ، فتعريف « Cruche » بالفرنسية وعاء بطن واسع ، ذو عروة ، امــا Cruchon فهي الجرة الصغيرة . والجرة اناء من خزف او نحوه له بطن كبير وعروتان وفم واسـع واما الكوز فهو اناء كالابريق اصغر منه . ولم يرد انه لتبريد الماء حصراً ، ولا هو بالجرة الكبيرة كالمُزَمَّلة .

١٥ — البَرِيمَة Vrille tire - bouchon

« أداة ذات لولب معدني تستعمل في الثقب ، وفي نزع السدادة » .

قلت : البريمة اداة الثقب فهي Vrille اما Tire - bouchon فهي « البِزال » أو « نازعة الدسام » أو « المِفْضاض والمِفَضَّة » .

١٦ — ساطور Couperet Coutelas

« سكين عريض ثقيل ال.. ، ذو حدّ واحد يكسر به العظم »

قلت : أما الـ « Coupert » فهي الساطور ، وأما الـ « Coutelas » فهي « المِنْصَل » أي السيف القصير العريض أولاً ، وهي « الصَّلْت » أي السكين الكبيرة ثانياً .

١٧ — المِلْطاط Moulin à bras

« رحى البزر »

قلت : صحيح ان الملطاط هي رحى البزر ، أو هي يد الرّحى أيضاً ، ولكن « الطاحونة اليدوية » أو « المطحنة اليدوية » أوقع واسلس واعم استعمالا .

١٨ — الثلاجة Réfrigérateur

« جهاز للتبريد وحفظ الطعام ونحوه »

قلت : عرفت كذلك في التحدة ، ولعلها استعملت كذلك ايضاً في المغرب ،

اما في بقية الأقطار العربية فتعرف «بالبرّاد»
و « البرّادة » ، ومعناها هنـــا اقرب الى
واقعها . فلنترك (ثلاّجة) الى Glacière .

١٩ – السُّكُرُّجَة Ecuelle

« اناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل
من الأدم » .

قلت : انها « القَصعة » ، وحسب .

٢٠ – الشُّنَّة

Panier ou Corbeille de fruits

قلت : الشنةُ طية الثوب تجعل منهـا
موضعاً لنقل ماشئت .

أما « سلة الفاكهة » ، فهي الترجمة
الصحيحة المعروفة لها .

٢١ – الصِّنّ Porte - manger

« شبه السلة المطبقة يجعل فيها تلامذة
المدارس والمسافرون طعامهم » .

قلت : العامة في المشـــرق العربي
تدعوها « السبت » ، ولعلهـــا تحريف
لـ « سَفَط » .

٢٢ – المُرْضِعة Biberon

« آلة يرضع منها الطفل »

قلت: المُرضِعُ المرأة اذا كان لها
ولد رضيع . والمُرْضِعةُ اذا القمت
الصبي ثديها. أما الاداة فهي «الرّضاعة».

٢٣ – المَسْعور Insatiable

« الحريص على الاكل وان ملىء
بطنه » .

قلت : انه تعبير صحيح ، لولا نفرة
الاذن منه ، كما لو استعملنا هنـا ايضا
الوأْظ وهو اكراه الاكل بعد الشبع .
ثم انها عممت لغير العاقل اكثر الاحيان .
وافضل « نهم وشَرِه » لها ، ولكلمتي
Avide و Vorace أيضا .

٢٤ – ابريق مُقَدّم

Aiguière à filtre

قلت : ابريق ذوفدام ، او بِـفِدام .

٢٥ – المِصَحّاة Vase d'argent

« اناء للشرب من فضة »

قلت : المصحاة الاناء كالجام للشرب.
اما « الزوراء » فهي الاناء من فضة .

٢٦ – المِرْشف Suçoir

« آلة للرشف اي الامتصاص »

قلت : المرشف مايمتص به الماء تخصيصاً
و Sucer « مص » اطلاقاً فلم لاتكون

« المِمَصّ » أو « المِمَصّة » وهي آلة المص.

٢٧ — الشُّبُك Pipe

« اداة يوضع فيها التبغ ليدخن »

قلت : الشبك كلمة تركية النجار تعني الغليون الطويل المغالى في طول مقبضه . والغليون من الدخيل ايضاً ، ولكنها عمت .

٢٨ — المِنْشَقَة Tabatière

« مايجعل فيه النشوق »

قلت : ان النشوق Prise غير التبغ في استعماله ، والمنشقة للنشوق او « السعوط » اما الكلمة الفرنسية فتعني « علبة التبغ ».

٢٩ — ميدفأة الفراش Bassinoire

قلت : انها طست يجعل فيه الجمر لتدفئة الفراش فهي « المجمرة »

٣٠ — السَّهارَة والسَّاهِرة Veilleuse

« مصباح ضئيل النور ينير البيت ليلا بعد نوم أهله »

قلت : « المِسْرَجَة » لمعناها القديم ، و « الساهرة » للجديد والعامة في الشام تقول « النَوّاصَة » . ولعلها من انتاصت الشمس استناصةً غابت . ولا بأس من اقرارها لسريانها .

. . .

وبعد . اكرم بالمعجم الحضاري ، مأثرة تسجل لصاحبها في سفر خدمة لغة الضاد . واما هي ملاحظات عابرة لاتضير الجوهر والأساس ، فهو تراث يعتد به ويفاخر .



ديوان لألاء القمر

شعر للدكتورة عاتكة الخزرجي

نقد سامي الكيالي

في غمرة الحياة المادية التي تطغى على الروحيات، وفي لجج هذا القلق الذي يثير نفوس الشباب ويغرقهم في أوحال من العبث والمجون، في هذه الفترة من حياتنا الأدبية حيث تقذف المطابع قصصاً وروايات تعبر تعبيراً صارخاً عن الهواجس الجنسية، بحياء وبدون حياء، وبعض هذه القصص من أديبات ومتأدبات انحدرن بالأدب النسائي الى الهاوية حتى أخذ يتسم بالميوعة إن لم تصبح الميوعة طابعه الأصيل، في هذه الفترة القلقة المضطربة من حياة بعض الأديبات تنفحنا الشاعرة العراقية عاتكة الخزرجي بديوان شعر صغير يضم قصائد ومقطوعات وجدية تعبّر أصدق تعبير عن ذات الانسان المأخوذة بالحب الالهي..

نعم، في لجج هذه الميوعة ينطلق صوت صاف، حلو النغمات، يهزأ بالماديات وبما جرته على العقول والأذواق من نزعات ليعبر بوله عن قداسة الايمان، وصفاء الوجد الروحي.

وعاتكة الخزرجي أديبة ذكية الفؤاد. وشاعرة متقدة الحس، عاشت فترة طويلة من حياتها الدراسية في باريس، تأخذ عن بلاشير وغيره من اساتذة الادب مناهج البحث فعادت بأطروحتها الجامعة عن العباس بن الاحنف، ولم تكد ترجع الى العراق تحمـــل شهادة الدكتوراه حتى نيط بها تدريس مادة الادب المعاصر في كلية الآداب، وهي تعيش في جو

دراسي صارم ، تمر أنضر ايام شبابها بين كتب الادب ، قديمه وحديثه ، انحضر محاضراتها . على ان نزعتها الشاعرية كثيراً ماتثور ثورانها المنطلق في المناسبات القومية والاجتماعية ، وقد سمعناها في المؤتمرات والندوات تلقي شعرها بصوت هادىء عذب ذي جرس موسيقي يهز المشاعر هزا ، فاذا خلصت من مشاغلها وواجباتها أخذت تعبر عن ذاتها ووجدها وخلوصها نحو مبدع الكون خالق السموات والارض ، واذا بنا مع ديوان صغير الحجم ، أنيق المظهر ، يتسم بالذوق الشاعري ، ضم قصائد في الوجد والابتهال ، ابتهال حار دونه وجد الصوفيين ، حتى ليشعر قارىء الديوان ان روح رابعة العدوية قد تقمصت روح شاعرتنا الخزرجية .

فالحب الذي أضرم شعلته في فؤادها وانار لها طريق الحياة هو الحب الالهي ، حب الله جل جلاله .

هواكَ هوايَ الذي يعرفون
وسرُّك سري فما ينكرون
أحبك فوق الهوى والظنون
وفوق الذي يحسب العاشقون
هواك هواي أيا عالما
تقاصر عن وصفه الواصفون

. . .

أحبك للحب .. لا رغبة
ولا رهبة بئس مايأفكون
فانت بروحي رفيق السنا
وهمس المنى وابتسام الفتون
ونفحٌ يشيع ، ورَوْح يذيع
ووحي امين ، وحسن مصون

وحينما اتجهت الشاعرة ، حين تخلو الى ذاتها ، وحين تغفو وتستسلم لعالم الرؤى والاحلام ترى الله يحيط بها ، فهو معها في مجالي اليقين وفي خبايا الظنون .

ان قصيدة «الله» في ديوان « لألاء القمر » انشودة علوية صدرت من اعماق النفس المولهة المغمورة بالحب الالهي ، وهي تصوير دقيق لكثير من مظاهر الكون والحياة ، وحين تنظر الى الحياة من جانبيا المشرق تهزأ بهذا القلق الذي يعصف بعقول البعض حين تتجرد أنفسهم من قدسية الايمان ..

عبادكَ يارب ضلّوا السبيل
وحار الدليل فما يهتدون
تشامخ في أرضك الأدنياء
فأيان عن غيّهم ينتهون
وجارت بأحكامها الأقوياء
فـنِم الضعيف عذاباً وهون
ولم يُعْطِ من ماله الأغنياء
ووراحوا على شحهم يحرصون
ولم يبق في الناس معنى الحياء
فأمسوا بآثامهم يفخرون

وضجت مواخيرهم بالحيـــاة
وباتت محاريبهم في سكون
عبادُك يارب ضلّوا السبيل
فأين الدليل ؟ عسى يهتدون

انها ، الى تعبيرها عن مواجيدهـــا ، تنتصر للانسانية المعذبة التي تريد لأفرادها الضعفاء أن يتحرروا من جور الأقوياء ، وللفقراء من عسف الأغنياء ، وتقرع اسماع اولئك الشباب الذين غاض ماء الحياة من وجوههم فأصبحوا يفخرون بآثامهم ، تركوا المحاريب ليغوصوا في النزعات المادية التي جاءت على لسان أئمة بعض فلاسفة الوجوديين . الذين يقولون «وجود الانسان قبل الله» اذا لم يكن الله موجوداً فهناك على الأقل كائن وجد قبل امكان تعريفه على أية صورة ذهنية ، وهذا الكائن هو الانسان ، أو الحقيقة البشرية (١) » كأني بالدكتورة عاتكة الخزرجي الشاعرة المتصوفة ـ ربيبة بغداد وباريس في حياتهـــا الفكرية ـ تقرع في ديوانها « لألاء القمر » اسماع اولئك الشباب الذين أخذوا بهذه الاتجاهات الهدامة التي تزرع الشكوك في اذهانهم وضمائرهم فضت تحذرهم من الانزلاق في أغوار هذه الهوات المظلمة طالبة اليهم التمسك بالايمان الذي ينقذهم من ضلالاتهم ويهديهم سواء السبيل .

. . .

وبعد ففي الديوان أكثر من قصيدة غزل ، فمن هذا الذي أثار وجدها وأطلق لسانها بالتعبير الصادق عن حرقتها ؟

لاشك أن انساناً غير الله جل جلاله قد أضرم شعلة الحب في فؤاد شاعرة العراق التي تصف ملامحه الذاتية وشعره المخملي وطلعته الزهراء وسحر عينيه وورد خده وممشوق قده :

ياليتني أجزى على حبكم
أو ليتني من حبكم أنصف
أكاد من أمري ومن أمركم
رغم اصطباري في الهوى أضعف
حيرتني في الحب يا سيـــدي
أنكر من أمري الذي أعرف
أكاد من شوقي ومن لهفة
وهول ما ألقى بكم .. أتلف
ياليتكم في الحب لم تظلموا
وليتكم في الظلم لم تسرفوا
إنا على العلات أحبـــابكم
انا لكم نوفي وان لم تفوا

ليس لنا ان نستقصي حياتها الخاصة ، فهي انسان ذو عواطف جياشة واحســاس رقيق وشاعرة يثيرها الحب ويستفزها الجمال .

نعم ليس لنا ان نبحث عن اسرارها الخاصة ولكن لنا حين نقرأ هذه القصائد ان نميز بين خلوصها لك بشعرها الصوفي وبين عاطفتها الذاتية نحو انسان ملك عليها شعورها فانطلق لسانها بهذه النبرات التي تعبر عن وجدها ولوعتها .. المهم ، في كلا الامرين ، تعبيرها الصـادق عن خلجاتها .

---

(١) سارتر

على ان الظاهرة التي تلفت نظر الباحث ان هـــذا الديوان الصغير بعدد صفحاته ، الكبير بمضمونه وروعة قصائده ومقطوعاته، يعطينا صورة صادقة عن ترفع الأدب النسائي عن الانحدار في الهوة التي انحدرت اليها بعض الاديبات والمتأدبات اللواتي اعتبرن الأدب التعبـــير عن الهواجس الجنسية المريضة ولاشيء الا الهذر المتبذل .

وعاتكة الخزرجي حين تنظر الى مايعانيـــه مجتمعنا من فساد وتخبط وانحلال ، ترجـع الى الله عز وجل ان يعينها على هذا الهول الذي يهز ضمير الانسان العربي فتصرخ من الاعماق :

تباركت ربي أعنّي على
اناس بغيهم يعمهون
أراهم على الشر قد أقسموا
اما من سبيل بها يهتدون
اعوذ بك اليوم من عالم
مريض به لوثة من جنون
اراه يعبّ سراب المنى
على ظمأ مورد المنون
الا خسئت طينة خلقها
أثام ولؤم وشرّ وهون

هذا المجتمع الذي يرين بظلماته على ضمـــير الانسان العربي هو الذي يؤرق الشاعرة ويثيرها فتريده مجتمعاً فاضلاً ، ولا سبيل الى ذلك ، في عقيدتها ، الا الرجوع الى قداسة الايمان .

وهذا الذي أثارها لتفح الانسان العربي بهذه الاناشيد الحلوة الـــتي تهزك انغامها ، ويكون وقعها في نفسك أبلغ حين ينبع هـذا الشعر الصوفي من نفس شاعرة عراقية شابة في غمرة الحياة المادية الصارخة التي تطبع الحياة البشرية في هذه الفترة من منتصف القرن العشرين .



عينان من اشبيلية

رواية للسيدة سلمى الحفار الكزبري

عرض وتحليل الفة الادلبي

لطالما تمنيت رحلة تكون رفيقة السفر فيها الصديقة الأديبة سلمى الحفار الكزبري . وقد خيل الي أن شيئا من أمنيتي قد تحقق حين اصطحبت معي في رحلة قمت بها بالأمس القريب كتابها الأخير (عينان من اشبيلية) .

اتيح لي ان اقرأه على سفينة تتهادى في مياه البوسفور ، امام زرقة شفافة هادئة تنساب بين شاطئين اخضرين يمتدان مدى البصر فيؤلفان احلى شطآن الدنيا.

في هذا الجو الممتع ، كانت العينان الخضراوان الاشبيليتان تستأثران بي وتصرفاني عما حولي من جمال وروعة ، وأحدقني راضية عن مصيري هذا ، أقبل على القراءة وكأني أصغي الى حديث سلمى العذب الطلي ، واتابع القصة مرتاحة النفس وذلك لانها لاتوتر الاعصاب ، ولاتروع القارىء بعقد عسيرة الحل ، مبهمة المرمى ، كما في غيرها من القصص الجديدة التي كثيراً مايخرج منه القارىء منهك الاعصاب ، مضطرب الذهن .

وبطلة القصة محببة للنفس ، يظل القارىء مستأنسا بها حادباً عليها . وما سبب ذلك – كما أرى – الا لأن المؤلفة قد أوتيت موهبة القص

بأسلوب حلو بسيط ، يتأثر بالقارىء منذ الصفحة الأولى فيجمل بينه وبين البطلة شيئاً من سبق التفاهم ، وكثيراً من العطف والألفة ، فيسير مع الاشبيلية الحسناء منذ كانت في الثالثة عشرة ، تعيش يتيمة منبوذة في دار ابيها ، الى ان تفرض عنت زوجه الشريرة ، وتظل تكافح وحدها كفاحاً مريراً كله جهد وعرق وحرمان في طريق مليئة بالاشواك ، حافلة بالمزالق والمغريات التي تعترض ربات الجمال أمثالها . غير انها استطاعت ان تنتصر على ذلك كله فتظل بمأمن من الزلل . وتصف لنا المؤلفة بعد ذلك بأسهاب كيف نشأت عاطفة الحب بين قلبين فتيين بين كارمن وروبرتو دل صول، تلك العاطفة القوية النبيلة التي لا يمل من وصفها الكتاب ، ولا يسأمها القراء لأنها أقوى مايضطرم في النفس الانسانية من نزعات تتجدد مع الزمن .

ثم يخطب روبرتو كارمن ، ويتوقع القارىء ان يثور أهل الزوج على هذا الزواج للفارق الطبقي بين الزوجين ، غير أن المؤلفة أبت ان تنساق مع المألوف في مثل هذه المواقف فجعلت الأهل يرضون بغير مشقة . ويباركون هذا الزواج بل يغتبطون به ، لأن كارمن عرفت كيف تستحوذ على اعجابهم وتقديرهم .

وحين يوم الزفاف ، ويشاء القدر أن يقع روبرتو عن حصانه الجموح قبل موعد الزفاف بأيام قلائل . وهنا يتوقع القارىء مفاجأة محزنة كما في كثير من القصص الدرامية ، كأن يموت الخطيب فتدخل الخطيبة الدير ، اوتصبح مقعداً، اومقطوع الساق وتظل كارمن تلك الانسانة الوفية المخلصة التي تتفانى في تضحيتها وبذلها فتحرق شبابها بخوراً في معبد الحبيب . لقد أبت المؤلفة تلك الخاتمة الدرامية التي أصبحت معروفة، مألوفة ، فجعلت روبرتو يشفى من جراحه ، وكأن هذه التجربة ماجاءت الا لتعمق جذور الحب في قلبي الخطيبين ، فيتزوج روبرتو كارمن تلك التي رفعها كفاحها وطموحها وسموها الخلقي الى الأوج .

لقد اغنت الأديبة سلمى مكتبتنا العربية برواية نحن أحوج مانكون الى امثالها ، لأننا نستطيع ان نضعها بين أيدي فتياتنا دون أي حرج فيجدن بها متعة وفائدة ، وتوجيهاً طيباً .

ان التلخيص يسيء الى الاثر الأدبي . ففي مطاوي هذه القصة كثير من الوصف التصويري، والحوار الممتع الذي تسوقه الكاتبة بأسلوب بسيط سلس خال من التعقيد والتكلف اللذين هما أبعد مايكونان عن طبيعة الكاتبة . ولقد وفقت في تصوير الجو الاسباني فأجرت على قصتها روحاً اسبانية لايتيسر وصفها الا لمن عاش في تلك الاصقاع كما عاشت المؤلفة .

أهنيء السيدة سلمى على روايتها (عيناك من أشبيلية) التي تستمد قوتها من هدف رفيع ، وغاية سامية .

حول كتاب (عصر النبي)

ملاحظة من الأستاذ عزة دروزة

أسعدني حقاً أن يكون عرض الطبعة الثانية من كتابي « عصر النبي (ص) وبيئته قبل البعثة » وتحليله بقلم الأستاذ خليل الهنداوي . لأني أعرف مايكتبه سعة أدبه وعلمه وافقه . واني لأشكره على مقاله الممتع وعلى ماتكرم به من تنويه بالكتاب ومؤلفه . ولقد كنت أحب أن يكون بحثه لمواضيع الكتاب وبخاصة لموضوعي قوة العرب العقلية وصور ماكان عندهم من عقائد دينية ومداها أشمل لأن ذلك مهم في صدد فهم البيئة التي نشأ فيها الاسلام وظروف انبثاقه فيها . وهو ماهدف اليه الكتاب .

ولا أريد أن اتصدى لما جاء في مقاله من ملاحظات قليلة قد تكون مخالفة لما بلغ جهدي اليه من استنتاجات وتحليلات . فأنا احترم رأي الناقد على كل حال وان كنت مازلت اعتبر استنتاجاتي وتحليلاتي في محلها . غير ان هناك نقطة هامة رأيت انه لابد من ايضاحها لأن الأستاذ دعاني الى استعادة دراستها فيمن دعى على ضوء بعض التساؤلات التي ابداها وبداها بعض المستشرقين في صددها في حين اني قد المت بها وأجبت عليها في نطاق منهج الكتاب .

فقد جاء في مقاله :

« وهنا كان لابد للمؤلف ان يلم بأصول النسب العربي او بالأحرى العرب المستعربة ، فيأخذ برواية القرآن التي ترد هذا النسب الى اسماعيل الذي هو ولد ابراهيم النبي . وخلاصة الرواية ان ابراهيم توجه هو وزوجته هاجر وولده اسماعيل نحو ارض الحجاز حتى بلغ مكة ، ورفع قواعد البيت فيها ، واقام اسماعيل في مكة وبلغ مبلغ الرجال واصهر في قبيلة جرهم فكان من نسله العرب » . ثم قال : « والآن يبدو لنا هذا السؤال : الم يكن ابناء جرهم عرباً من قبل اسماعيل . الم يكن هناك من عرب غير ابناء جرهم ؟ سؤال وضع المؤرخين والباحثين في حيرة . سواء منهم الباحثون العرب والباحثون المستشرقون » والخلاصة الأولى وبخاصة جملة (فكان من نسله العرب) توهمان انها من كلامي او من سياقي . مع ان سياق كلامي يفيد بصراحة ان جرهم قبيلة عربية يمانية . ولم اقل قط (ان العرب صاروا من نسل اسماعيل) ولقد اوردت الآيات القرآنية التي تذكر علاقة ابراهيم واسماعيل بمكة والعرب واوردت على على هامشها الروايات التي تذكر نسب عدنان الى اسماعيل ثم قلت (ومها يكن من امر الروايات فالثابت يقيناً ان اهل الحجاز ليسوا جميعاً من العدنانيين وانه كان في الحجاز قبائل اخرى يمانية الأصل منها بنو خزاعة وبنو بكر في منطقة مكة ، والأوس والخزرج في يثرب، وبنو طريف وبنو سعد وبنو خشعم وفروع من بجيلة وبلى وجهينة وجذام وعذرة في (١) .

ويظهر ان الأستاذ الهنداوي لم يلحظ هذا النص فكان ما كان من تساؤله وحيرته . وقد فصلنا هذا الموضوع الذي لم يتسع منهج الكتاب الا الى هذه الاشارة الخاطفة في الجزء الخامس من كتابنا (تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار) الذي قصرناه على تاريخ هذا الجنس في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام في جزيرة العرب وخارجها .

(١) اقرأ الصفحات ٥١ — ٦٠

الدعاية السياسة	ترجمة جلال فاروق الشريف
أدهم اسماعيل	لنعيم اسماعيل
نفحات من خمائل الأدب الفارسي	ترجمة جعفر الخليلي
التعبير في علم الحسبان	للدكتور محمد خير عرقسوسي
دروس في الاقتصاد السياسي	للدكتور انطوان ايوب
الشيخ أرسلان الدمشقي	لعزة حصرية
٣٣ رسالة الى السيد المسيح	لعبد الحق حداد
نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب	لمخائيل عواد
مدن عربية	للدكتور نقولا زيادة

الدعاية السياسية

المفكر الفرنسي جان ماري دومناك رئيس تحرير مجلة الفكر الباريسية الذي ألقى أكثر من محاضرة في سورية بدعوة من وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ألف كتاب « الدعاية السياسية » ونشرته دار « مطبوعات فرنسة الجامعية » بباريس في مجموعة « ماذا أعرف ؟ » عرض الكتاب الدعاية السياسية : تاريخها ونشأتها وأحدث أشكالها ونماذجها ، والقوانين التي تحكمها ووسائلها ومناهجها في التطبيق ، والفرق بين الدعاية السياسية والدعاية الاعلانية . وعالج مشكلة استخدام الدعاية السياسية للتأثير على آراء الأفراد والجماعات ومقدار هذا التأثير وحقيقته ، ومشكلة ترك حرية ممارسة الدعاية للأفراد والجماعات أو حصرها بيد الدولة وحدها وعلاقة الدعاية بالحرية والديموقراطية ، كل ذلك بأصالة وموضوعية وتركيز وبساطة عرض ووضوح ، وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية الاستاذ جلال فاروق الشريف .

أدهم اسماعيل

صدر كتاب (أدهم اسماعيل ـ حرقة لون وخط لانهائي ـ دراسة فنية موجزة) للفنان نعيم اسماعيل الذي مايزال يتابع رسالة شقيقه الفنان الفقيد أدهم اسماعيل . وهذه القرابة جعلت الاستاذ نعيم يلوذ بالموضوعية في تحليل إنتاج الرائد الفني أدهم اسماعيل في مختلف المراحل التي مر بها . وقد ضمت الدراسة ، الى جانب ذلك ، (٥٠) لوحـــة ملونة و (٣٧) لوحة أسود وأبيض ورسوماً محفورة على الينوليوم ، وقد شرحها المؤلف وحدد تواريخها وأوضح فنيتها وخصائصها . ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً لتاريخ الفنون الجميلة في بلادنا .

نفحات من خمائل الأدب الفارسي

كتاب (نفحات من خمائل الأدب الفارسي) باقة من الأشعار الفارسية جمعها الاديب العراقي الاستاذ جعفر الخليلي وترجمها الى اللغة العربية شعراً . منوعة بكل مافي كلمة التنوع من معنى ، فالقارىء يجد فيها أشعاراً من أعاظم الشعراء القدامى من أمثال السعدي والحافظ الشيرازيين وغيرهما ، كما أنه يجد فيها مقتطفات من شعراء محدثين ، ويقرأ فيـــا أشعاراً تعكس رصانة الأدب التعليمي الأخلاقي ، كما أنه يلتذ بقراءة أشعار لاتبلغ هذا الحد من الرصانة ، إلا أنها لاتخلو مع ذلك من نكت بديعة ، أو فكاهة طريفة ، أومضامين نادرة تجعل المجموعة ذات فائدة عامة ومتعة لأكبر عدد من القراء ومتذوقي الشعر العربي السليم . قال الاديب العراقي والشاعر المجدد المرحوم الاستاذ علي الشرقي في تقديم هذا الكتاب الذي أصدره قسم اللغة الفارسية وآدابها في الجامعة اللبنانية : « جاء الاستاذ الخليلي بترجمة مجموعـــة قطع غنية بأحد مها الانسانية السامية من عيون الأدب والرباعيات والمثاني وغير ذلك ، مع جودة في السبك ، وقوة في الأسلوب ، ومبالغـــة في المطابقة والمساوقة مع الأصل ، فكانت تحفة نادرة بفصوصها ونصوصها » .

التعبير في علم الحسبان

(التعبير في علم الحسبان — تعاريف وتطبيقات) كتاب ألفه الدكتور محمد خير العرقسوسي مدرس التربية في جامعة دمشـق . حاول فيه أن يقدم صورة تقريبيـة للمبتدئين في علم الاحصاء يعتمدون عليها في التبحر في هـذا العلم الذي آثر الدكتور عرقسوسي أن يدعوه (علم الحسبان) لأن الاحصاء عند العرب يعني العد الدقيق ، بينا تنطبق كلمـة (الحسبان) على مايقصد من كلمة Statistique الفرنسية من حيث دلالتها على العمليات الذهنية التجريدية التي تساعد على استخلاص معرفة ما بالاستناد الى رقم أو مجموعة من الأرقام ضمن شروط معينـة وتحت درجة ما من الاحتمال . ويجتهد المؤلف في تعريب المصطلحات ويستهل الكتاب بتعريف المفاهيم الاولية ثم ينتقل منهـا الى العمليات الحسابية والقوانين .

دروس في الاقتصاد السياسي

أصدرت مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية الجزء الأول من كتاب (دروس في الاقتصاد السياسي) الذي ألفه الدكتور انطوان ايوب استاذ الاقتصاد السياسي في جامعة حلب ، ليضع في متناول الراغب بالاطلاع على هذا العلم موجزاً لأهم المواضيع والنظريات التي يتطرق اليها هذا العلم الحديث بطريقة مبسطة حديثة : مبسطة بمعنى أنها تعتمد على المنطق التسلسلي للأحداث والوقائع والنظريات ؛ وحديثه لأن المؤلف يرى أن الانطواء على الماضي واجترار النظريات والطرق القديمة دون الالتفات الى مايحدث حولنا من تطور سريع وخطير في هذه المادة وما ينطوي عليه هذا التطور من نتائج على الشعوب والمجتمعات ، انما هو تخلف آخر يضاف الى تخلفنا في مضامير عديدة من المعرفة والعمل .

وقد بدأ الكتاب بمقدمة عامة في الاقتصاد السياسي بين التعاريف والمصطلحات وطرق البحث ، والأساس النظري لبحث الوقائع الاقتصادية في تطورها مع الزمن ، والتمييز بين مفهوم النظام الاقتصادي ومفهوم التنظيم الاقتصادي . ثم يتعرض المؤلف في هذا الجزء التطور التاريخي للفكر الاقتصادي منذ الخطوات الأولى للفكرة والنظام الاقتصادي ولاسيما النظرية المركانتيلية التي تضع الاقتصاد في خدمة الدولة ، ويختم الكتاب بلمحة عن الماركسية والنظريات الاشتراكية التي سبقتها .

الشيخ أرسلان الدمشقي

أصدر الأستاذ عزة حصرية كتاب (إمام السالكين وشيخ المجاهدين أرسلان الدمشقي ٤٦١ — ٥٤١ هـ) . تحدث فيه عن حياته وآثاره وتصوفه ، ومهد لذلك بنبذة عن التصوف الاسلامي واختتم الكتاب بلمحة عن الشيخ أحمد الحارون المتوفى سنة ١٩٦٢ م . في دمشق . وبرغم أن المصادر المتوفرة تكاد لاتذكر من مؤلفات الشيخ أرسلان غير (رسالة التوحيد) فقد عثر الأستاذ حصرية على شذرات كثيرة من مؤلفاته ، وهو يعتقد أن الفترة التي عاشها الشيخ أرسلان قد ذهبت ببعض كتبه : إما بسبب المعارك والفتن التي نشبت في دمشق ، أو باغفال مقصود من بعض حساده ، أو بفيضان أتى عليها . وقد عرّف الشيخ الأرسلان في (رسالة التوحيد) بعض المعايير الصوفية من وجهة نظره ، فعرّف (الشرك الخفي) و (الايمان واليقين) و (الشريعة والحقيقة) و (المؤمن والعارف) و (المقامات) و (العلم والعمل) و (الفناء) و (درجات الاخلاص) و (المحبة) و (البلاء والنعمة) و (العبد والرب) و (الشريعة والطريقة) و (المعرفة) و (العوام والخواص وخواص الخواص) .

٣٣ رسالة الى السيد المسيح

المحاولة التي قامت بها الصهيونية للحصول على براءة اليهود من صلب المسيح من أكبر مجمع ديني في العالم ، أثار اشمئزاز جميع المسيحيين المؤمنين في الدنيا الذين عبروا عن عواطفهم بشتى الوسائل فبعث الشاعر عبد الحق حداد « ٣٣ رسالة الى السيد المسيح » من الشعر الحديث .

سيدي . خرفانك السود أثاروا مصرعك

قال ألفان من الغرب الذي قد ضيعك

قال : لاصلب ، ولكن .. ثبرئة
وعلى أعناقهم تمتد كالمستهزئة
أيكة الصلبان تذري من عراها أدمعك
سيدي . لكن من الشرق مئة
سيدي . كانوا معك

نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب لمحمد بن عبدوس الجهشياري

ظهر لكتاب « الوزراء والكتاب » ـ للمؤرخ العربي محمد بن عبدوس الجهشياري المتوفى ببغداد سنة ٣٣١ للهجرة (٩٤٢ ـ ٩٤٣ م) ـ ثلاث طبعات: الأولى نشرها المستشرق هانس مزيك في فينة سنة ١٩٢٦ مطبوعة بالروتغراف والثانية حققها الاساتذة مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي وطبعت بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ القاهرة ١٩٣٨ ، والثالثة حققها الاستاذ عبدالله اسماعيل الصاوي ـ القاهرة ١٩٣٨ .
ولكن الباحث العراقي ميخائيل عواد عثر أثناء مطالعاته على جملة حسنة من الأخبار المستقاة من كتاب « الوزراء والكتاب » ، وعند رجوعه الى القسم المطبوع من هذا الكتاب وجد بعض تلك الأخبار مثبتة وبعضها الآخر لا أثر لها فيه ، فترك الأولى جانبا ، وعني بالثانية ، فرتبها بحسب سياقها التاريخي ، أي أنه جرى مجرى الجهشياري نفسه في توزيع الأخبار على أيام الخلفاء ووزرائهم وقامت دار الكتاب اللبناني ببيروت ، للطباعة والنشر والتوزيع ، بنشر هذه الأخبار التي جمعها من مصادر مخطوطة ومطبوعة وعلق عليها الباحث ميخائيل عواد ، في كتاب « نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب لمحمد بن عبدوس الجهشياري » .

مدن عربية

نشرت دار الطليعة ببيروت كتاب (مدن عربية) للدكتور نقولا زيادة ، تحدث فيه عن دمشق ، حلب ، حماه ، معرة النعمان ، القدس ، بيروت ، صيدا ، صور ، بغداد ، الموصل ، مكة المكرمة ، المدينة المنورة ، عكاظ ، صنعاء ، القاهرة ، طرابلس الغرب ، تونس ، المهدية ، الجزائر ، تلمسان ، مراكش ، فاس ، مكناس ، القيروان ، اشبيلية . ومعظمها من المدن التي عرفها المؤلف معرفة دقيقة أو زارها غير مرة ، كما اعتمد في حديثه عنها على نصوص مختارة من فئة من كبار المؤرخين والجغرافيين والرحالة من القدامى والمحدثين . فمن النصوص القديمة كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي ، و (فتوح مصر واخبارها) لابن عبد الحكم ، وديوان ابن رشيق القيرواني ، ورحلة ابن جبير و (مسالك الابصار) لابن فضل الله العمري ، و (صفة جزيرة العرب) للهمداني ، و (الازمنة والامكنة) لأبي علي أحمد المرزوقي ، و (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار) لابن بطوطة ، و (مسالك الممالك) لابي اسحق ابراهيم الأصطخري ، ومن النصوص الحديثة (ملوك العرب) لأمين الريحاني ، و (منتخبات من آثار الجغرافيين العرب) لبلاشير ، و (عمر ابن ابي ربيعة) لجبرائيل جبور ، و (حملة لويس التاسع على مصر) لمصطفى زيادة ، و (مارأيت وماسمعت) لخير الدين الزركلي ، و (الشرق في نظر المغاربة) لصلاح الدين المنجد .

أخبار ثقافية

عاد المفكر الفرنسي جاك بيرك الأستاذ بالكوليج دوفرانس مرة أخرى الى دمشق . في اليوم الثالث من تشرين الثاني اسهل محاضرته التي ألقاها في مدرج جامعة دمشق باللغة الفرنسية عن (التحرر العربي ومشكلات العالم الحديث) بكلمة باللغة العربية حمل فيها تحية المفكرين الفرنسيين الأحرار الى دمشق . ثم انتقل في اليوم التالي الى المركز الثقافي العربي ليتمم محاضرته باللغة العربية في موضوع (من تحرر العالم الى تجديد علم الاجتماع) كانت هاتان المحاضرتان جزءاً من البرنامج الذي أعدته له وزارة الثقافة والارشاد القومي .

وأتم الاستاذ بيرك جولته في سورية ، فألقى محاضرة في حلب ومحاضرة في اللاذقية وموضوعها (وحي الأرض عند شعراء ثلاثة) ألقاها باللغة الفرنسية. وبانتهاء برنامجه عاد الى باريس .

وستطبع وزارة الثقافة هذه المحاضرات الثلاث في كتيب خاص .

● ألقى الدكتور يوسف العش استاذ التاريخ العربي في جامعة دمشق ، محاضرة موضوعها (العرب يغيرون مجرى العلوم في تاريخ الانسانية) وذلك في قاعة المركز الثقافي العربي بدمشق .

● قام أسبوع العلم السادس بين ٤ – ٩ كانون الاول الحالي على مدرجات الكليات العلمية في جامعة دمشق وعلى مدرجها الكبير .

وقد أصدر المجلس الاعلى للعلوم خمسة كتب عن مهرجان أسبوع العلم الخامس . يتضمن الكتاب الاول كلمات حفلتي الافتتاح والاختتام والمحاضرات العامة ، والكتاب الثاني دراسات وبحوث العلوم الاساسية ، والكتاب الثالث دراسات وبحوث العلوم الطبية ، والكتاب الرابع دراسات وبحوث العلوم الهندسية ، والكتاب الخامس دراسات وبحوث العلوم الزراعيه والبيولوجيه .

● أصدرت وزارة الثقافة كتاب (زهرة النار) لعبد الكريم الناعم . كتاب (قال الراوي) لالياس فرحات ، كتاب (تحت سماء الاندلس) لزكي قنصل .

● أصدر الاستاذ أحمد قدامة الجزء الاول من كتابه (معالم وأعلام) .

● صدر كتاب (بدائع العروض) للأستاذ ميخائيل الله ويردي ، الذي يعرض فيه اسلوبه لنظم الشعر على الايقاع الموسيقي .

● قام الدكتور عبد الكريم اليافي بترجمة كتاب (العلم والثقافة الانسانية ، الفيزياء في زماننا) للعالم النمسوي ارفين شرودنغر .

● أصدرت وزارة الثقافة في (السلسلة الفنية) كتاب (الفولكلور الغنائي عند العرب) للاستاذ نسيب الاختيار .

● كانت وزارة الثقافة والارشاد القومي كلفت الدكتور بدر الدين القاسم ترجمة كتاب (الفن والادب) للويس هورتيك عضو أكاديمية الفنون الجميلة بفرنسة ، وقد صدر الكتاب بعد أن راجع الترجمة الدكتور عمر شخاشيرو .

● شعبة موسوعة المغرب العربي التابعة للمكتب الدائم للتعريب ، منكبة الآن على إعداد قائمة كاملة بالمواضيع التي ستندرج في حرف الألف من سلسلة المغرب الأقصى في موسوعة المغرب العربي .

● صدر في بيروت كتاب (بيروت ولبنان في عهد آل عثمان) للأستاذ يوسف الحكيم .

● صدر في العراق كراس عن الشاعر أحمد الصافي النجفي ، للأديب العراقي خضر عباس الصالحي .

● كتاب (آفاق الفكر المعاصر) للعلامة (غاستان باشلار) قامت بترجمته لجنة من الاساتذة الجامعيين في بيروت .

● قام الاستاذ كامل خميس بجمع وطبع ديوان الشاعر العراقي المرحوم عبد القادر رشيد الناصري .

● أصدرت (مؤسسة مكة للطباعة والاعلام) ديوان شعر (الانسان) للأستاذ ابراهيم خليل العلاف ، كما أعادت المؤسسة طباعة ديوان (البعث) للشاعر نفسه تحت عنوان (وهج الشباب) بعد إضافة بعض القصائد .

● صدر في لندن كتاب جديد للفيلسوف برتراند رسل .. اسم الكتاب (الشيطان يجول) وهو مجموعة قصص .

● ألقى الدكتور فاخر عاقل في الندوة الثقافية النسائية محاضرة عنوانها (رسالة الى ابني) .

افتتح الأستاذ سليمان الخش وزير الاعلام وزير الثقافة والارشاد القومي بالوكالة ، معرض الخريف السابع للفنون التشكيلية في المتحف الوطني بدمشق . ضم المعرض ٦٤ لوحة و ٤ تماثيل لـ ٥ فنانات و ٣٧ فناناً . كانت وزارة الثقافة والارشاد القومي قد طرحت على الفنانين للمرة الأولى فكرة معالجة الموضوعات القومية والبحث عن أسلوب خاص يستمد أصوله من الفن العربي ومن فلسفته ، وكان هذا في الدعوة التي عممت على الفنانين تحضيراً للمعرض ، عقدت بعد حفلة الافتتاح ندوة ، فاشترك في مناقشة اللوحات عدد من الفنانين والنقاد . قال السيد الوزير : « إن الفن شيء من منح الله وليس شيئاً من عطاءات الحكومات. ولذلك نحن لانفرض نوعاً معيناً من الفن على أحد ، لكن يجب أن نلفت أنظار الآخرين ، أنظار إخواننا الذين يشتغلون بالفن الى قطاع معين من الشعب . »

● انهت جامعة روما المرخصة بالتنقيب عن الآثار في سورية موسمها الثاني في تل مرديخ (محافظة ادلب ، ناحية سراقب) حيث كشفت منذ العام الماضي مدينة تعود لألفي عام قبل الميلاد.

● افتتح في المركز الثقافي العربي بدمشق معرض الرسم الثاني للفنان عبد اللطيف قباني .

● تحت رعاية وزارة الثقافة والارشاد القومي أقيم ، في سينما الخيام بدمشق ، مهرجان للأفلام السوفييتية .

● استمع عشاق الموسيقى العالمية الى مقطوعات عزفتها الفنانة فلورانس فيلد على البيانو والفنان فريتز هاندشكي على الفيولا في المركز الثقافي العربي بدمشق . الفنانان عضوا اوركستر فيينا السمفونية .

● القى الأستاذ غازي الخالدي محاضرة حول معرض الخريف بين الشكل والمضمون ، في حلقة التكامل الاجتماعي والفنون .



الحوارات — عبد السلام قطرميز

معرض الخريف لعام ١٩٦٥

عرض وتحليل
غازي الخالدي

ثلاثون عملا جيدا في معرض الخريف لهذا العام ...

معرض الخريف هذا أنجح من معرض ربيع حلب بشكل اجمالي .

بعض الملاحظات العامة قبل البدء في دراسة الاعمال المعروضة :

أولا : تظهر في هذا المعرض محاولات جادة للبحث عن اسلوب شخصي لعدد كبير من الفنانين الشباب ، وهذا البحث مصدره حب العمل، وغنى الاحساس ، والايمان برسالة الفن التشكيلي كوسيلة للتعبير الصادق عن ذاتية الفنان .

ثانياً : بدأ بعض الفنانين يفهمون حقيقة مشكلة الفن بحيث ظهرت حلول تشكيلية جديدة في مجالات اللون والتكوين .. والخط .. بصرف النظر عن مفاهيم أدبية أو شعارات وطنية ، وصار البحث في قيمة الشكل نفسه ، والتحري عن الابعاد الجماليه التي تؤكده .

ثالثاً : تنوع المعالجة عند الفنانين من حيث المواضيع ، فظهرت مواضيع انسانية عامة ، ومواضيع وطنية ، ومواضيع سياحية ، ومواضيع ذاتية خاصة غير ملتزمة الا بالاحساس الصادق المطلق .

رابعاً : توقف بعض الفنانين عند مرحلة معينة واجترار هذه المرحلة ونتائجها بشكل ممل وسطحي نتيجة ضحالة الكسل الفكري ، والاكتفاء بالمكاسب الموقوتة .

خامساً : مشكلة هضم الشكل في الطبيعة لاتزال عائقة بالنسبة للنحت ، والفنانون يحاولون أن يقدموا خبراتهم وتجاربهم عن طريق محاولات غير جادة (الا لوحة الحراث لعبد السلام قطرميز) والنحت بشكل عام مقصر تماماً عن التصوير ، والتمثال الجيد نادر في بلدنا .

سادساً : طغت المفاهيم الوطنية على القيم الفنية الحقيقية واضاعت جوهرها الاصلي ، بحيث انصرف الفنان الى المضمون كلياً ... على حساب الشكل . فالتناول الفني لم يكن واعياً ولا مستلهماً من الاصل ، كما ان مفهوم القومية ، لم يهضم بعد عند الفنان التشكيلي ، فجاءت التجربة سطحية وعليها طابع التسجيل التاريخي .

نحو اسلوب شخصي

ان اصعب مشكلة تواجه الفنان هي ان يكون له طابعه الخاص واسلوبه الشخصي يتميز به عن غيره مثلما يتميز سلوكه وشخصيته عن بقية الناس ، وهذا الطابع والاسلوب لا يأتي بشكل قسري ولا صدفة . انما يكون نتيجة تجارب طويلة ومستمرة .. وعمل دائم .

.. والعمل وحده هو الذي يبلور تجربة الفنان ويجعله يكتشف نفسه بنفسه من خلال التطور الذي يمر فيه خلال التجربة .

وفي معرض الخريف هذا عدد من الفنانين الذين يحاولون بجد أن يصلوا الى انفسهم ويكتشفوا ابعادها .

مثل : جورج نحاس ، محمد عساني ، خالد الز ، غازي الخالدي ، نذير نبعة ، نشأت زعبي ، زياد الرومي ، ليلى نصير .

ولكن واحد من هؤلاء تجربته الخاصة التي تختلف كلياً عن الآخر ، سواء من حيث المفاهيم النظرية او من حيث المفاهيم التقنية .

جورج نحاس :

قدم اللون الاسود في اطار رومانسي ، يعيش جواً غامضاً غير مألوف في المناظر الطبيعية ، وهذه تجربة جديدة بالنسبة له على الاقل بحيث يستخدم اللون الاسود كعنصر اساسي في بناء اللوحة ، ولم يكن اللون أصم بل كان متحركا وحيوياً ويعبر عن احساس معين .

محمد عساني :

يغرق نفسه في الملمس ، ويبحث عن تكنيك خاص قبل ان يبحث في مشكلة الشكل نفسها ..



امومة   نذير نبعة

لذلك نراه ضائعاً بين لوحة واخرى ، تارة يبحث عن الخط ، وتارة اخرى يبحث عن الشكل العام ، وتارة ثالثة يبحث عن الناحية التقنية فقط

إلا أن بوادر اسلوب خاص به يمكن ان تطل من مجموعة اللوحات الثلاث .

خالد المز :

اغنى شيء عند خالد هو اللون ، ولو انه استطاع ان يطور التكوين مستفيداً من امكانياته اللونية لقدم اعمالاً جديدة فعلاً ، لأن امكانيته واضحة في الاحساس اللوني العام الذي يضفيه على اللوحة . واللون عنده لايعتمد على البقعة الصريحة ، او المساحة اللونية المحددة ، وانما يعتمد على تماس مجموعة ألوان متماسكة ومندمجة مع بعضها دون ان يفقد اللون الاصلي حيويته .

وقد وفق في تكوين اجسام العمال في لوحته عمال الميناء .

نذير نبعة :

يعيش في صراع بين قضيتين اساسيتين : الفكر والفن . واعتقد ان هذه المرحلة لابد منها لانها هي المحك الحقيقي لمعرفة اصالة الفنان ومدى صموده امام المشاكل التي تعترضه خاصة وان نذيراً يفهم الشكل فهماً ذكياً ويعالجه بشكل بنائي متين ، وله رأي خاص في الطبيعة يختلف كلياً عن آراء الفنانين الآخرين . لوحته امومة ، حلولها ، وألوانها ، وتكوينها ، جديدة وفيها معالجة خاصة للطبيعة ، الا ان النافذة التي وضع فيها (السكاز) جاءت ملصقة بالموضوع وليست متماسكة معه تماماً .

نشات زعبي :

لم تفاجأ بتجربته التجريدية التي قدمها في هذا المعرض ، فقد كانت في اعماله السابقة تباشير تؤكد ان طريقه هو التجريد ، فقد كان يجرد الشكل من ابعاده الثلاثة ويتركه مساحة ترمز الى الشيء المقصود باللون فقط ، وكثيراً مارأيت له لوحات منازل قديمة واحياء شعبية فيها هذه المحاولات .

أما اختياره للون الاصفر بالذات فهو بلاشك حس معين لجأ اليه باحثاً فيه عن قيم جمالية بحتة ، خاصة عندما وضع الى جانب الاصفر اللون الذي يتضاد معه وهو الاسود .

واعتقد ان الفنان سيعطي في المستقبل اغنى من هذه التجربة فهي لاتزال في اول الطريق ، وتكاد ملامحها تضيع بين تجربة الفن التجريدي المعاصر ، أما الجذور التي استوحى منها المواضيع فهي جذور واهية ضعيفة .

زياد الرومي :

انا واثق ان عند زياد امكانية ذات صفة خاصة ، يمكن ان يكتشفها هو بنفسه ، اذا عمق تجربته ، واكثر من العمل ، ودأب على الانتاج بشكل متواصل ، ففي لوحاته روح سيريالية شرقية ، رغم التماثيل التي يضعها في اللوحة .

وبالنسبة للحلول التي يقدمها في جزئيات اللوحة : لاتتناسب مع الجو الفكري المسيطر على اللوحة .

ليلى نصير :

مشكلة ليلى نصير تشبه مشكلة نذير ، والقياس مع الفارق بين الاثنين ، لكل اسلوبه طبعاً ، ليلى تفكر اكثر مما ترسم ، وعندما ترسم يطغى



الزمن　　　　لزديا الرومي

علیها الفكر تماماً .. فتضيع كثيراً من اصالتها الفنية التشكيلية وراء البحث عن قيم فكرية خاصة .

والواقع ان مهمة الفنان ليست بالوعظ ، وليست بالتسجيل ، وليست بالخطابة ، وانما مهمته ان يقدم رأيه ورؤيته في الطبيعة ، في عمل تشكيلي جيد يكون هو نفسه فيه قبـــل ان تكون الطبيعة .

لوحة ليلى جيدة وخاصة منظر من اللاذقية .. ففيها تجربة لون جديدة مع حساسية متناهية في المعالجة .

واللوحة الثانية « التمييز العنصري » سيريالية فيها نوع من الاغراق في الواقعية .. وواقعية فوتوغرافية .. بحث صارت كأنها تحكي قصة وتلقي خطاباً

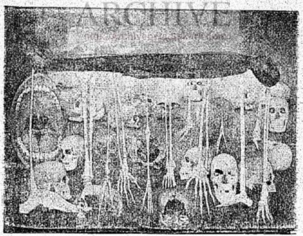
الوطنية .. والفن التسجيلي

عندما دعت وزارة الثقافة الى فن قومي كان الفنانون غارقين حتى آذانهم مع انفسهم ومع تجاربهم .. وانقسموا ازاء هذه الدعوة الى ثلاث فئات :

الفئة الاولى : لم تحاول ان تفتعل ، ولم تزيف ، خاصة وان مفاهيمها عن القومية وعن الفن تختلف جذرياً عن مجرد دعوة لرسم الاحداث والبطولات التاريخية من مراجع متحفية وكتب اثرية .

والفن بنظرهم ليس بحاجة الى دعوة ، لذلك استمروا في تجاربهم الشخصية واعمالهم الخاصة رائدهم الصدق والعفوية .

الفئة الثانية : أضاعت الوقت الطويل بين



العنصرية — ليلى نصير

مجلدات التاريخ لتستقصي الدقائق الهامة عن ملابس وأسلحة الجيش في معركة ميسلون أو اليرموك ، ليكونوا أمناء في نقلها الى اللوحة امناء في تسجيل ذلك الحدث التاريخي البطولي المجيد ، وفاتهم ان الاستغراق الطويل في البحث عن شكل الدرع ولون الازياء وطريقة وضع السيف والخوذة ، افقد اللوحة كل القيم التشكيلية الاخرى فصار الفن وسيلة للتاريخ ، ولم تعد الحادثة التاريخية وسيلة لعمل فني جيد .

فالامر صار مجرد تسجيل تاريخي امين للحادثة فقد ركز الفنان جل اهتمامه على شكل الدرع ونوع زخرفته ووضعه ، ولم يعد يهمه علاقته كمساحة أو كلون أو كشكل عام أو كعلاقة بالنسبة المساحات الباقية في اللوحة مثل لوحتي عاصم زكريا وشوقي قوشحة .

الفئة الثالثة : بقيت بعيداً عن كل هذا ، ولم تشترك في العرض ظناً منها ان الاعمال غير القومية سترفض ، وهذا طبعاً لم يحدث فقد عرضت اعمال كثيرة غير ملتزمة بمفهوم قومي معين .

التوقف عند مرحلة واحدة

الخطورة في حياة الفنان ان يصل الى تجربة فنية معينة ويعجب بها ويبدأ بجترها ويكررها ويعيدها حتى تستهلك تماماً ، ويبقى هو على هامشها تماماً ، كل ذلك اما خوفاً من المغامرة بحثاً عن حلول جديدة اخرى ، أو عجزاً عن التطور خطوة جديدة الى الامام .

والذين يسدون بما وصلوا اليه ، غالباً ما يقفون على أبواب أنفسهم ليغلقوها بأيديهم كأنهم يريدون لانفسهم التوقف هكذا الى الابد .

بدوج قشلان :

لايزال منذ عرفناه الى الآن وهو يجزىء اللوحة الى مثلثات او مربعات او مستطيلات ، ويوزع عليها مجموعات من الالوان الحمراء او الزرقاء او الخضراء المخففة احياناً بالابيض بدرجات متفاوتة ، يحاول الايهام بالكتلة او بالظل والنور او بالحركة ، واخيراً ، نفس النتائج ، نفس المواضيع . نفس الحلول ..؟

الى متى ؟

ان هذا مدعاة لتجمد تجربته نهائياً ووقوفه تماماً عند هذا الحد .

ان الذي اتصوره ان يغير طريقة التفكير نفسها في الطبيعة والاشياء !

حزقيال طوروس :

لايرسم الا من أجل معرض او مناسبة ، مثل زميله شريف الاورفلي ، وهذا الاسلوب الذي يمارسه يشبه الى حد كبير اسلوب المدارس الفنية التجارية في ايطاليا .

لقد حفظ اللون ، وحفظ الشكل ، وحفظ كل التفاصيل ، وما عليه الا ان يرسم مئذنة او عدداً من البيوت ويوزع في الشارع عشرة اشخاص في امكنة متعددة ، ليوحي بالابعاد والنسب والمنظور ، وهذا هو كل العمل الفني !

انا شخصيا افضل لوحته جبال الاكراد على لوحته شارع قديم في حلب ، فعلى الاقل في لوحته جبل الاكراد نجد بداية تفكير جديد ،



لحن من بلادي — لميلاد الشايب

وتحرر بعض الشيء من الوانه الكثيرة المكثفة المتميعة تماماً كأنها مجموعة زيوت غير قابلة للمزج.

شريف الاورفلي :

يشبه حزقيال طوروس من حيث مبدأ قلة الانتاج ، ومنذ زمن بعيد ونحن نسمع بان الاورفلي لم يعد يمارس الرسم على الاطلاق وفجأة نرى لوحة له عن حماه في معرض الخريف ، وكل لوحاته عن حماه والعاصي ، كأنها مشاهد فوتوغرافية .. يعيش السائح امامهـا لحظات ثم ينساها بمجرد ان يبتعد عنها ، تماماً كالعطر نتمتع به لدقائق ثم ننساه بعد ان تغادره ! وشريف لم يقدم منذ تخرجه عام ١٩٤٧ شيئا جديداً ولاتجربة جدية واحدة ، وربما لأنه يرسم كهاو ولم يحترف الفن احترافاً كاملا .

وجاثي الصفدي :

لوحتـه ابن سينا محشوة بالوحدات والادوات المتطرفة ، والاشكال التي لامبرر لوجودها على الاطلاق ، اضف الى ذلك ان الطريقة التي رسم بها ابن سينا جاءت هشة تماماً وغير متماسكة .. ماعدا اخطاء الرسم التي لاتخفى على أحد .

زهيرة الرز :

عندما تخرجت زهيرة ورأينا معرضها الاول ، تصورنا ان شيئاً جديداً ستقدمه في تجاربها المقبلة ، ولكنها خيبت آمالنا في لوحتها عن الحدود

الامامية خاصة وانها طرقت موضوعاً وطنياً جاء شبيهاً بأسلوب الاعلانات السينمائية عن افلام الدرجة الثالثة .

اما كونها تضع بقعاً لونية مختلفة في اجزاء اعتباطية من اللوحة لتؤكد لنا استمرار اسلوبها التجريدي الذي بدأت فيه ايام كانت طالبة في القاهرة فهذا خطأ كبير لأن البقع اللونية في موضوع كهذا في لوحة كهذه جاء نشازاً مع الجنود الموزعين في اللوحة .

بشيرة خردهجي ، واقبال قارصللي ، وهالة قوتلي ، وفهد جباصيني : قدموا اعمالاً أتصور انها ليست من انتاجهم الجيد ، وكنت اتمنى لهم أن يقدموا اعمالا أكثر جدية .

بداية تجارب شخصية

احسان عنتابي ، أسعد مدرس ، حيدر يازجي ، غسان جديد ، ماجد صابوني : هؤلاء قدموا اعمالا ذات تجربة شخصية الى حد ما ، بعضهم تأثر بفنانين محليين وبعضهم تأثر بفنانين عالميين إلا أن الطابع العام المميز لاعمالهم هو البحث الجاد للوصول الى الصورة المثلى الاقرب الى نفوسهم .

وأخص بالذكر غسان جديد الذي رسم باللون الاسود ثلاث لوحات كانت ذات طابع شخصي بحت ، واحسان عنتابي في لوحة شجر الزيتون الذي لون الشجر باللون الاحمر ووزع الاغصان توزيعاً متحجراً قد لايشبه الطبيعة في شيء الا أنه



تكوين

لمحمود حماد

هو الذي وضع له هذا الشكل ، والعمل الفني لايسمى فناً الا اذا كان فيه رأي شخصي للفنان.

تجارب خاصة

محمود حماد :

ان الخطوات التي يسير عليها حماد في تطوير تجربته التي اختارها لنفسه بعد أن وصل الى تطويع الاحرف العربية والاستفادة من معطياتها الشكلية البحتة ، خطوات متزنة جداً ، وحلقات متصلة وذات أبعاد متساوية تماماً اذ نرى التطور واضحاً بين أعماله من معرض لآخر .

في معرض الخريف هذا قدم نماذج جديدة من الاعمال صار فيها الشكل المجرد المستوحى من الحرف والكلمة كعنصر مجرد يسبح في فضاء لوني لاحدود له . وحتى ضمن الاشكال الصغيرة استفاد من امكانيات الخامة الى ابعد الحدود ، فحرص على اللمس ، ونوع فيه ليعطي أكثر من احساس في المساحة الواحدة ، اما اللون فيختاره بدقة تامة وبعد تجارب طويلة ومحاولات كثيرة . . وباحساس عال من التوتر والانفعـــال . . رغم العقلانية البادية على اللوحة لاول وهلة . . فاللوحة تأخذ منه جهداً طويلاً ولا يمكن ان يتصور أحد ان عملية مثل هذه تأتي وليدة صدفة . فكل بقعة في اللوحة محسوبة ، وكل لون موضوع في مكانه ومدروس تماماً بالنسبة الألوان التي حوله .

لؤي كيالي :

لوحته الوحيدة « ثم .. ماذا ؟ » ، كبيرة الحجم ، قد توحي لاول وهلة انهـا من أحسن اعماله وخلاصة لتجاربه ، ولكنني مع الاسف لم أجد فيها شيئاً من هذا ، واعتقد ان أحسن واغنى مرحلة عند لؤي هي أول مرحلة ـ عندما جاء من دراسته ـ حيث كان الخط عنـــده يزخر بالاحساس الانساني المتدفق واللون عنده كان شفافاً رقيقاً يهز شغاف القلب .

اما لوحته هذه فعليها طابع كاريكاتوري ، وخاصة في الوجوه المتشابهة والتي فيهـــا مسخ انساني مشوه ، كان يقصد منه الدراما فجاء شكلاً كاريكاتورياً باهتاً !

اما مسألة التناظر فأقول ان في اللوحة اكثر من تناظر .. ان فيها تكراراً مملاً سواء في طريقة رصف الاشخاص ، اوفي طريقة تحريك الرؤوس التي تحملها تلك الاجسام .

ان (لؤي) يملك امكانية جيدة في الرسم ، وامكانية جيدة في التعبير ، يبقى فقط ان يعرف كيف يستفيد من هذه الامكانية ويطوعها في عمل جيد مدروس تماماً على اسس جديدة ، دون ان يجامل فيه قضية وطنية مثل فلسطين ، وان لايأتي الهدف الفائي على حساب القيم التشكيلية .

ميلاد الشايب وعبد المنان شما :

هذان الفنانان درسا في موسكو ، وقدما تجربتهما من خلال الدراسة ، وعلى هذا الاساس

لايمكن مناقشة اعمالهما الآن ، الا بعد ان يتحررا من مفاهيم الدراسة وتعاليم الكلية .

ان الموديل والشكل الطبيعي يسيطر عليهما الآن كل السيطرة بحيث لايمكنهما تجاوز المعطيات الطبيعية اطلاقاً ، وهذه بالطبع احدى تعاليم المدرسة السوفيتية .

ونحن نتصور انه بعد هذا المعرض سينطلق كل من ميلاد وعبد المنان ، كل في افقه الخاص ، نحو اعمال جديدة ، وتجارب شخصية ، فالطاقة التي يمتلكان بها معاً واضحة ، ولا يمكن ان تنكر امكانيتهما كل في طريقه الخاص ، فميلاد يميل الى الاسلوب التصويري في اللون والمعالجة ، وعبد المنان يميل الى الطابع الزخرفي المبسط في اللون والمعالجة ، ولهذا طريق ولذاك طريق آخر ، المهم ان يعرف كل منهما الطريق التي تناسبه .

فاتح المدرس :

جامل هذه المرة فاتح على مرحلتين : جامل الموديل الذي رسمه في اسلوبه في معالجة الوجه. وجامل معرض الخريف فقدم لوحاته حتى لايقال انه كان سلبياً مع المعرض .

وفي كلا المجاملتين لم يوفق . رغم التأكيد ان فاتحاً من الفنانين القلائـــل الذين يملكون احساساً عنيفاً باللون ، ويستطيع ان يعبر عنه بأعنف منه ، وهو بهذا ينفرد بشخصية خاصة به بين كل فناني سورية على الاطلاق .

النحت

ليس من بين الاعمال النحتية الا لوحة النحت النافر لعبد السلام قطرميز « المحراث » كرمز دائم للصراع الخالد بين القوى الطبيعية في هـذه الحياة لتأكيد الوجود الانساني .

الانسان بكل قوته وجبروته يمسك بالمحراث ويدفعه ويسيره حيث يريد ، والثوران القويان يسيران في الدرب الوعرة وهما يحاولان التمرد ..

قطعة جيدة فيها احساس غني وتوتر انفعالي عال جداً الى ابعد الحدود .. والمعالجة للاشكال الجزئية فيها فهم خاص ، لولا هذه العروق التي ابرزها على سطح جلد السواعد والايدي فهي امور سطحية تضيع من قيمة الكتلة الضخمـــة للاشكال . وقد وفق عبد السلام الى حد بعيد (بالمنظور من أعلى) بحيث خدم فكرة التكتيل والمبالغة في القوة وذلك لتأكيد المضمون الدرامي العنيف .

. .

مهما قيل في معرض الخريف لهذا العام ، فهو احسن بكثير من معرض ربيع حلب .. رغم قلة الاعمال الفنية المعروضة .. وخاصة في النحت ..

اما اذا قيس مع الفن العربي المعاصر في بعض البلاد العربية المتقدمة فنيا فنحن لازلنا في مرحلة متأخرة بعض الشيء عن غيرنا .. !

اما اذا تجاوزنا ذلك الى المقارنة مع الافق العالمي ، فلن نجد في سورية الا فناناً واحداً .. او اثنين والباقي لازالوا تحت التجربة .. وفي الطريق (*) !

(*) ان جميع الاراء والانطباعات الواردة في هذا المقال هي آراء كاتبها الخاصة وانطباعاته ، وعلى مسؤوليته الفنية .

و (المعرفة) يسرها ان تفتح باب المناقشة والعرض والتحليل على هامش معرض الخريف ــ بالاسلوب الهادىء ، والتقييم الموضوعي .

٢ - موتى بلا قبور - لجان بول سارتر
٣ - لكل حقيقته - للويجي بيرانديللو

عرض وتحليل : تحرير المعرفة



مشهد (من موتى بلا قبور) لسارتر

هاهو المسرح القومي في سورية يخرج الى المدى العالمي المسرحي ، بكل قوة وجرأة واستعداد لائق ، وان لم يكن عام ٦٥—٦٦ هو عام خروجه الاول ، اذ أن للموسم السابق ٦٤—٦٥ قد تضمن مسرحيات عالمية مثل مسرحية (هواية الحيوانات الزجاجية) ومسرحية (لو رآنا الناس معاً) . نقول ان لم يكن هذا العام ، تاريخاً لخروجه الاول ، فهو تاريخ لجرأته وتوجهه نحو المسرح العالمي الصعب ، مثل مسرح سارتر ومسرح بيرانديللو .

كانت صعوبة (سارتر) في مسرحيته التي اخرجها المسرح القومي — موتى بلا قبور — ناشئة من زج الحدث في ديكور واحد ، واشخاص لايتبدلون ، واطالة الحوار العنيف المتصاعد عنفاً حتى القمة بين الاشخاص انفسهم وعلى خلفية الديكور نفسه : أما المسرح فهو السجن الرهيب وأما الاشخاص فهم بعض اربعة فدائيين ، وثلاثة سجانين . جلادون وضحايا في مسرح مظلم ، وحوار يدوا احياناً انه لن ينتهي !

وكانت صعوبة بيرانديللو في مسرحيته (لكل حقيقته) في كثرة الأشخاص ، لافي قلة عددهم . وقد فرضت هذه الكثرة على المؤلف ان يتقن التوفيق بين التعدد ، ويخرج منه ، في الطرف المقابل بوحدة متكاملة .

وبين جمود المشهد على وجوه محدودة ومسرح لايتبدل لدى سارتر ، وبين تعدد الوجوه وتنوع المشاهد والحركات لدى بيرانديللو ، أتيح للجمهور السوري ان يشاهد نوعين متناقضين من الحركة المسرحية ، والحوار المسرحي ، احدهما درامي عنيف ، والثاني كوميدي ساخر وحاد ، وان يثقف بثقافة قطبين من اقطاب المسرح العالمي .

ومهما بدا من كآبة للمسرح السارتري في هذه المسرحية ، ومن لألأء الانوار وصخب الكلمات في المسرح البيرانديللي ، فمن المؤكد أن المؤلفين الكبيرين كانا يسخران كل على طريقته من تفاهات الحياة ومواضعاتها ومصطلحاتها .

سارتر كان يسخر من كلمة (نصر) ويقدم لنا تقديماً مأساوياً ، كم تكلف الانسان ، صناعة النصر .. النصر التافه ولحساب من ؟!

وبيراندبللو كان يسخر من كلمة (حقيقة) عندما تتداولها الايدي ، والالسنة ، والامزجة ، والاعين البشرية التي لاتحب من الحقيقة الا الشيء الذي تصطنعه لنفسها كحقيقة .

وكان بيراندبللو واضحاً في كوميديته الساخرة منذ البداية الى النهاية . وكانت الشمس تغمر مسرحه ، بينما الترهات والاكاذيب تسبح على سطح الماء تحت عين الشمس ، عارية تائهة ، تشهر تشهيرا عنيفا بهذا النوع من الجمهور الذي يفتش عن الحقيقة .

وكان سارتر مظلما ، كأنه يكتب كلمة ممنوعة ، يريد أن يشير الينا برموز واشباح ، لا بحروف او بألفاظ !!

من اجل هذا خيل الى الكثيرين أن سارتر يريد أن يصور لهم بطولة الضحايا ، وغلظة الجلادين وماأراد ذاك ولاهذا ، بل أراد أن يسخر بالحق من الفاتلين والمقتولين على السواء ، ومن السجان والسجين معاً لأن (القضية) التي من أجلها يعذب الفدائيون ، ومن أجلها يعذب الجلادون ، هي قضية مجهولة .. قضية تافهة .

وأخيراً ، فان جمهور بيرانديللو ، ان يعرف الحقيقة بعد ساعتين من الحوار والحركة . كذلك فان جمهور سارتر ، لن يعرف من (الرابح) في معركة البطولة والكبرياء.

قالت مدام بونزا في ختام مسرحية بيرانديللو انا الزوجة الاولى للسيد بونزا ، وأنا الزوجة الثانية . اني أنا . وانا لاشيء ! ! ولن يعرف الجمهور أهي زوجه الأولى أم الثانية .

وفي ختام مسرحية سارتر ، يقتل الجلادون ضحاياهم بعد أن اطمأنوا الى أنهم وشوا بالزعيم . ولكن الضحايا قد خادعت جلاديها ، ولم تعترف بمقر الزعيم. الجلادون يتوهمون انهم قد انتصروا والضحايا يدفعون حياتهم ثمنا لكبريائهم، والخديعة لاتنقذ حياتهم . لقد خسر الجلادون ، والضحايا معا . ولقد غدت القضية الكبرى التي من أجلها يدور الصراع القائم الرهيب ، بين الجلادين والضحايا ، هي (الكبرياء) التي يجب الا تقهر . وقهرت فعلا في حضيض الواقع الذي لايرحم الانسان الذي فقد انسانيته في سبيل كبريائه.

الجلادون ، لايرمون من استنطاق مسجونيهم بمقر زعيمهم ، ان يقوموا بواجب أو يؤدوا خدمة ، او ينتصروا لقضية ، قضية ألمانيا النازية ضد الحلفاء . لا ! انهم يعلمون انهم هالكون ، وسيصبحون في السجن ، او في التراب وتنقلب الادوار . ولكنهم يقسون على مسجونيهم من الفدائيين لكي يبرروا أنفسهم وحدهم، ولكي يرضوا غرورهم وكبرياءهم . أما الفدائيون المأسورون ، فانهم يقاومون ويصبرون ، ويتعذبون أشد العذاب من أجل من وماذا ؟! من أجل زعيمهم (جان).



مشهد من (لكل حقيقته) لبيرانديللو

وما أن ينقلب الستار على الفصل الثاني حتى يرى النظارة (جان) يرمى بين زملائه في السجن . ولكن الجنود الذين اصطادوه في الغابة لايعلمون انه هو زعيم الفدائيين نفسه . انه أحد العابرين الذين يمكن تقفي أثر الزعيم بهم . وها هو مع زملائه وصحبه ولكنه طليق ، بلا قيود ولا حديد بينا هم غارقون في العذاب والحديد . أمن أجل هذا الزعيم الطليق بينهم ، كل هذا العذاب ؟! أهو (القضية) ؟!! يالها من قضية !!

وتبرز المأساة بجماعها في شخص (لوسي) الفتاة التي تحب جان وهي اسيرة بين الأسرى في هذا المكان . انها تنظر اليه الآن نظرة جفاف وانطفاء وقد انقطعت كل صلة لها به كحبيب ، وكقضية . لقد تعذبت حتى الموت ، حتى اغتصابها عنوة من قبل الجنود ... ولم تتكلم عن مقر (الزعيم) . وأما اخوها الصغير المراهق وهو أحد الاسرى ايضا في هذا السجن الرهيب ، فقد ضحت به في سبيل (القضية) وفي سبيل (الزعيم) لأنها والرفاق قد خشوا من ضعفه ، فيعترف بوجود الزعيم هنا في هذا السجن ، وكانت في لحظة رهيبة ، تشهد زملاءه يخنقونه وهي صامتة، كأنه أدنى من هرة أو فأرة . والآن لم يبق لها (قضية) ولا (زعيم) ولا (حبيب) . انها تنكر كل شيء ، ولكنها تصر كذئبة عاتية على ان تعذب جلاديها بعدم الاعتراف، ولا شيء بعد ينطق في هذه الانسانة الجليلة المعذبة سوى (كبريائها) . وسقط الحب والقضية في جحيم اللاانسانية القاتمة، **حيث لاشيء سوى ارادة التفوق والقهر وغريزة الانتقام والافتراس . وهنا يستوي في اللاإنسانية جلادون وضحايا.**

المخرج والممثلون

قام باخراج المأساة السارترية : علي عقلة عرسان أحد مخرجي للمسرح القومي .

وقام بالادوار الفنانات والفنانون : اسامة الروماني ، يوسف حنا ، عصام عبه جي ، السيدة منى واصف ، هاني الروماني ، عدنان عجلوني ، محمود جركس ، عبد القادر ماردينى ، سليم كلاس ، عبد المولى غميض .

وقام باخراج الكوميديا البيرانديلية المخرج اسعد فضة احد مخرجي المسرح القومي ، وقام بالادوار الفنانات والفنانين :

احمد عداس ، السيدة منى واصف ، فايزة شاويش ، انور مرابط ، مها صالح ، بشار القاضي ، الآنسة هيلدا زخم ، سليم صبري ، السيدة ثناء دبسي ، عصام عبه جي ، نايفة شبيب ، محمود جركس ، الآنسة لينا باتع .

الملاحظات

هل استطاع المسرح القومي بجهاز فنانيه أن يبلغ مستوى المسرحية كما صورها وتصورها مؤلفها . الدراما ، اولاً ، ثم الكوميديا ثانياً ؟ !

مما لاشك فيه أن الجمهور الذي لم يتح له أن يشاهد المسرحيتين بالاخراج الاجنبي لايستطيع إلا القول بأن المسرح القومي قد بذل مجهوداً كبيراً في الاداء الدرامي والكوميدي . وان هذا المجهود بدا اخراجاً وتمثيلا بأجلى صوره .

كذلك لابد من التخمين بأن مدير المسرح القومي الدكتور رفيق الصبان ، والمخرج في كلا المسرحيتين ، قد اطلعا على (مصورات) الحركة

والقيافة في المسرح الاجنبي بما ساعدهما على رسم الشخصيات على الاقل ، قبل الشروع بالحركة .

وبهذا بوسعنا القول أن العمل المسرحي في مسرحنا القومي الناشيء ليس مرتجلاً ، ولاتنقصه دراسة الشخصية في مظاهرها الأولى ، وفي الخلفية الديكورية التي احتوتها .

كذلك بوسعنا التخمين أن مدير المسرح — وهو فنان ومثقف مسرحي — بمساعدة المخرج ، قد اطلعا على نقد المسرحية وتحليلها في المنشورات الأجنبية ، بما ساعدهما على تكوين **الخلفية الثقافية الكافية للاقدام على اخراجها** . ومن هنا نريد ان نقول بأن الأخراج الذي لايدخل الى عمق التأليف ، والى عمق الفكرة التي يرمي اليها المؤلف ، لايستطيع أن يخرجها (غيابيا) .

ولا نستطيع بعد هذا ، سوى القول بأن المسرح القومي في سورية ، قد تزود بالعدة الكافية من المصورات والدراسات النقدية لشكلا المسرحيتين ، قبل ان يقبل على تقديمها للجمهور السوري ، وهذا ماجعل العملين الفنيين اللذين افتتحت بهما اعمال المسرح لعام ١٩٦٥ — ١٩٦٦ بين المحاولات المسرحية الناجحة . مشيرين دائماً الى صعوبة هذين العملين ، مما قد اوجزناه في عرض فلسفتي المؤلفين الكبيرين ، سارتر وبيراندللو .

بل اننا نستبعد بلوغ مسرحنا هذه المرحلة من المحاولة ، دون عدة كافية من المصورات والدراسات النقدية ، التي رافقت العمل المسرحي في مظانه الأولى ، **ولعلنا على صواب اذا طالبنا المشرفين على المسرح القومي وفنانيه بالمزيد من هذه (الثقافة) الضرورية جداً ، قبل الخروج الى مقابلة جمهورهم . وننصح بعدم الاقبال على تقديم المسرحيات الأجنبية التي لاتتوافر لها اغذيتها الفنية والثقافية الكافية .**

وأخيراً لابد ان نتمنى على الفنانين والفنانات والمخرجين معاً ، أن يبالغوا في حفظ الحوار ، واتقان لفظه العربي ، مع تمثله وهضمه ، **حتى تصبح وظيفة الملقن تذكيراً لاتجريعاً** . هذه هي اول عدة للنجاح . وقد

لاحظنا أن الممثلين في حالات كثيرة ، تتغلب عليهم ادوارهم من حزن وغضب ، الى سرور وانشراح . . فيبالغون في الأداء ، حزناً وغضباً ، ومرحاً ، حتى لتكاد تضيع الكلمات في مخارج الشفاه ، أو حتى تتغلب (الحماسة) على (العفوية) وهدوء الاعصاب . **يعني على الفنان الاصيل أن يتحكم هو بدوره ، لا أن يترك دوره يتحكم به . .**

والانسجام مع الدور ، لا يعني فقدان السيطرة ، أو فقدان القدرة على اخراج اللفظ من الشفاه والحركة من الوجه والاطراف ، إخراجاً موزوناً

ويقتضينا الواجب هنا أن نقول بأن العنصر النسائي المفتقد تقليدياً في تاريخ مسرحنا ، قد اغنى مسرحنا الجديد ، بنماذج ناجحة مثقفة ، ومحبة للفن ، ومدركة لعظم مسؤولياته .

جولة الشهر

مع تيارات الفكر العالمي

فؤاد الشايب

نخصص هذه الحلقة لدراسة العامل الرابع من عوامل التكوين الثوري في كوبا وهو عامل اضطراب الرؤية الأيديولوجية — ثقافة الشعب تحت تأثير ثقافة القيادة — نماذج من ضياعها وتعثرها في تقبل معنى الاشتراكية — الثورة الكوبية لم تضع كوبا في طريق الاشتراكية. انها الكاسترية — تجربة فريدة لن يقلدها أحد، ولن يفيد أحد من تقليدها — ولكن يجب على أصحاب التجارب، درسها ومعرفتها، ومتابعة تطورها —

نتحدث في هذه الحلقة، عن عدم وضوح الرؤية الايديولوجية والسلوكية الاشتراكية الكاسترية، وهو الجزء الذي ارجأناه من حلقة سابقة * بعد الالمام بالحوافز والعوامل التي شاركت وأدت الى التكوين الكوبي الثوري ومنها:

أ — السرعة — ب — الغضب — ج — الدعوة السياسية.

ولعل ما اوردناه في الحلقة السابقة، من شواهد ووقائع قد ساعد في القاء الضوء على التخبط في مسيرة التطبيق الاشتراكي الكاسترى، وأكد لنا في

* العدد (٤٣) من المعرفة — جولة الشهر.

الوقت نفسه أن ليست حوافز الغضب والرغبة في التسريع ، والتمويه بالدعوة السياسية وحدها وراء التخبط ، بل ان فقـــدان الرؤية النظرية ، سبب رئيسي من أسباب الحيرة والاضطراب .

فاذا كان الرئيس كاسترو ، باحكامه وتدابيره ، يؤلف العمود الفقري لثورة كوبا ، منطلقاً وتنظيماً ، واذا كان هو الرجل (القوي) الذي لا يقاوم ولا مرد لارادته ، أأخطأ ام كان على صواب ، كما يصفه رفيقه وكبير وزرائه (غويفارا) * (Guevara) ، وجب أن نفتش عن الاضطراب الفكري والمثالية الثورية ، في اضطراب الرئيس بالذات وفي رجرجة مثاليته نفسها ، غير منفصلة بالطبع عن الأحداث السياسية التي تفاقم بهـــا الاضطراب وعدم الوضوح الضبابي ، والتراخي معاً .

لنبدأ من البدء في التأكيد أولا ، بأن فيدل كاسترو ، شخصية سياسية **نضالية ، بتكوينها النفسي والاجتماعي ؛** قبل أن يكون شخصية ثقافية مكونة **تكويناً نظرياً ذهنياً ، أو حزبياً .** فهو بهذا التكوين ، حر من اي التزام عقائدي راهن ، ومن أي احكام ثقافية ثابتة . لذلك انفصل منذ الأيام الأولى للثورة عن التكوينة العقائدية الوحيدة في بلاده ، وهي التكوينة الشيوعية ، ولم يلتزم بخطها ونظريتها . ولعل الحزب الشيوعي ، كان يرى ان الاعداد للثورة لم تتوافر له عناصره وعلى الأخص عنصر **البروليتاريا العمالية** * كذلك فان توقيت الانطلاق ، كان تعسفياً رومانطيقياً . ولم يكن مكان الانطلاق بأقل جرأة على التخطيط النظري ، عندما اختار الثائر اقصى (جبال السييرا) في اطراف البلاد ، للزحف نحو العاصمة القصية .

(*) الوزير الذي اختفى من حياة كوبا مؤخرا ، وقيل وضع نفسه تحت تصرف ثورة اخرى ، وقيل قتل في ظروف غامضة ، ولعله كان على خلاف مع الرئيس كاسترو .

(*) قيل ان عناصر المدينة ، لم يكن منها بجانب الثورة ، اكثر من ٦٥ بالمئـــة ، حتى بعد الانتصار ، بينا عنـــاصر الريف كانت تتجاوز نسبتهـــا ٩٠ بالمئـــة بجانب الثورة عندما استولت على الحكم .

وقد جاءت النتائج ، تصديقاً للنضالية الكاسترية ، دون النظريات . واعتمد المناضل البروليتاريا الفلاحية ، أداة للزحف الثوري ، دون البروليتاريا العمالية . وزحف طويلا من الجبال الى العاصمة ، بجيش الفلاحين وحده . ويبدو أن العامل الانساني بله السياسي قد لعب دوراً أولياً فيا بلغته الثورة من نصر ، **إذا علمنا أن البروليتاريا الفلاحية كانت بروليتاريا حقيقية ، مستثمرة غير مالكة** ، يتألف حجمها الكبير من عمال مزارع القصب الذين لا يكادون يبلغون الحد الأدنى من الرزق خلال أيام العمل الوسمية ، وهي لا تزيد عن نصف أيام العام . فكيف بهم ، وهم في المواسم العقيمة بلا عمل ولا ضمان ؟ هذا من جهة. ومن جهة ثانية ، فقد تكون رأي عام بورجوازي وبروليتاري معاً ، ضد الحكم الدكتاتوري الشرس الذي ثار عليه الرئيس كاسترو ، بحيث تجلت للعيان دعوة عامة بطلب الانقاذ ، دون ما نظر الى وجود استراتيجية ثورية عملية أو نظرية ، ودون ما اكتراث لمصير الثورة .

ثانياً — وفيا عدا التكون النضالي غير النظري الذي اوجزنا ملامحه ، فان الرئيس كاسترو ، تكون اجتماعي بورجوازي ، مطعم بالثقافة الثورية ، الشائعة في البلاد المتخلفة — آسية وافريقية ، وامريكا اللاتينية — عن طريق المدرسة الغربية ، واهم مصادرها : **الثورة الفرنسية ، والاشتراكية الانسانية الطوباوية ، والديموقراطية الغربية بما تدعو له من مبادىء الحرية والمساواة** . ولم تكن الثقافة الماركسية اللينينية ، او الماركسية الماوتسية ، سوى جانب واحد من الجوانب الأخرى للقراءات والانطباعات الكاسترية ، وهو جانب لم يكن كبيراً او واضحاً ، قبل دخول الحدث السياسي في المعركة .

أي أن التكون البورجوازي الاصلي ، الذي جعل البورجوازية الثقافية الاجتماعية — اطباء ، محامون ، مهندسون ، تجار ، طلاب ، موظفون —

تدعم الثورة ، اولا تقاومها، على الاقل ، مضافاً الى تطعيم ثقافي ثوري خليط ، هو بين اسبــــاب التكوين الناشم ، وعدم وضوح الرؤية أمام الثورة الكاستريه .

وبالطبع ، فان التكوين الشخصي للثائر ، قد طبع الكثير من نظريات الثورة ومن تدابيرها ، عندما استتب لها الأمر في العاصمة الكوبية فجاءت حائرة ،مضطربة متأرجحة بين اشتراكيـة السـادة واشتراكية القيم الروحية والانسانية. بين اشتراكيـة المنطق الاهلي ، واشتراكية المنطلق الفلاحي - اي الصناعي والزراعي - . بين اشتراكية المراحل المنطقية واشتراكية إحراق المراحل . بــين اشتراكية (التعاون) كما حدث في الصين خلال اكثر من عشرة أعوام ، بعد بلوغ الحزب الشيوعي الحكم ، واشتراكية (التفرد) في الحكم ، وفي البناء الاشتراكي . بين واشتراكيـــة المركزية الستالينية ، اشتراكية اللامركزية التيتوية .. الخ الخ ..

لم يكن الرئيس كاسترو وجهازه الثوري ، من المثقفين البورجوازيين، أو الطلاب ، وبعض الوزراء ، قد أعدوا أنفسهم لمجابهة هذه الاحتمالات ،والفروق نظرياً وعملياً ، عندما ألقى الجميع سلاحهم للثورة وألقت هي سلاحها لتخطط وتبني.

وفي هذا الجو الصاخب المتقلب ، بدأت الثورة تحكم، تحت فعل (الحدث السياسي) من جهة ، وهو خارجي ، وفعل (القرار السياسي) وهو داخلي . وليس بالواقع سوى رد الفعل للحدث الخارجي ايضاً .

وبهذا فان عاملين يتحكمان في توجيه الثورة منذ عام ١٩٥٩ ولا يزالان : هما مقاومة الخصم الأمريكي الكبير في جوار كوبا، وقرارات الرئيس كاسترو السياسية وبهما يضاف سبب ثالث الى اسباب عدم وضوح الرؤية أمام الثورة ، بالاضافة الى ماذكرنا ، وهو غبار المعركة .

على أن الخبراء الأجانب الذين حرص الرئيس كاسترو على استقدامهم ، لدراسة أوضاع ثورته وتطبيقها في المحيط الكوبي من سوفييت ، وبولونيين وفرنسيين ، وفي مقدمة هؤلاء الخبراء والاختصاصيان

في الزراعة والاقتصاد روجيه دومون وشارل بتلهايم ، لم يشاؤوا أن يلقوا على (غبار المعركة) كل اعباء التبعات، ليريحوا ضمير الرئيس كاسترو ، بل قد نقدوا فروسية الثورة وجموحها ، ودعايتها وتبذيرها للواجهات ، والمشاهد الجليلة ، والعواطف النبيلة (والأعباء الفاخرة) ووصموا معظم ما صدر من (قرار سياسي) من أجل ما سمي بالعمل الاقتصادي ، بانه (تنظيم للفوضى) بلا جدوى وقرروا أن الثورة تكاد تأكل نفسها وأصابع مساعدات اصدقائها معاً ، دون أن تصبح الثورة اشتراكية اقتصادية ، انتاجية ، تخضع لأدنى قواعد المنطق العام في السياسة الاقتصادية والانتاجية *

من عواقب وعدم الوضوح

بعد أن عرضنا الى بعض مظاهر التخبط والتعسف في حديثين سابقين - المعرفة العددان ٤٢ ، ٤٣ وبعد أن أتينا فيما تقدم ، على أهم مصادر عدم وضوح الرؤية الايديولوجية والسلوكية ، سنرى فيما يلي الى بعض نتائج هذه السياسة الثورية **في تكوين الرأي العام وتشكيل عناصره الاجتماعية والثقافية . ثم الى بعض الوقائع التي تردت فيها الثورة ، والى بعض ما قيل في محاولة الخروج من عثارها.** وننبه هنا ، بأن ماسنذكر من وقائع وملامح ، لا يقع تحت عنوان عدم وضوح الرؤية الاشتراكية ، وعدم ايجاد (الصيغة الاشتراكية) فحسب ، بل تحت عنوان عدم اعتبار الثورة الكوبية بتجارب الشعوب المتقدمة ، وانحرافها في تكرار الأخطاء والعيوب تكراراً تسبغ عليه مبررات ايديولوجية هزيلة، أومبررات فات أوان التذرع بها ، لعدم ملاءمتها للظرف التاريخي الكوبي .

في مجال تكوين الرأي العام ، كان تأثير عدم الوضوح واليقين ، تأثيراً واضحاً في توزيع مايسمى بالرأي العام الثوري ، وتشتيته ، حتى ليكاد ينطق كل

* بلغت - مثلا - مساعدات الاتحاد السوفييتي والدول الصديقة ، لكوبا خلال عامي ١٩٦١ - ٦٢ ما يوازي ٥٧٠ مليون دولار مقابل مساعدات الولايات المتحدة الامريكية لجميع دول القارة اللاتينية البالغة نصف مليار دولار . فنصيب المساعدات الامريكية كل فرد لاتيني بدولارين ، بينما نصيب المساعدات الاشتراكية كل فرد كوبي باربعين دولاراً - عن روجيه دومون - .

فريق منه بلسان ، أو يعوّل على موقف ما من قضية ما ، دون يقين بما يقف لأجله ، أو ضده .

فمنذ اليوم الاول كان لا بد من الفصل في موقف شركاء الثورة ممن سميناهم بورجوازيي النضال ، الذين كانت لهم يد في فتح أبواب المدن للثورة ، دون كثير عناء . ولعل هؤلاء كانوا على نوعين من الولاء النظري لاتجاه سياسي معين في بناء ما بعد الثورة : النوع الاول هو ولاء للديموقراطية اصلاحية ، لا تخرج عن حوضها الليبرالي ، ولكن لا ترضخ لتحكم رؤوس الاموال الامريكية تحكماً مطلقاً باقتصاديات كوبا . والنوع الثاني ولاء لاشتراكية هادئة معتدلة ، لا تضمر حقداً ولا انتقاماً ، بعد أن توضح ولاء الشعب بأكثريته للثورة الزاحفة ، فالمنتصرة . وقد تخلصت الثورة في عامها الأول تخلصا اعتباطياً ، من النوعين الشريكين في ثورة الأمس ، فقضت بها على معظم الينابيع التي يمكن ان يتدفق منها الغذاء الثقافي والتقني لحركة الثورة البانية .

من المؤكد ان وراء بعض المعتدلين أشباحاً أمريكية تحرك وتتحرك وراء ستار . ولكن من المؤكد أيضاً ان كتلة ضخمة من هذا الرأي المتعدل ، كانت تؤلف بالأمس خلفيّة صالحة للثورة وتربة منمية لها . لأنها البيئة التي خرج منها نضاليون عنيفون ، بينهم (جوزه مارتي) أبو الاستقلال الكوبي و كثيرون آخرون من ابناء الثورات والانتفاضات الوطنية وأحفادها الذين ضربوا الاستعمار الاسباني في مطلع هذا القرن ، ورفضوا بلا تحفظ ، سيطرة رأس المال الامريكي واحتكاراته على السواء . وبهذا فالقماشة الوطنية الكوبية ، قماشة سليمة التكوين الوطني والاجتماعي ، وجديرة بأن تحتضن الثورة الاقتصادية الاجتماعية الجديدة وتتبناها ، وتنسجم معها ، وليس ما يبرر اعتباط بترها بتراً قاسياً يوم كانت الثورة بحاجة اليها شديدة . وهذا ماجرى مع أول هبوب المعركة ، وفي غبارها ، وكان له من بعد ، نتائج متلاحقة في التخبط الكوبي ومضاعفاته .

قيل أن المتطرفين ومنهم فيدل كاسترو قداعتبطوا هذا الاتجاه، عندما اكفهر الأفق فوق الضفة التي تطل عليها الجادة الكبرى الغاضبة ، فكان الثوري متسرعاً طائش السهم . وقيل بل تلقى التبعة كلها على الجارة الكبرى ، التي لم يتسع صدرها لتجربة اشتراكية معتدلة تقوم بجوارها ولا تنقطع عنها . انما الخطأ يشترك فيه الجانبان المتنازعان على السواء — كما يقول محايدون — وسيدفع كل منها ثمن خطيئته جزاء وفاقا ، وكان بوسع كل منها ان يوفر لحساب مصلحته وكرامته ومصيره .

ثم يأتي السؤال : هل بعد هذا البتر السريع الذي تم في الحول الاول من استتباب الثورة، ما يشير الى أن الرؤية غدت واضحة أمام الثورة ، بعد ان تخلصت من بعض رفاق الطريق ، (غير الثوريين) ؟! ليس الجواب ايجابيا ، بل بالعكس . ان المرحلة الثانية ستكون اكثر اضطراباً وتخبطاً . وليس ثمة ماينبيء بأن العزم قد صح على نوع محدد من اشتراكية لاحبة الطريق . بل لايزال التشكك سائدا في قيمة النظرية الماركسية ، والتطبيق الشيوعي . وتمتد هذه المرحلة القاسية حتى نهاية عام ١٩٦٣ .

هام الثوريون يملأون الساحة وحدهم، خليطاً من المستويات الاجتماعية والثقافية، يرتجلون الافكار والمواقف على السواء ، وليس ما ينظمهم في سلك واحد سوى شيء عال واحد هو ارادة الرئيس ، بدءاً من طالب طب الاسنان المنوط به مصادرة الأملاك والأموال بإشارة من قلمه، صعوداً حتى الوزير (غويفارا) رفيق الرئيس ومستشاره ، والاشتراكي الماركسي البارز بين مجموعة من الأنصار والمسؤولين.

ومادون ذلك في المستويات الشعبية ، ليس الا خليط من الثقافات المكونة بسرعة ، وراء الصحافة الجديدة ، والمنشورات العائمة :

· بعضهم يتلمس معاني الاشتراكية عبر صحافته ووسطه ، تلمس الاصابع الغارقة في كوم من التبن تتسقط حبة واحدة . فهم يرددون الكلمات ويتشدقون

بها ، ويتمرسون بثقافة الثورة حبواً وزحفاً .

وبعضهم ، وقد اصاب بعض الحب بعد عناء ، ينكر أن تكون الماركسية هي الشيوعية ، لأنه يريد أن يكون اشتراكيــاً دون أن ينتسب بولاء ما للحزب الشيوعي ، الذي لم يكن خطه في خط الثورة . وهذا البعض يؤكد لزائريه وأصدقائه – كما يقول دومون – انه يمكن انيكون ايشيء إلا شيوعياً ...

بعضهم وقد شدا شيئاً من الجدلية السياسية بين الصين ويوغسلافيا ، يسارع الى نقد التجربة اليوغسلافية مؤكداً إنها (هرطقة اشتراكية) يحذر من وبائها ، النظام الكوبي .

ويتصدى بعضهم بكل غرور الى التجربتين السوفييتية والصينية ، ويتهمهما معاً ... بانهمــا خرجتا عن الاستقامة المــاركسية اللينينية ، وينصح الدولتين بالعدول عن الانحراف العقائــدي ... لمصلحة المعسكر الاشتراكي !!

وآخرون ، يهرعون الى الكنيسة أيام الآحاد والاعياد فيصلّون للعذراء ، ويدعون لكاسترو ولينين – الذي غدت صورته بعد الغزوة الفاشلة ، تملأ شوارع المدن – .

وآخرون ، وقد تخرجوا بالأمس ، من دورة اجبارية لمدة ستة اشهر فقط لدراسة الماركسية في عامهم الجامعي الأول ، خرجوا وانتشروا اساتذة يدرسون مادة المسرح ، وليس في جعبهم ، حد أدنى من الثقافة الاقتصادية ونظرياتها ومبادئها العامة. وهم أعنف الرسل الجدد قولاً ، واشدهم حفراً للعلم المــاركسي في الأذهان بأسلوب المسمار في لوح زجاج ..!!

ويبقى الرأي العام الأكبر ، خارج المدن ، من بروليتاريا الثورة ، مغلقاً الا قليلا دون هذا الصخب البابلي العجيب . وقد كان ولا يزال وحده ، يؤلف قوة الثورة وسلاحها ودرعها ، يمشي وراء كاسترو ، فــلا يسمع سوى صوته ، ولا يأتم إلا بكلماته ، ولا يرسم إلا حول هامته ، هالة القداسة .

ويتأثر الرئيس بطيبة هذه العجينة اللينة بين أنامله ، فيملو صدره ، وتتفتح امانيه ، وتمظم اشواقه ، ويبدو له أنه بهذا الشعب البروليتاري المتحمس ، مستطيع أن يبلغ الذروة العليا من الاشتراكية — بلا مراحل — ويحقق الفردوس الأرضي المؤمم . وها هو خلال أعوام يبني لهذه البروليتاريا ، المساكن — كما وصفت — والمصحات الفخمة بحد ادنى من جهاز الممرضين والممرضات أو بلا جهاز — والمجمعات ، والمدارس ، و (مخازن الشعب) و (مزارع الشعب) في اجواء صاخبة من الخطب الحماسية ، والأعياد الشعبية التي يستسلم لها الجمهور استسلاماً مستغرقاً ، كأنه يمتص ثدياً من أثداء الثورة الخصيبة ، ليرتوي ولا يرتوي

فاي اشتراكية كونغالية ... يقول المراقبون ! بل اي قدرة على تحدي الماركسية ، بالتفوق عليها ، وتسجيل رقم قياسي فيها — كما سجل الرئيس تيتو — يقول الآخرون صادقين ام مخادعين !

وعندما يأتي دور خبراء الرقم في الكلام لايلبثون ان يقولوا الرئيس بعد مضي خمسة اعوام على الثورة عام ١٩٦٣ : **لاتزال كوبا بعيدة حتى عن المنطلق الاشتراكي ، بينما هي تظن انها قد بلغت المراحل الأخيرة !؟**

– حتى عام ١٩٦٣ لم يكن هناك نظرية اشتراكية ، ولا على الأقل ، خطة اقتصادية ، **أوسياسة اقتصادية .**

– مخازن الشعب الرخيصة ، فتحت شهية الاستهلاك بما سيؤدي الى ازمة أقوات ، وتموين ثم فرغت الرفوف من الأغذية الرخيصة ، وتقلصت مواد التموين. **فاغلق بعض الباعة حوانيتهم ، ورفعوا على الأبواب صور الرئيس وشعارات: (الاشتراكية رخاء) .**

– في مزارع الشعب : كلما انتج العامل مايوازي البيزوس الواحد ، يقبض بالمقابل أجراً يساوي بيزوسين اثنين : **النتيجة إفلاس وتحول قوى الانتاج الى طاقات (غير الناجية) اقتصاديا.**

– المزارع الخاصة تؤدي التزاماتها

نحو الدولة على ميعاد . وتعجز (مزارع الشعب) عن تسديد التزاماتها بميعاد أم بدون ميعاد .

ـ الآلات الحديثة ، من اضخم الطراز وافعلها، مكومة في مستودعاتها راكدة في صناديقها، منذ شهور، واعوام. لأن اليد الفنية التي تشغلها مفتقدة، وستظل مفتقدة الى امد طويل . واذ تضن الثورة السخية بأجر عادل معقول على المهندس والميكانيكي ، وصاحب الاختصاص والباحث العلمي والعملي والنظري ، لأن الواجب الاقتصادي والوطني يقضي بذلك، تبني البيوت للعمال بحمص غرف لبعضهم دون الآخر وفي مناطق دون الأخرى ـ ويتكأكأ الساخطون والفضوليون أمام هذه البيوت الفاخرة للفرجة والتصوير .

ـ الشعب الطيب والمال الوافر لا يصنعان الاشتراكية، انما يصنعها العلم ، والتخطيط والادارة الواعية . وان يكن الشعب والمال عنصر نجاحها وتسريع حركتهـــا ، فليس الشعب المدلل ، وليس المـــال المستعار ـ على كل حال ـ

ـ تقول (آنا فرانكو) في كتابها (العبد الكوبي) وهو ليس بكتاب ضد كوبا : يبدو أن الكوبيين يخسرون المال والوقت معاً .

ـ يقول التحليل العلمي الماركسي في مثل الثورة الكوبية وطموحها إن الارادة وحدها لا تكفي، كما لا يكفي الشعب والمال ان بلوغ (الشيوعية) مع حالة موصوفة من التخلف الاقتصادي ، والتقني ، والثقافي ، محاولة مستحيلة . محاولة غير علمية ، ولا اشتراكية .

اذن ... في هـــذه الحالة الضبابية والسرابية معاً، تقوم حركة ثورية غريبة، في طرف حساس من أطراف العالم اللاتيني الأمريكي ، لا سابق لها ، ولن يكون لها لاحق. ليست ديموقراطية، ولا اشتراكية. ويرجو لها اصدقاؤها، أن تستبين مع الزمن طريقها ، وتحدد أهدافها . ولا اسم لها ، بانتظار الغـــد ، سوى اسم واحد هو (الكاسترية الكوبية) .

الكاسترية الكوبية ، تساوي بالواقع زعيما فرداً واربعة وتسعين بالمئة من سكان

الأرياف الى جانب ٧٠ بالمئة من سكان المدن - كما قيل -

الكاستريةمزيج غير متكامل المناصر من رومانطيقيـــة انسانية رحبة ، الى بيروقراطية ستالينية ضيقة ، الى اشتراكية طوباوية ، الى مزاج سياسي شخصي مرتبط بمراقبة (الرئيس) كل حركة ونأمة في السياسة الامريكية .

فاذا صح ماقيل مؤخراً من أن الرئيس كاسترو قد فتح ابواب كوبا لمن يشاء ان يهاجر حراً مختاراً وبدأت بالواقع هجرة جديدة ، مشى في طليعتها الوزير عوبعارا بالذات ، فان الرئيس ينوي أن تكون نسبة الانصار في المدن ، بعد الهجرة ، كنسبة الانصار في الأرياف ، مئة في المئة

انها الكاسترية ! ثورة جديدة طريفة ذات مزاج شخصي يبيح الهجرة في سبيل النسبة ! ثورة تشبه كاسترو قلباً وقالبـــاً . لن يقلدها أحد ، ولن يفيد أحد من تقليدها . وان تكن الوجهات اللاامريكية ، في امريكا اللاتينية ، تعصف بين الحين والحين ، ناشدة التحرر من احتكارية رأس المال الأجنبي فلن يقوم على رأس أية حركة كما نقدر ، نموذج كاستري آخر .

كذلك اذا صح أن الثورة الكاسترية، بعد أن عرفت اخطاءها، وسحبت اقدامها مؤخراً ، عن هوات رديها ، **وقررت أن تخطط ، وتفتح رأس المال الشعبي** التقني، وتباشر **سياسة اقتصادية عقلانية، اساسها الزراعة ، واساس الزراعة ، قصب السكر في المقام الاول موجهة** السياسة الصناعية **الى ما بعد انجاز المرحلة الزراعية** على اعتبار ان التنمية الزراعية لدى البيئات المتخلفة ، هي قاعدة الانطلاق ، ومفتاح السير الى اشتراكية ناجحة - نقول اذا صح هذا، ووضع الرئيس لنصائح الخبراء والباحثين ، وخلص أخيراً من ضغط عوامل السرعة ، والغضب ، والدعائية السياسية مما وصفنا - وتوافرت له الرؤية الصالحة ، في المدى القريب ، بلا ضباب

ولا سراب – فانه مقبل بثورته ، اي بفلاحيه المخلصين دائماً ، على اقامة مزرعة ضخمة في طول كوبا وعرضها ، تخضع لها جميع مؤسسات الدولة اقتصاديا ، وثقافيا ، وسياسيا ، وتكون تجربة فريدة في تاريخ المحاولات الاشتراكية .

ويقولون عن حد أحياناً أن فيدل كاسترو الذي أخذ منه الدهر بعض الشباب ، ليمنحه بالمقابل بعض الحكمة ، لصاحب طموح فعلي الى اجتراح جديد في حقل التطبيق الاشتراكي ، يذكر به من بعد ، رائداً وصاحب طريقة .